

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الخامس – السنة العاشرة – ذو الحجة 1386 – ابريل 1967

في هـذا العـدد :

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الاسلامية
بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الخامس
السنة العاشرة
ذو الحجة 1386
ابريل 1967
ثمن العدد
درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط

كلمة العدد

تنمية الوعي الاسلامي

اجمل صاحب الجلالة الملك المعظم مولانا الحسن الثاني حفظه الله في خطاب العرش الاخير الدور الهام الذي تضطلع به وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في نطاق تنمية الوعي الاسلامي وما تقوم به من جليل الاعمال ونبيل الآمال حيث قال اعز الله امره :

« ونظرا لما اولانا اليه من شرف الامامة ، واناط بنا من واجب المحافظة على شعائر الدين الاسلامي الحنيف ، اصدرنا اوامرنا لوزارتنا في عموم الاوقاف في نطاق تنمية الوعي الاسلامي ، وتيسير اسباب السعادة لشعبنا بمواصلة حملات الوعظ والارشاد بجميع جهات المملكة ، وبناء المساجد بالمدن والقرى والاحياء المفتقرة اليها .

وقد شيد واحد وثلاثون مسجدا خلال سنة 1966 ، ووقع اصلاح مئات اخرى من المساجد ، وقمنا ببعث الثقافة الاسلامية بطبع طائفة من كتبها القيمة منها والنفيسة ، واعتنينا بالمدارس العتيقة بالبادية حتى عادت الى ازدهارها السابق ، وصار الطلاب يلقنون فيها القرآن الكريم بمختلف قراآته ، ومبادىء العلوم الدينية واللغوية »

اجل ، ذلكم هو المنطق الملكي الكريم الذي جعل من وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية جهازا حيا فعالا يسهر على القيم الروحية الاسلامية المتميزة بمقومات البقاء والعطاء والديمومة والاستمرار .

فوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ما فتئت تولي عنايتها لشرح نظريات الاسلام الخاصة به ، المتميزة عما عداها من النظريات ، وهي نظريات تنبع من صميم مبادىء الاسلام ، وتستمد عناصر وجودها من ينابيع الكتاب والسنة ، وواقع المسلمين ، واعرافهم وتقاليدهم التي تتوافق مع الطبيعة الاسلامية المجيدة ، ومعتقدات الدين المقدسة ، وتواكب المدنية الحديثة في حدود الحق والفضيلة .

لقد ظلت الشعوب الاسلامية احقابا طويلة ، والاستعمار الصليبي يمزق اوصالها ، ويقطع — شلت يمينه — اواصرها ، ويفرق كلمتها ، ويتهم الاسلام

بانه نظرية تجريدية وفلسفة خيالية غير قابلة للحياة العملية ، والتطور والتطبيق . حتـى كاد الضعف والوهن ان يصيبها ، ويفقدها كثيـرا مـن الصفـات النبيلة ، والمعاني الساميـة .

كما حاول جل المستشرقين ان يحققوا اهدافهم الخسيسة ، وغاياتهم الدنيئة بكل الوسائل ، فالفوا الكتب الصريحة او التي اسروا فيها حسوا في ارتفاء ، والقـوا المحاضرات التي كانت كثيرا ما تقابـل بالاعراض والالغاء ، وبشروا بالمسيحيـة بين المسلمين ، وجمعوا الاموال لاستمالـة بعـض القلوب ، وانشاوا الجمعيات ، وعقدوا المؤتمرات ، واصدروا الصحف ، وما تركوا سبيلا للوصول الى اغراضهـم الا سلكوه ، غايتهم ان يطفئوا نور الله بافواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

وجد الشباب المسلم نفسه اليوم حائرا امـام التحديات الفكرية والفوغائية ، وتجاه المد الصليبي ، والجماعات التبشيريـة ، لا يجد من ياخذ بضبعه ، وينتشله من هذه الدوامة العلمية الهائلة التي تعاصره ، وتريه ما يشبه الخوارق والمعجـزات مما يسبب له اضطراب القيم ، واختـلال المثـل .

ان شبابنا اليوم في حاجة الى قيادة حكيمـة تقوده الى سبل الخير والفلاح ، وهداة مرشدين يهدونـه سواء المحجة ، ويجنبونه مواطن الزلل والانحراف .

وان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية لتعمل على ان تضع عن شبابنا المسلم تلك الاغلال والآصار التي يـرزح تحت عبئهـا حتى ينطلق خفافا الى حياة روحية راضية مطمئنة يشرق معها نور الامـل في قلوبهـم وتنمـي فيهم مشاعر جياشـة تترنـم بها عواطفهم الاسلاميـة المومنـة .

ان غايتنا من تنمية الوعي الاسلامي ، والتوجيه الديني ، اظهـار جمـال الشريعة الغراء التي تستوعب كل جديـد ، وتحافظ على كل موروث صالح تليـد ، وتحقق التوازن بين الدين والدنيا ، والعقيدة والسلوك ما يظهر اثره في العالـم الخارجي قوة روحية واعية تتصدى لكل تحد متعنت ، وتتحطم على صفاتهـا كـل فكرة هدامة ، ودعـوة ضالة ، وسلوك منحـرف .

اننا نريد لشبابنا المسلم ان يتشبث بالقيم الروحيـة ، ويتمسـك بالتربيـة الاسلاميـة ، ويعمل جاهدا على عدم التفريط في جنب الله حتى لا يصاب بلوثـات جامحـة تتطاير من حضـارة غريبـة واغلـة .

ونحن لا نمنع شبابنـا المسلم مـن ان يحقق اشواقـه في رحاب المعرفـة ، فيغرف من فيض الثقافات الاجنبية ، ويكرع من حياضهـا ، ويطعـم ثقافته مـن جديدهـا وطريفها حتـى تهب على بيته ثقافات كل الامم بكل مـا يمكن من الحرية ، على شريطة ان لا تقتلعه من اقدامـه .

فلقـد قـام اسلافنـا بـدراسـة العلـوم والثقـافـات الاجنبيـة ومزجـوا بهـا ثقـافـاتهـم وعلـومهـم وزادوا عليهـا ، واكتشفـوا جوانب مهمة ، ومعلومات واسعـة ، خلفوهـا تراثـا مجيدا في ميدان الثقافـة البشريـة والعلوم الانسانيـة بوجه عام ، ولم تحصل لهم طفرة عن مبادىء الاسلام وعقيدته ، بل كانت معلوماتهم هالة حول كلمة الاسلام التي هي كالشجـرة الطيبـة اصلها ثابت ، وفرعها في السماء ، توتي اكلها كل حيـن باذن ربهـا .

دعوة الحق



نثبت في هذا العدد نص الخطاب الذي القاه جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله بساحة المشور السعيد بالرباط يوم الجمعة 20 ذي القعدة 1386 - الموافق 3 مارس سنة 1967 بمناسبة الذكرى السادسة لجلوسه على عرش اجداده المنعمين

شعبي العزيز :

تحل فى هذا اليوم ، الذكرى السادسة لاعتلائنا عرش اجدادنا المقدسين ، ذكرى عزيزة علينا وعليك ، نؤكد بها كل سنة اواصر الود الخالص المكين ، ونجدد انطلاقا منها العهد الصادق المتين ، ونستحث من يومها الخطى لابراز المنجزات والاعمال ، وتحقيق الرغائب والآمال ، نقف عند عتبتها كل سنة نحاسب انفسنا من خلال ما حققناه وانجزناه ، هل كان فى مستوى المطامح لنستخلص مهما كانت النتائج سارة ومشجعة ضرورة اغذاذ السير ومضاعفة الجهود ، اذ كلما توالت المنجزات فان طموحنا المتطلع الى المزيد ، وعزمنا الذي نستمد منه روح البناء والتجديد ، يدفعاننا الى العمل الدائب الذي لا يعرف التوقف او النكوص ، فما أوسع ما يجيش به صدرنا من مطامح نحرص على انجازها لفائدتك ، وفاء لشعارنا الذي تعهدنا به : اليوم افضل من الامس ، والغد افضل من اليوم .

لقد وقفنا فى مثل هذا اليوم من السنة الماضية نستعرض معك — شعبي العزيز — منجزات العقد الاول من استقلالنا المستعاد ، وكان لزاما ونحن نتخطى — آنذاك — عتبة السنوات العشر الاولى ان نعدد منجزاتها ونحصيها لننصف سالف الجهود ، ولنوقد فيك جذوة العزم المنشود ، وخاطبناك باللغة التي الفتها منا : لغة الصدق والصراحة ، مبرزين الاعمال الايجابية ، غير غافلين عن نقط الضعف التي استأثرت دائما باهتمامنا ، فجددنا العهد على العمل وتسخير عزمنا وشبابنا لاسعادك ورفع مستواك ، وتحقيق كريم العيش لك ، وانا لنحمد الله على ان السنة المنصرمة لم تكن اقل من سابقاتها عزما وبناء وانجازا ، فمنا توالت الجهود فى الخطة التي رسمناها ، ومنك تضافرت مظاهر التعلق ودلائل الولاء لشخصنا ، فاستمر بذلك العهد الموصول بين العرش وبينك عبر السنين والقرون ، من الراعي الاخلاص للبلد والعمل الجدي الموفور لاسعاده والحافظ على مقوماته ، ومن الرعية الولاء : ولاء غير مشروط والسير فى السنن المرسوم ، رباط لحمته الوفاء المتبادل ، استطاع به المغرب عبر التاريخ تيسير الصعاب وتذليل المشاكل ، به استرجعنا السيادة المغصوبة ، واستعدنا الكرامة المسلوبة ، وبه نعيد بناء صرح الوطن لبنة فوق اخرى ، وبه نتسلح لدرء المخاطر وتوقي المكاره ، وبه نتزود لقطع ما ينتظرنا من مراحل واشواط .

رسالة جيلنا

واذا كان جيل التحرير الذي قاده والدنا ونحن بجانبه، جيل المطالبة والنضال وجيل الصراع مع الغاصب لقلب الاوضاع والاحوال، فان رسالة الجيل الذي اولانا الله قيادته يجب ان تستهدف هدفين: اولهما، الحفاظ على الرصيد الموروث بدعم بناء الاستقلال وتحصينه. وثانيهما تحقيق المعاني النبيلة والاهداف البعيدة للاستقلال بضمان حرية الوطن والمواطنين، وصيانة كرامة الامة جمعاء.

ان هذين الهدفين سيظلان محور كفاحنا، وفلسفة حكمنا، ذلك ان استقلالنا الذي كلفت استعادته العرش والشعب جسيم التضحيات، هو مكتسبنا الوطني الاساسي، فالمحافظة عليه وعلى ما واكبه واعقبه من مكتسبات وطنية هو واجبنا الاول الذي يستوي المواطنون في تحمل اعبائه، وان ما دبر من مؤامرات على سيادة بلادنا في الخارج، وما صاحب ذلك من تفريط في الداخل لهو من ابرز العوامل التي جعلت جيل والدنا المقدس يجد نفسه امام الوضعية الشاذة التي عاشها هذه البلاد طيلة خمسين سنة، والتي لم يتم التخلص منها الا بغالي التضحيات وبالوحدة المرصوصة والوعي الشامل. ولقد كان ذلك الجيل بقيادة بطل التحرير في مستوى مسؤولياته، فعلى الجيل الحاضر الذي استلم الامانة، واخذ يقطف ثمار تلك الجهود ان يكون اهلا لتحمل الامانة الملقاة على عاتقه، بشكر النعمة، والتخلق باخلاق الصالحين الذين تعهد الله بان يورثهم الارض ما صلحوا وما استقاموا.

المغرب تحرر من المركبات

ان المغرب قد تحرر من المركبات، فحقق الجلاء وتبوأ مكانه بين الامم والشعوب، وساهم بعبقريته ونتاج فكره في حظيرة المنظمات الاممية والجهوية، ومد يد المساعدة للشعوب المكافحة لاسترجاع حريتها، وها هو يزاول بصفة عامة رسالته التاريخية التي تميز بها فاحلته المقام المحمود، والمكان المرموق.

والحفاظ على هذا المكتسب يقتضي منا صيانة كيان الاستقلال ودعم بنائه ومده كل يوم بمدد جديد، يزيد في متانة الرصيد، فسعينا متجه باستمرار لتأكيد الصبغة الذاتية لمغرب اليوم الواعي لمسؤولياته، الحر في اختياراته، المتشبع بطابعه واصالته، والذي يمد مخلصا يده للتعاون الحر النزيه على صعيد العلاقات الثنائية لكل دولة تحترم استقلاله ونظامه ويتعاون مع جميع الانظمة في حظيرة المنظمات التي نحرص على التقيد بالتزاماتنا فيها طبقا لمواثيقها واهدافها.

ودعم استقلالنا على هذا الشكل ومزاولة سلطاته بهذا المعنى ينبغي ان يبقى خطة المغرب الخالدة.

الاستقلال: تحقيق الكرامة البشرية

على ان هذا الاستقلال سيظل كلمة جوفاء، فارغا من محتواه، اذا لم يستهدف قبل كل شيء تحقيق الكرامة البشرية، واسعاد المجموع، ولذلك صرفنا منذ ان اولانا الله مقاليد الامور وقتنا وجهدنا لتحقيق هذا الهدف النبيل مؤمنين بان محاربة التخلف وضمان العيش الكريم هو الجهاد الاكبر، فمهما يكن لمزاولة السيادة من مفعول في اعلاء شأن الفرد والجماعة، وفي تقوية معنوية الشعب الذي لا يرضى الاستعباد ولا يقبل الهوان، فانها مع ذلك لا تكفي لتحقيق السعادة المنشودة، التي تتلخص طريق الوصول اليها في تعبئة الطاقات، واستغلال جميع الامكانيات لتحقيق العيش الكريم الكفيل بتحصين الاستقلال، وتوفير الضمانات اللازمة لدعمه وبقائه.

اننا قد ارسينا في ميدان التشريع والتطبيق قواعد الحرية في هذه البلاد، ووفرنا للافراد والجماعات الظروف الكفيلة بممارسة اوجه النشاط، وشجعنا التنافس الهادف السليم بين المنظمات السياسية والمهنية، وفسحنا المجال لمزاولة الحريات، ولم نقبل لها من حد الا القدر الذي يصونها عن العبث والفوضى، ويحميها من الشطط والطغيان.

واذا كانت التشريعات التي ارسينا بها قواعد الحرية في بلادنا قد اخذت تطبق منذ انبثاق فجر الاستقلال فانها قد تأكدت وتحصنت بالدستور الذي هو اسمى القوانين الوضعية.

سنستفتي شعبنا في التعديل

الملكية الدستورية: نظام اخترناه

ان الملكية الدستورية هي النظام الذي اخترناه واعتبرناه اصلح انظمة الحكم، لذلك بادرنا بوضع الدستور بمجرد تولينا مقاليد الامور، وحرصنا على ان يزاول ممثلوا الامة المنتخبون سلطاتهم في اطار النظام البرلماني مؤملين ان هؤلاء سيتفهمون حقيقة الدور

الذي دعوا للقيام به ، وان البلاد ستعرف جوا من التعاون بين السلطات لتدعيم الاستقرار ، الا ان التجربة اظهرت عكس ما كنا نتوقعه ونرجوه ، مما حملنا على اعلان حالة الاستثناء لانقاذ البلاد من التدهور الذي كان يتربص بها في جو الجدل العقيم الذي كان يعطل الجهود ، ويفوت الفرص .

مراجعة الدستور

وانه لمن المؤكد ان الثغرات التي تجلت في الدستور وفي ممارسته اثناء تلك التجربة ساعدت على التردي في تلك الوضعية التي عاشها برلماننا الفتي ، بيد ان اعلان حالة الاستثناء لم يكن في نظرنا سوى تدبير مؤقت اتخذناه في اطار صلاحيتنا الدستورية ، وقد صح منا العزم تمهيدا لانهاءحالة الاستثناء ، ان تتم مراجعة الدستور قبل العودة الى الحياة البرلمانية العادية ، تلك الحياة التي نحرص على ان نوفر لها الجو الصالح السليم ، لذا قررنا تأسيس لجنة ملكية لهذا الغرض تقترح علينا التعديلات التي تسد تلك الثغرات ، وبتلافي بها بالتالي الاسباب التي قد تعود بالنظام البرلماني الى سالف عهده ، الا ان التعديل الذي نعتزم ادخاله على الدستور ، والذي سنستفتي شعبنا فيه سيظل بدون مفعول ما لم تتغير المفاهيم في اذهان من ينتصبون لتطبيق بنود الدستور ، ويزاولون اختصاصات السلطات التي ينص عليها .

ولقد كنا نؤمل ان عهد حالة الاستثناء سيحمل الطبقة النيرة من النخبة التي تكون الاطارات الموجهة على العمل على تعديل مفاهيمها ، الا ان ما نسمعه ونقراه يدل على ان الحاجة ما تزال ماسة الى تقويم تلك المفاهيم .

معركة الارقام

لقد واجه المغرب في الفترة الاولى من عهد الاستقلال سلسلة من الاختيارات كان عليه ان يحدد مواقفه منها وكان لاختلاف الآراء حولها ما يبرره ، الا اننا قد اجتزنا هذه المرحلة بما ارسيناه من مبادىء اساسية حظيت بالاجماع الوطني ، وبما حققناه في ميادين السيادة والحرية من مكتسبات وطنية لا يمكن اعادة النظر فيها ، فاتضحت بذلك خطة العمل وتحددت الاهداف والوسائل ، اما اليوم فالمعركة التي نواجهها معركة ارقام ومعركة احصائيات ومعادلات حسابية ، فاصبحت هذه المعركة موضوعية وتقنية لا يتصور فيها الخلاف .

ولذلك ركزنا جهودنا منذ ازيد من سنتين في معالجة الوضع الاقتصادي الذي اعددنا له سلسلة من التدابير ، ووضعنا للنهوض به جملة من المنجزات والمشاريع التي دخل بعضها في طور الانجاز واخذ بعضها يجتاز مرحلة الدرس ، بينما طائفة منها اكتمل درسها وتبذل المساعي للحصول على تمويلها .

شعبي العزيز

لقد برهن المغرب قولا وفعلا على ان ايمانه بالعمل الدولي المشترك في نطاق منظمة الامم المتحدة ايمان لا تزيده الايام الا رسوخا ، ذلك لانه يرى في هذا العمل الدولي المتآلف انقاذا للحضارة من الدمار ، وانتشالا للشعوب المستضعفة مما تعانيه من تخلف اقتصادي واجتماعي ، وترسيخا لعقيدة الاسلام والامن والطمأنينة، وضمانا لتعايش سلمي بين الدول والشعوب على اختلاف مشاربها ومذاهبها .

وانطلاقا من هذا المبدا السامي الذي آمنا به ظل سلوكنا في ميدان السياسة الخارجية يتسم بطابع عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الاخرى مع احترام سيادتها واختياراتها ، والتعامل معها على مقتضى قواعد التعاون الدولي ، كما اعطينا لفكرة عدم الانحياز التي نلتزمها مدلولها الحي الذي يستهدف الحفاظ على حريتنا في التصرف والدفاع بمحض اختيارنا عن كل ما يلائم مصالحنا الوطنية ونرى فيه خيرا للمجموعة الدولية .

الاتصال المباشر

وفي اطار تمتين علاقاتنا بمختلف الدول وتبادل وجهات النظر في القضايا الدولية والمصالح المشتركة ، وادراكا منا لما للاتصال المباشر من فعالية وجدوى اتسع خلال السنة المنصرمة نشاطنا الديبلوماسي فاستقبلنا في مملكتنا ضيوفا سامين ، وزرنا بنفسنا دولا صديقة ، واوفدنا بعوثا من قبلنا الى عدد من الاقطار ، كما حلت ببلدنا وفود سياسية واقتصادية وفنية .

وهكذا سررنا بزيارة فخامة السيد لوبكه رئيس جمهورية المانيا الفدرالية وجلالة محمد رضا بهلوي شاهنشاه ايران ، وفخامة السيد حماني الديوري رئيس جمهورية النجير ، وفخامة السيد سانكور رئيس جمهورية السينغال ، وجلالة الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية ، وجلالة الملك حسين عاهل المملكة

الاردنية الهاشمية ، واثناء هذه الزيارات جرت بيننا وبين ضيوفنا السامين مذاكرات ومشاورات في جو من الود والصراحة والثقة ، وابرمت اثناء بعضها معاهدات واتفاقيات تقوي اواصر التعاون بين مملكتنا وبين دولهم الشقيقة والصديقة .

وقد لبينا من جهتنا بعض الدعوات التي تلقيناها لزيارة البلدان الصديقة ، فقمنا في الخريف الماضي بزيارة رسمية لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية حيث استقبلنا من قادته وشعبه استقبالا وديا تأكدت به العلاقات التي تربطنا به ، هذه العلاقات التي تجسمت في ابرام عدد من الاتفاقيات في مجالات التعاون الاقتصادي والتقني والعلمي والتجاري والثقافي .

وفي الشهر الماضي قمنا بزيارة رسمية للولايات المتحدة الامريكية خصنا خلالها رئيسها وكبار المسؤولين فيها وكذلك الشعب الامريكي باستقبال ودي تأكدت به اواصر الصداقة المكينة التي تربط المغرب والولايات المتحدة منذ عدة اجيال . وامتازت هذه الرحلة بالمذكرات والمساعي الهادفة الى تنشيط التعاون الاقتصادي والتقني بين البلدين ، كما اسفرت عن عقد اتفاق في ميدان التعاون الثقافي سيكون من نتائجه تأسيس جامعة جديدة بطنجة تفتح لبلدنا ولبلدان القارة الافريقية جمعاء آفاقا جديدة للمعرفة والتقدم .

نشاطنا الديبلوماسي

وقد ابرمنا ايضا خلال السنة المنصرمة عددا من المعاهدات والاتفاقيات نتيجة اتصالات وزارية متبادلة – على مستوى الوزراء والخبراء والموظفين السامين – بين مملكتنا والبلدان الصديقة .

وفي نطاق النشاط الديبلوماسي الذي نتوخى من ورائه توسيع آفاق بلادنا الإقتصادية والتجارية ، وفتح مجالات جديدة ومتنوعة امامها ، وجهنا وفدا اقتصاديا مهما الى اقطار أوربا الشرقية مستقصيا امكانيات انماء المبادلات التجارية معها ، وتزويد المغرب بمواد التجهيز التي تصنعها ، وقد ادت الاتصالات التي اجراها هذا الوفد الى نتائج ايجابية .

وتتميما للنشاط الذي بدأناه في سبيل التعاون الاقتصادي والتجاري والمالي مع الدول الغربية والشرقية زارت مملكتنا وفود عديدة تتألف من فنيين وخبراء ، ومن كبار رجال الاعمال جاءوا ليدرسوا مشاريعنا الصناعية والفلاحية قصد المساهمة في انجازها بالتمويل او الخبرة الفنية .

تعاون مكين مع جميع المنظمات العالمية الكبرى

وعلى الصعيد الدولي العام واصل المغرب سياسة التعاون المكين مع جميع المنظمات العالمية الكبرى والجهوية والهيآت واللجان المتفرعة عنها ، وحضر مؤتمراتها واجتماعاتها ووفى بجميع التزاماته وتعهداته نحوها ، وكانت مساهمتنا وتدخلاتنا ايجابية اثناء اجتماعات منظمة الوحدة الافريقية التي نومن بجدواها وفعاليتها في تقارب الدول الافريقية وتوحيد صفها ، وكذا اثناء الاجتماعات المنعقدة في ظل جامعة الدول العربية ، الا اننا نلاحظ ان المحيط العربي مع الاسف الشديد اسباب الخلاف والشقاق تتفاقم بين بعض دوله رغم ميثاق التضامن العربي الموقع من طرفها في مؤتمر القمة العربي الثالث بالدار البيضاء ، وقد سعينا وما زلنا نسعى في تبديد سحب الخلاف والتفرقة والبحث عن اسباب التقارب والتفاهم بين اشقائنا العرب ليتسنى للدول العربية في اطار جامعتها ان تدرس المشاكل التي تهمها وتستوجب عنايتها ، وخاصة قضية فلسطين التي يفرض تحريرها تضافر القوى واجتماع الكلمة وخلوص النية والعمل .

شعبي العزيز

لم تكن جهودنا بعد استرجاع استقلالنا مقصورة على ما أسلفنا بيانه من سعي دائب وعمل متواصل لتثبيت وجود بلادنا في الصعيد العالمي ، والقيام بالدور النافع المجدي في المحافل الدولية والمنظمات الاممية ، بل تناولت تلك الجهود حياة البلاد الداخلية ، واتجه تفكيرنا الى كل ما من شأنه ان يجعل من هذه الحياة حياة زاخرة بحركة لا تنقطع ، مؤداها وغايتها تقويم الاوضاع وتحسين الاحوال .

رخاء لجميع المواطنين

وانك لتذكر اننا اصدرنا في ربيع سنة 1965 التوجيهات التي استعرضنا فيها عدة جوانب من حياة بلادنا ، واوضحنا فيها ما لاحظناه من نقص يستوجب التلافي وخلل يستلزم العلاج ، ولم يمض على صدور توجيهاتنا الا مدة وجيزة حتى اخذنا على عاتقنا اخراجها من حيز النظر والتقرير الى مجال التطبيق والتنفيذ . فكان لزاما علينا ان نوثر بعنايتنا الميادين التي أوليناها

الاسبقية ،ونمنحها الحظ الاوفر من الدرس والتمحيص والاستيعاب ، فصوبنا النظر الى مصادر ثروة البلاد ، وامعنا التفكير في توسيع نطاق هذه المصادر وتيسير الاسباب الكفيلة بتحقيق الغاية المتوخاة في هذا المضمار.

وليست هذه الغاية الا توفير الرخاء لجميع المواطنين ، ونشر الازدهار بينهم في سائر الميادين ، لتكون جرياتهم وحقوقهم قائمة على اساس متين وصرح حصين .

وان من جملة الوسائل التي اعددناها لهذه الغاية انجاز الاصلاح الزراعي الذي سبق ان اعلنا عنه في توجيهاتنا ، فقد اصدرنا خلال سنة 1966 نصوصا قانونية تجسم هذا الاصلاح الزراعي الذي اردنا ان يكون مراعيا للواقع المغربي ولتقاليد البلاد .

وتتلخص هذه النصوص في تمليك الافراد المتوافرة فيهم شروط الاهلية والصلاحية ضيعات من اراضي الدولة واراضي المعمرين تمليكا يكفل لهم حق مزاولة استثمار الارض بمساعدة اعضاء اسرهم القاطنين معهم، ويجعل منهم اشخاصا مسؤولين يولون اكبر اهتمامهم لتقوية انتاجهم ، ويفرض عليهم الانخراط في تعاونيات يسهل معه استغلال القطع وتسويق المحصولات .

ولم يعزب عن بال الدولة ان طائفة من هؤلاء المستفيدين في حاجة الى المساندة والمساعدة ، فزيادة على ما تبذله الدولة لهم من ارشاد وتوجيه فقد يسرت لهم الحصول على قروض ليستطيعوا بفضلها مواجهة النفقات التي يقتضيها الاستغلال .

نصوص تشريعية خاصة بالاصلاح الزراعي

وانه لمن الطبيعي ان لا تفقد الدولة كل سلطة بشان هذه الضيعات بمجرد تمليكها ما دامت غايتها هي مضاعفة الانتاج ووفرة الموارد ، فقد نصت مقتضيات الاصلاح الزراعي على ان كل اخلال بالتزامات المستفيد من التوزيع ولا سيما الالتزام باستثمار واستغلال القطعة الارضية المبذولة له من شانه ان يعرضه الى سقوط حقه في الاستفادة . وفور اصدارنا للنصوص التشريعية الخاصة بالاصلاح الزراعي اخذنا في توزيع ضيعات باقليمي القنيطرة وبني ملال تبلغ مساحتها 5674 هكتارا ، منها 2552 هكتارا مسقية، وقد استفاد لحد الآن من هذا التوزيع عدد من الاسر يبلغ 701 اسرة ، وكان لهذا التوزيع الاثر الملموس في تشغيل اليد العاملة وارتفاع دخل المستفيدين منه بنسب تتراوح ما بين اربع وخمس ، وقد بلغت هذه النسبة سبعا في بعض الاحيان .

تجربة بدات تظهر نتائجها

ولئن كان التوزيع الذي بوشر لحد الآن محدود المدى ، فانما كان مجرد تجربة اردنا من ورائها ان تسير الخطى في هذا الميدان متسمة بالحكمة والروية ، اذ ليس من المعقول ان يتصف عملنا في هذا المجال الحيوي بالمجازفة والمخاطرة ، ويمنى بالفشل والاخفاق ، على ان هذه التجربة قد اخذت تظهر نتائجها وتوتي ثمارها ، واننا لنامل ان تفضي الى النتاج المنشود حتى يتسنى توسيع تطبيق الاصلاح الزراعي ، وتكثير عدد المستفيدين منه ، وبالتالي رفع مستوى العيش لاكثر عدد ممكن من الافراد والاسر ، وتحسين مستوى الدخل القومي بصفة عامة .

وليس منحنا حق الانتفاع باراضي المعمرين المسترجعة للعمالات والاقاليم الموجودة هذه الاراضي بترابها بمناف لما قررناه من تطبيق الاصلاح الزراعي على هذه الاراضي وعلى غيرها من اراضي الدولة والجماعات والجيش والاحباس، فلم نمنح الاقاليم ملكية الاراضي التي استرجعناها ، وانما خولناها حق استغلال هذه الاراضي بصفة مؤقتة ، لتنتفع بها في وجوه عيناها، وطبق مقتضيات حددناها ، ريثما تحين المناسبة لتوزيعها في نطاق الاصلاح الزراعي .

وغير خاف عليك ان مجموع هذه الاراضي الذي يبلغ 250 الف هكتار كان امر تسييره واستغلاله موكولا الى جهاز اداري ، وقد برهنت التجربة على ان طريقة هذا الاستغلال لم تات بما كان منتظرا منها ، فارتاينا بعد امعان النظر ومواصلة الدرس ان نتخذ تدبيرا نتوقع من ورائه العائدة الحسنة والخير العميم . وهذا التدبير يشكل منهجا طريفا لاستغلال هذه الاراضي استغلالا يحقق اللامركزية التي طالما اشدنا بها ونوهنا بفوائدها، اذ ستتضافر جهود الهيئات المنتخبة وجهود رجال السلطة المحلية للمحافظة على هذه الثروة الوطنية الطائلة ، ولاستثمارها استثمارا تتاتى بفضله غزارة الانتاج ، وتتوافر بسببه موارد العمالات والاقاليم .

وقد قررنا ان يخصص ربع هذه الاراضي لتمويل برامج تجهيز العمالات او الاقاليم طبقا للاهداف المحددة في مخطط التنمية الوطنية ، واخذا بسياسة توظيف الاموال على الصعيد المحلي .

واملنا وطيد ان تفضي هذه المبادرة الى النتيجة المطلوبة ، ويكتب لها ما هي خليقة بـه من نجـاح ، لان استفادة العمالات والاقاليم من ريع الاراضي المبذولـة لها سيفرض عليها ان تتحمل نصيبهـا الاوفر من تلـك الاعباء التي ترهق في هذا المضمار ميزانية الدولة .

واذا كنا قد شرعنا من النصـوص ما يقتضـي تمليك الاراضي في اطار نظام الاصلاح الزراعي ، وضمنا هذه النصـوص ما يدعـو اليه التبصـر من التحـري والاحتياط ، فاننا قد وضعنا حـق انتفـاع العمـالات والاقاليم في نطاق احكام قانونية تبين الدور الذي يجب ان تقوم به الدولة من حيث التخطيط ووضع البرامـج الفلاحية ومراقبة التسييـر ، كما تبيـن الالتزامـات المفروضة على هذه العمـالات والاقاليم فيما يرجـع للاستغلال والاستثمار وتدبير مختلف الشؤون .

وهكذا اقررنا هـذا النظام لاستغـلال الاراضـي المسترجعة كوسيلة اخرى من وسائل سعينا في تنميـة مصادر ثروتنا ونشر الرخاء وتوسيع رقعة الازدهار في انحـــاء مملكتنــــا .

الجهاز الاداري وتنمية الفلاحة

وما كنا لنترك الجهاز الاداري المسؤول عن تنمية الفلاحة واستثمار خيرات بلادنا الزراعية على الحالـة التي كان عليها بعد ما اقمنا قواعد الاصلاح الزراعـي واسندنا الى العمالات والاقاليم حـق الانتفاع بجملـة صالحة من الاراضي التي اصبحت ملكا للدولة ،ذلك ان التدابير التي اتخذناها في هذين الميدانين اقتضت منا ان نتصرف لدراسة الاوضاع الادارية لوزارة الفلاحة ، لنرى ما يستوجب منها المحافظة والابقاء ، وما يستدعي التقويم والتعديل،فتبين لنا من هذه الدراسة ان مكتب الاستثمار الفلاحي الذي خلف المكتب الوطنـي للري ، ومكتب التجديد القروي ورث اختصاصات كانت من الجسامة والاتساع والشمول بحيـث اثقلت كاهلـه ، وحالت بينه وبين اداء ما انيط به من مهام على الوجه الذي يبعث على الاطمئنان والارتياح ، فاستقر راينا على ان نعيد المياه الى مجاريها،وذلك باسناد بناء السدود الى وزارة الاشغال العمومية والمواصلات ، وقيـام وزارة الفلاحة والاصلاح الزراعي باستعمال الميـاه المدخرة المخزونة للسقي والاستثمار .

ولضمان الفعالية القصوى لاعمـال الاستثمار ، ولاعطاء الصبغة الاقليميـة للمؤسسـات العاملـة على التنمية الاقتصادية ، قررنا توزيع هذه الاعمال توزيعـا جهويا من شانه تفادي كل تاخيـر يمكن ان يطـرا على تنفيذ برامج التنمية الفلاحيـة ، بـدلا من تركيزها على الصعيد الوطني تحت مسؤولية مشرف واحـد ، كمـا قررنا الى جانب هذا ان نحقق تقاربا وتعاونا وانسجاما بين المستفيدين من الاعمال وبين المصالح المعهود اليهـا بتطبيق السياسةالفلاحية للحكومة على ضوء الاعتبارات الخاصة بكل اقليـــم .

مكاتب جهوية للاستثمار

وهكذا انجزنا لحد الآن احداث سبعـة مكاتـب جهوية للاستثمار في المناطق التي تتوافر فيها امكانيات شتى بفضل السقي لتقوية الانتاج الفلاحي .

وقد راعينا ان يشارك في اعمال المجالس الادارية لهذه المكاتب وفي اعمال لجانها التقنية اعضاء حكومتنا ، وطائفة من موظفيها الاداريين منهم والتقنيين، وعدد من المنتخبين في الصعيد المحلي ، وحددنا بكيفية مدققة عدد دورات عمل المجالس الادارية واللجان التقنية . فقصدنا من هذا العمل المشترك ان تتازر المساعي والجهود لما فيه خير الاقاليم ، كما قصدنا ان تكـون هذه المكاتـب الجهوية تشخيصا للامركزية التي نسعى لاقرارها كلما تبين لنا ان في اقرارها ضمانا للفوز والنجاح .

ولقد اصبحـت وزارتنا في الفلاحـة والاصـلاح الزراعي بعد تعديل اوضاعها تمارس اختصاصات مكتب الاستثمار عن طريق المكاتب الجهوية في المناطق المسقية، وبصفة مباشرة في الاجزاء الاخرى لمملكتنـا ، وكان من الضروري بعد هذا ان تتوفر مصالحها على جهاز اداري نيط به مهمة السهـر على شـؤون المكاتـب الجهوية للاستثمار ، فاحدثنا بها مديرية لتكون اداة فعالة يمكن ان يعتمد عليها الوزير في ممارسة ما هو مطوق بـه من مسؤوليات في هذا المضمار .

واننا لنرجو من وراء هـذا الاصلاح ان يستفيـد الفلاح من برامج الاستثمار ومن اعمال المكاتب الجهوية، وان يكون مدعاة له لمضاعفة الجهود حتى يساهم بالحظ الاوفى في معركة التنمية التي نخوضها بعون الله والقين بالنصر المبين .

ولن يكتب النجاح لسعينا المتصل قصد مضاعفـة الانتاج الفلاحي ، وتنميـة هـذا المصدر الحيـوي من مصادر ثروتنا الوطنية ، الا اذا اعددنا جميع الوسـائل الكفيلة ببلوغ الغاية ، ووفرنا جميع حظوظ الاستثمار الذي لا يقتصر على سـد حاجياتنـا فحسـب ، وانما

يتجاوز سد هذه الحاجيات الى امدادنا بالمحاصيل التي نستطيع بتصديرها وتسويقها الحصول على ما يعوزنا من ادوات التجهيز او ما نرغب فيه من تكثير مواردنا من العملة الصعبة ، ولذا فقد اتجهت عنايتنا الى بناء السدود ، ليتأتى لنا توسيع نطاق السقي ، واستثمار انتاجنا للطاقة الكهربائية الضرورية لنمونا الاقتصادي ، اكبر مساحة ممكنة من اراضينا الزراعية ، وتقوية وكبح جماح الانهار ، وتذليل تدفق مياهها تذليلا يدرا عنها اخطار الفيضانات وفقدان التربة .

دراسة حوض سبو قصد استغلال مياهه

واول ما استرعى اهتمامنا ناحية الغرب الخصبة التي تصاب مرة بعد اخرى بفيضانات من جراء اكتساح نهر سبو وروافده لهذه الناحية التي كثيرا ما منيت بخسائر جسيمة ، وقد اسفر هذا الاهتمام عن القيام بدراسة لحوض سبو قصد استغلال مياهه لتجهيز الاراضي التي يتخللها هذا النهر ، وهكذا انشأ المشروع الذي يعرف بمشروع سبو ، ويكفي للدلالة على اهميته ان الامر يتعلق بمساحة تبلغ اربعة ملايين من الهكتارات وبعدد من السكان يبلغ ثلاثة ملايين نسمة ، وبفضل مياه سبو وروافده والاراضي الصالحة التي تخترقها هذه الانهار ، وخاصة اراضي اقليمي فاس ومكناس ، ستصبح هذه المنطقة في ظرف 25 عاما منطقة تربة غنية نامية الى اقصى حدود النمو ، وستتوفر هذه المنطقة بعد الفراغ من انجاز المشروع على اثنى عشر سدا على انهار ورغة ، وبناون، وسبو ، وسيكون اهم هذه السدود سد مجارة ، وسد عربات وسد دار العرصة ، ومن شأن هذه السدود ان تمكن من سقي مساحة تبلغ 300.000 هكتار ، ، منها 250 الف هكتار من اراضي الغرب الصالحة لزراعة الحوامض وقصب السكر ونباتات الرعي والأرز والقطن والشمندر ، كما ستتيح احداث معامل لتمويل وتكييف المنتجات الفلاحية وتزويد هذه المعامل وجزء من تراب مملكتنا بالطاقة الكهربائية ، وسيكلف تحقيق هذه المنجزات تخصيص اعتمادات قدرها 300 مليار من الفرنكات تصرف على التوالي طيلة ثلاثين عاما .

ولما كان هذا المشروع العظيم من الاهمية حجما ومردودا بالمكانة التي ذكرناها ، فقد اتصلنا بالمنظمات الدولية التي تتبعت بواسطة البنك الدولي المرحلة الاخيرة من الدراسة ، واستقر الراي على ان يقترح في الايام المقبلة تمويل المرحلة الاولى من انجاز هذا المشروع وهذه المرحلة تخص جانبا من ناحية الغرب ، وستبدأ بتشييد سد عربات على نهر بناون الذي يستغرق تشييده اربعة او خمسة اعوام ، يتسنى بعدها سقي 80 الف هكتار واستثمارها .

عناية باقليم تافيلالت

ولم يقف اهتمامنا عند نهر سبو وروافده والمنطقة التي يمر بها هذا النهر ، بل وجهنا عنايتنا الى اقليم تافيلالت ، الذي لم يظفر طيلة مدة الحجر والحماية ، بما هو قمين به من رعاية والتفات ، والذي يصاب هو ايضا بخسائر جمة ، كلما امتد فيضان نهر زيز الى الاراضي المجاورة ، فصح عزمنا على بناء سد على هذا النهر ، وخاطبنا مشاعرك والاريحية التي جبلت عليها ، فكان لخطابنا في نفسك الاثر الحسن الذي توقعناه ، وقبلت راضيا مبشرا ان تتحمل نفقات بنائه وانجازه، وقد عهدنا الى شركة امريكية ، تعد من اكبر شركات العالم ، بالقيام بالدراسات الضرورية فتم اختيار موقع السد ، ورسمت خصائصه وصفاته وسيشرع في اعمال البناء في نهاية السنة الحالية ان شاء الله ، على ان الاعمال التمهيدية لهذا البناء ، وتجهيز اراضي منطقة السد تباشر من الان بتعاون بين مختلف الوزارات .

مساعدات من دول شقيقة وصديقة

وما كانت عنايتنا بالمنطقتين السالفتين لتنسينا مناطق اخرى من بلادنا جديرة بان تنال حظها من تفكيرنا وجهودنا المتلاحقة لتساهم بدورها في التنمية التي نريد ان تكون شاملة غير محدودة وشاملة غير مقصورة ، فكان حقا علينا ان نوجه نظرنا الى نواحي الجنوب من مملكتنا ، ونعمل على تجهيز اكثر عدد ممكن منها ، استبدالا للركود بالحركة المثمرة فيها ، وتنشيطا لها بتيسير وسائل الاستثمار ، والحاقا لها باخواتها المحظوظة ، فعقدنا النية على بناء سد آيت عادل على نهر تاساوت ، ودشنا بنفسنا الاعمال الاولى لبنائه ، وستقوم بانجازه شركة المانية ، الا اننا سنقترض المبالغ المالية لتمويله من دولتين تربطنا بهما امتن روابط الصداقة والاخاء ، وهما الكويت وايران ، كما اتخذنا قرار اقامة سد بزاوية نوربياز في اثناء زيارتنا الاخيرة لاقليم ورزازات ، وقد تكفلت هيأة روسية بالقيام بالدراسات اللازمة لاقامته ، وقبلت صديقتنا دولة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ان تقرضنا المبالغ الضرورية لتمويله ، هذا وقد اصدرنا

منذ مدة يسيرة امرنا باعداد الدراسات قصد بناء سد سيدي ادريس على النهر الاخضر ، وسدين آخرين احدهما بسوس والاخر بماسة ، وهكذا ستتوفر البلاد بعد سنوات معلومة على طائفة من السدود سيكون لها الدور الفعال بما تغدقه من مياه صالحة للسقي في تبديل ملامح جملة من الاراضي وجعلها بعد الجدب والامحال مخصبة معطاء ، فكلما احدثنا سدا وادخرنا ماء اتسعت رقعة استثمار اراضينا ، وقوي دخلنا ، وتضاعفت مواردنا ، وامكننا بارتفاع الدخل وازدياد تلك الموارد ان تتوافر لدينا وسائل التجهيز النافعة وتمتد اسباب استغلال ثرواتنا ، واذا كانت احوال الطقس وتزايد عدد السكان وتصنيع البلاد ورغبتنا في تنمية الاستثمار تفرض علينا ان نبث السدود في سائر انحاء مملكتنا ، فان رغبتنا في ربح الوقت شديدة ، وحرصنا اكيد على ان تباشر اعمال تجهيز الاراضي في الوقت الذي تقام فيه السدود وتبنى ، وقد اصدرنا امرنا بان تسير اعمال التجهيز والبناء متوازية يواكب بعضها بعضا ، وعلى الرغم من هذه الرغبة وهذا الحرص فان انجاز ما اعددناه من مشاريع في هذا الميدان لا يمكن ان يتم في بضعة ايام او بضعة شهور ، ولا مناص لتحقيق هذه الاعمال من آجال تستغرق عددا من السنين .

مقارنة

ولتدرك شعبي العزيز مدى اهتمامنا بامر السدود وما نتيط بها من آمال ، فما عليك الا ان تقارن بين المساحات المسقية الان والمساحات التي سيمتد اليها السقي بعد بضعة اعوام ، وان تعلم ما لدينا من طاقة كهربائية وما سيكون لنا منها في مستقبل الايام ، فالمساحات المسقية في الوقت الحاضر لا تتجاوز 175 000 هكتار ، وما نتوفر عليه من طاقة كهربائية لا يتعدى مليارا و 300 مليون من الكيلواط ، في حين ان السقي سيشمل بعون الله مليون هكتار من اراضينا الفلاحية ، وان الطاقة الكهربائية سيرتفع قدرها الى ثلاثة ملايير .

شعبي العزيز

لقد باشرنا باحداث مكتب التسويق والتصدير تجربة صدقت ما تفاءلنا به ونحن مقدمون عليها ، اذ اسفرت عن النتائج المنشودة والارباح المطلوبة ، واتجه سعينا طوال السنة السالفة الى تثبيت اقدام مكتب التسويق والتصدير ، والى جعل عمله داخل البلاد وخارجها اوسع مدى واكثر نفعا وجدوى ، ولم ننتظر ان يتسع نطاق انتاجنا لاجراء الاتصالات بالاسواق التقليدية وغيرها من الاسواق العالمية بغية ايجاد المنافذ لبضائعنا ومحصولاتنا .

ولنا اليقين بان انتاجنا وان تزايد وتضاعف لن يكون كلا على كاهلنا بل سنجد فيه منبعا من اغنى منابع ثروتنا ، وموردا من اوفر موارد بلادنا .

الانعاش الوطني

ولم تنحصر مساعينا وجهودنا فيما اسلفنا ذكره من تطبيق الاصلاح الزراعي ، ووضع نظام لاستغلال الاراضي المسترجعة ، واعادة النظر في اوضاع وزارة الفلاحة والاصلاح الزراعي ، وفي تقرير بناء عدد من السدود ، بل عنينا بالانعاش الوطني ، فعملنا على ان تطرد الاشغال في الميادين التي رسمناها له بصفة تزداد معها ساعات العمل، ويرتفع بها عدد العاملين في الاوراش وتدرك الغايات التي من اجلها اسسنا هذه الطريقة ، وقد كانت النتائج سارة خلال سنة 1960 اذ استطعنا ان نرفع ايام العمل الى ما يناهز 20 مليون يوم ونشغل باستمرار 97 500 عامل فبنينا 500 كيلومتر من السواقي، و 93 صهريجا، و 17 حوضا ، و 10 خزانات صغيرة ، واستصلحنا 1100 هكتار من الاراضي ، وحمينا 15 000 هكتار من التربة ، وشيدنا 3 000 كيلو متر من طرق المواصلات و 5392 منزلا

ولم تقل عنايتنا بالمشروع الضخم الخاص بالنمو الاقتصادي للريف الغربي ، فكان له هو ايضا المكان المرموق من رعايتنا وعنايتنا ، الا ان انجاز هذا المشروع يتطلب نفقات لا يمكن ان تنهض بعبئها الدولة وحدها ، ولذلك فقد طلبنا مساعدة المؤسسات الدولية ليتأتى لنا من هذا العمل ما نريد ، ويطيب لنا ان ننوه هنا بما عرضته علينا بعض الدول الصديقة من مساهمة في تحقيق هذا المشروع الذي سيفيد منه اقليم الشمال وسكان هذه الناحية اجزل الفوائد واسناها .

بعد الفلاحة ... الصناعة

وليست الفلاحة ووسائل تنمية الفلاحة على ما تكتسيه من اهمية بالغة في هذه البلاد بكافية وحدها لخلق ذلك الازدهار الشامل الذي تتوق اليه مطامحنا وتتطلع اليه رغائبنا ، فقد كان وما يزال حرصنا شديدا على ان نهيء لبلادنا جميع اسباب النمو ، ونمهد لها سائر سبل التقدم والرقي في مختلف الميادين ، فلم

تنصرف همتنا الى الفلاحة دون الصناعة ، ولم تستأثر الصناعة بتفكيرنا وحدبنا دون غيرها من وجوه العمل المثمر ، فالى جانب ما كنا نبذله من جهود متواصلة قصد استخراج اكثر الثمرات من بطون الارض ، كنا نوالي السعي لاحداث صناعات جديدة ، او لتقوية الصناعات المنتشرة ببلادنا، ولمضاعفة انتاجها ، واستعمال وتحويل موادنا الطبيعية وتشغيل اكثر عدد ممكن من اليد العاملة ، واستطعنا فى هذا الميدان ان نوزع صناعاتنا على جهات مملكتنا التي كانت محرومة من التصنيع ، وان نتخذ التدابير الضرورية لتحسين احوال مؤسسات الدولة او المؤسسات التي تشترك فيها اموال الدولة والاموال الخاصة ، وذلك من الوجهات الفنية والمالية والتجارية ، فتناول اهتمامنا صناعات التغذية والنسيج وتركيب الآلات الفلاحية والسيارات والشاحنات واجهزة الراديو والتليفزيون ، وكذلك الصناعات المتممة لها ، وهكذا احدثنا معملين لصناعة السكر ، احدهما ببهت ، والآخر بتادلة ، وابرمنا عقدا لاحداث معمل ثالث بابن القصيري سنضع حجره الاساسي فى الايام القادمة ، وسينتج كل سنة ابتداء من شهر مايو سنة 1968 : 000 50 طن من السكر الخام ، فعلاوة على ما نستفيده باحداث هذه المعامل من توسيع نطاق الاستثمار بزراعة الشمندر ، فاننا سنوفر للبلاد شيئا فشيئا بوسائلها الخاصة ما تدعو الحاجة اليه من السكر ، وسنسير كلما احدثنا معملا من هذا القبيل فى طريق الاكتفاء والاستغناء عن الاستيراد ، وان من المفيد فى هذا الباب ان نشير الى الاتفاق الذي حصل بيننا وبين شركة تكرير السكر بالدار البيضاء ، فقد ادمجنا بهذا الاتفاق فى دائرة خطتنا الرامية الى صنع السكر ببلادنا معملا من اكبر المعامل لتكريره ، فاذا اضفنا الى هذا ان معملا لاستخلاص الزيت هو الان فى طور الانجاز بالقنيطرة ، وان معملا آخر لتحويل الذرة انشيء بالدار البيضاء ، وان هذين المعملين يتطلبان توظيف مليارين و 800 مليون من الفرنكات امكنك شعبي العزيز ان تكون على بينة من مقدار استثمار الاموال الذي تستدعيه صناعتنا الفتية ، هذا فضلا عن الاستثمارات الاخرى التي تستوجبها صناعات النسيج وتركيب السيارات والشاحنات وغيرها من الآلات .

اهداف فى نطاق التخطيط الثلاثي

وبتضافر جهود الدولة والجهود الخاصة امكننا ان نبلغ فى ميدان التصنيع طائفة من الاهداف التي ينص عليها مخططنا الثلاثي .

ولم يفتنا ان نعير بالغ الاهتمام لثروتنا المعدنية، لما بين هذه الثروة والتصنيع من صلة ماسة ، ولما بين استغلالها وتنشيط قطاعات ومرافق كالنقل والطاقة والموانيء من علاقة متينة ، فقد عنينا بالفوسفاط وبوسائل تحسين انتاجنا وبالمحافظة على المكانة المأثورة التي تحتلها بلادنا بين سائر الدول ذات الانتاج الغزيز والتصدير الوفير ، ولقد شرعنا فى استغلال منجم ابن جرير على الرغم من توفر بلادنا فى المناطق المعروفة على الكميات الطائلة من الفوسفاط ، كما عنينا بمادة البوطاس فانصرفت الجهود الى التنقيب عن هذه المادة بحوض الخميسات قصد معرفة ما لدينا منها ودراسة تعدين المنجم واستغلاله ، وسيكون ولا شك لهذا الاستغلال اثره الفعال فى انمو منطقة الخميسات وازدهارها،فضلاعما سيساعد عليه من صنع مجموعة الاسمدة التي تزداد رغبة الاسواق العالمية فيها يوما بعد يوم ، هذا وان العمل متواصل للتنقيب عن بقية المعادن واستغلالها سواء من طرف الدولة او من طرف القطاع الخاص — وجدير بالذكر فى هذا المقام ان نشير الى اننا ابرمنا اتفاقا مع شركة اسوسطاندار الذائعة الصيت يقضي بالسماح لها بالبحث عن النفط فى البحر قرب اقليمي اكدير وطرفاية ، وبالاضافة الى ما يقوم به معملا المحمدية وسيدي قاسم من تكرير للنفط والعمل على سد حاجيات البلاد بهذا الشأن ، فان صناعة الزفت ببلادنا ستبرز للوجود فى مستقبل قريب بمساعدة هذين المعملين ، وان من شأن التنقيب عن المعادن واستغلالها وانشاء معمل لمركب الصلب باقليم الناضور ان يكون كل هذا عملا قويا فى تنمية وتوسيع مرافق النشاط الصناعي .

وليس انطلاق النمو الاقتصادي كما نريد ان يكون الامر الميسور اذا كان التجهيز الاساسي للبلاد لا يستجيب لمتطلباته اما لانحصار شبكته فى نطاق ضيق محدود ، واما لتلاشيه واندثاره بسبب القدم والبلى وقلة التعهد ولذلك فلم تكتف ببذل الجهود قصد صيانة تجهيز بلادنا والاحتفاظ به كأداة صالحة خليقة بمسائدة الانطلاق المطلوب بل عملنا على تحسين هذا التجهيز وتوسيع شبكته فانتظم عملنا هذا الطرق والموانيء والملاحة الجوية والاسطول التجاري والطاقة الكهربائية والسكك الحديدية والمواصلات البريدية والسلكية واللاسلكية ، فاتممنا تشييد الطرق الثلاثية التي اوجبتها اقامة معملين لصنع السكر ببهت وتادلة والطريق الواصلة بين مدينتي وجدة وفكيك عبر بوعرفة وكذلك الطريق الممتدة بين كولمين وطانطان والعمل موصول

لاتمام تشييد الطريق التي ستربط بين اقليمي قصر السوق وورزازات ، وسنفرغ ان شاء الله من هذا العمل فى نهاية السنة الحالية ، والى جانب هذا فان جهات من شمال مملكتنا سيتصل بعضها ببعض بما تقوم به مصالحنا المختصة من انجاز للمشاريع فى هذا الميدان ولتقوية جهاز مواصلاتنا بصفة عامة فان هذه المصالح عاكفة الان على دراسة مشاريع اخرى نامل ان تنتهي خلال السنة الحالية ليتأتى لنا انجاز هذه المشاريع وتحقيقها .

تشييد ميناء جديد ، وتوسيع عدد آخر من الموانىء

ولقد امكننا ان نتم فى العام الماضي تشييد ميناء المضيق وتوسيع ميناء الدار البيضاء وميناء طنجة وميناء آسفي وان نواصل الدراسات لاحداث ميناء الناظور فى اقصر الآجال لما بين انشاء هذا الميناء وبين مركب الصلب الذي نعتزم اقامته من صلة وثيقة ، هذا بالاضافة الى ما سيترتب عن وجود هذا الميناء على شاطىء البحر المتوسط من امكانيات ستتوفر عليها عند ما تحقق استثمار الاراضي التي سوف يسقيها مشروع قليلة الذي تم انجازه وسيكون هذا الميناء منفذا لثروة اقليم المغرب الشرقي تلك الثروة التي لا تخفي عليك اهميتها والتي تزداد يوما بعد يوم بالاستثمار والانماء .

المنطقة الحرة التجارية بطنجة

ولم تنقطع عنايتنا بطنجة التي اسسنا فيها منطقة حرة تجارية فقد وصلنا هذه العناية بالاهتمام باحداث منطقة صناعية حرة بها ، وبعد الفراغ من الدراسات التي يقتضيها مثل هذا المشروع اصدرنا اوامرنا بابرازها الى الوجود ، وها هي الان فى طور الانجاز والتحقيق ، على ان عنايتنا بمدينة طنجة لا تنحصر فى هذا فقد اولينا جانب السياحة منها حظا من اهتمامنا فوجهنا مصالحنا المختصة التوجيه الكفيل بجعل هذا المقرنا الجميل اكثر جاذبية واقوى استمالة للنفوس .

المطـــــارات ...

ولم تقف جهودنا فى مضمار التجهيز عند هذا الحد اذ بالاضافة الى ما قمنا به من تمديد رصيف اقلاع الطائرات ونزولها بمطار سلا وتجديد ابنيته ومرافقه حتى صار مطارا دوليا فاننا سنشرع فى الايام المقبلة فى تحويل ما كان قاعدة بالنواصر الى مطار لا تفصل بينه وبين الدار البيضاء الا مسافة يسيرة يتوفر من حيث الامكانيات على ما تتوفر عليه عادة المطارات الكبرى ذات الصبغة الدولية والصيت الذائع .

توسيع الشبكة السلكية واللاسلكية

ولنا اليقين شعبي العزيز بان الجهود التي صرفناها الى تيسير الاتصال البريدي وتوسيع الشبكة السلكية واللاسلكية ستفضي بنا الى تحقيق اهداف المخطط الثلاثي الرامية الى اقامة اجهزة لربط المواصلات البريدية وبعدد كبير من المناطق التي كانت تنتظر لحد الان اكتمال تجهيزها والى تسهيل الاتصال المباشر بين مدننا الكبرى من جهة ، وبين مملكتنا وباقي اقطار العالم من جهة اخرى ، وان الجهاز الضخم الذي تم انجازه بالدار البيضاء لخليق بان يعتبر بمثابة المحرك الحيوي لمجموع شبكة اتصال مدننا بعضها ببعض او اتصالنا بالخارج ، وبهذا سنكون قد ضمنا الاسس اللازمة لتمتين واحكام اسباب مواصلاتنا سواء كانت هذه المواصلات داخل البلاد او مع اقطار المعمور .

وقد تم خلال السنة المنصرمة توحيد الشبكة السلكية واللاسلكية بالغاء الامتياز الذي كان مخولا لشركة التلفون بطنجة ، كما تم ربط خطوط التلغراف والتليكس المباشر بين طنجة والعواصم الامريكية والاسيوية ، وقد تحقق منذ بضعة ايام الاتصال المباشر باقطار المغرب العربي وامكننا ان نتخاطب عن طريق الهاتف صديقنا الهمام فخامة رئيس الجمهورية التونسية ولن تمضي الامدة يسيرة حتى يمكننا الاتصال الاوتوماتيكي بمختلف العواصم الاوربية .

ولا يعزب عن اذهاننا ما لهذه المواصلات على اختلاف اشكالها وهذه التجهيزات على تعدد اصنافها من اثر فعال فى تنشيط حركة السياحة ببلادنا وانبعاث اقتصادنا .

التوفير والادخار

شعبي العزيـز

اننا بعد ما استعرضنا طائفة من المنجزات والمشاريع التي من شأنها ان تحقق الانبعاث الاقتصادي نود ان نسترعي نظرك الى اهمية عامل من انجع العوامل فى مجال التنمية والازدهار ذلك العامل هو التوفير والادخار الذي اتاح لبعض الشعوب المساهمة فى تطوير

اوضاعها الاقتصادية وسيكون من بواعث مسرتنا وابتهاجنا ان تسلك مسالك هذه الشعوب وذلك باقبالك على الادخار والتوفير اقبالا يتسنى معه ان تاخذ بالحظ البالغ فى المعركة التي تخوضها من اجل تقوية الانتاج وتنمية الاقتصاد ولذا فاننا نهيب بك شعبي العزيز ان تعتبر هذا الادخار وهذا التوفير واجبا وطنيا اكيدا لا تنحصر فائدة القيام به على الفرد وحده بل تعم سائر المواطنين .

وتقديرا منا لاهمية الادخار فقد اعدنا النظر فى تنظيم صندوق التوفير وعملنا على تبسيط الاشتراك فيه تبسيطا يجعل الادخار فى متناول افراد شعبنا على اختلاف مستوياتهم ، ويكفل رفع الحد الاعلى للتوفير الفردي ، وقد اصدرنا امرنا لوزيرنا فى البريد بان يقوم فى المستقبل القريب بتنظيم حملة للتوفير الوطني تستمر مدتها اسبوعا كاملا ستبرهن خلاله ولا شك عن وعيك وتبصرك وحرصك على ان تكون بلادك فى طليعة البلاد التي تربأ بنفسها عن التخلف وتأبى التواكل والتقصير .

السيـــاحـــــة ...

وعلاوة على هـذه الجهود المبذولـة فى الميادين الاقتصادية ، والعناية المصروفة لتنميتها اولينا وافر الاهتمام ايضا للسياحة التي حظيت بالاسبقية فى المخطط الثلاثي لما يترتب عن وفادة السواح باعداد وفيرة على بلدنا من انتعاش كثير من الصناعات والمرافق وتشغيل لليد العاملة ، وتوفير للعملة الصعبة ، وازدياد تعرف الناس فى الخارج على مظاهر شتى من حضارتنا وصنوف عديدة من عاداتنا وتقاليدنا .

وقد اسفر توجيهنا الفعال فيما يخص التنمية السياحية عن اعطاء تشجيعات فى ميدان البناء ، فبرامجنا تستهدف من جهة تكثير وسائل الايواء ، وتستهدف من جهة اخرى النهوض بالمناطق المحرومة والاقاليم التي ينقصها التجهيز الكافي ، وقد ظهرت اعمالنا فيما شيد من الفنادق والمنشئات باقاليم ورزازات وقصر السوق وتطوان والحسيمة والناضور ، وما عبدنا فيها من طرق ، وبنينا او وسعنا من مرافىء ومطـــارات .

وقد اوصينا ادارتنا بتشجيع الشركات الخاصة على الاسهام بحظوظ وفيرة فى الميدان السياحي ، وتقوية تكوين المسيرين للمراكز السياحية فى الشمال والجنوب على السواء ، ووجهنا عنايتنا الى تعزيز النقل البحري لتيسير قدوم السواح الى مملكتنا عبر مضيق جبل طارق ، فأسسنا شركتين بحريتين قوميتين ، وشرعت الخطوط الجوية الملكية فى توسع علاقاتها مع الخارج توسيعا سينمو شيئا فشيئا حتى يمتد الى جهات عديدة من المعمور .

ولما كانت الجمعية العامة لمنظمة الامم المتحدة نادت بجعل السنة الحالية سنة دولية للسياحة ، قررنا اتخاذ جميع التدابير الكفيلة بتسهيل قدوم السواح الى بلدنا وتيسير الاقامة المريحة لهم فى سائر الجهات، مع مضاعفة العناية بالتعريف ببلدنا فى مختلف البلاد الاجنبية لترغيب سكانها فى زيارة وطننا للوقوف على مآثره التاريخية ، ومعالم نهضته الجديدة ، الى جانب الاستمتاع بجمال طبيعته الفاتنة ، وحسن استقبال شعبه الكريم المضياف .

زيارة متعددة للاطلاع على الاحوال

واذا كانت اجهزتنا من حكومية وادارية ، تتابع منها النشاط وتوالي المجهود تخطيطا وتدبيرا لخلق الازدهار المنشود ، وتيسير الانتعاش المأمول ، فان المؤسسات التمثيلية الاقليمية والمحلية لم تكن فى معزل عما تتقلب فيه البلاد من اعمال عمرانية ونشاطات استصلاحية وتجهيزية مفيدة ، بل شاركت فيها برزانة وواقعية ، ولما لنا من ايمان بان الاتصال المباشر المستمر مع رعايانا هو خير وسيلة للاطلاع على احوالهم ومعرفة احتياجاتهم والاستماع الى رغباتهم ومطالبهم لم نفتأ نتجول فى اطراف البلاد ، ونعرج على القاصي منها والدان ، وقد زرنا فى السنة المنصرمة اقاليم قصر السوق وورزازات وبني ملال وعمالة الدار البيضاء، واقليمها ووقفنا فى عين المكان على مشاكلها واتخذنا التدابير المتعينة لحلها ، واجرينا فى كل مكان اتصالات مباشرة نعتبرها ابرز مظهر للتجاوب العميق القائم بيننا وبين شعبنا الملتف حول عرشنا .

تنميـة المجتمع ...

واثر الخطاب الذي وجهناه بمناسبة الذكرى الاخيرة لميلادنا ظهرت جدوى العمل المتسق بين السلطات والسكان بصورة خاصة فى مجال تنمية المجتمع ، فقد تم تحت اشراف وزارة الداخلية ، بناء ما يقارب سبعة آلاف مسكن فى عمالات القنيطرة وقصر السوق ووجدة وتطوان وآسفي فتحقق بذلك فى وقت قصير ضمان السكنى للمنكوبين بالكوارث الطبيعية ، كما تجلت فائدة ذلك التعاون فى المجال الفلاحي باقليم بني ملال على وجه اخص ، حيث فتحت آلاف الاوراش ومدت مجاري الماء فى الاطراف الصحراوية من مملكتنا

اهتمام باجهزة الاعلام

وقد قررنا احداث اقاليم جديدة تقريبا للسكان من رجال الادارة ، وسيرا في طريق اللامركزية التي نعتقد انه يعين على خلق الازدهار المنشود ، ولم نفتأ نعير وسائل الاعلام الاهتمام الجديرة به ، توعية للمواطنين ، وتنويرا لاذهانهم واطلاعا لهم على المنجزات التي تحققها الدولة لفائدتهم ، وتعريفا بما تقطعه الامم المتقدمة من اشواط في المجالات العلمية والاقتصادية والاجتماعية ، وقد اعيد تنظيم الاذاعة والتلفزة المغربية على اسس جديدة ، وقطعت اشواط في تنفيذ المخطط الخاص بالتلفزة فامكن بالمحطات التي تم بناؤها وصولها الى اقليمي وجدة والناضور ، كما سيمكن بالمحطات التي تبنى الان نقلها عبر الاطلس الى اقليم سوس .

هدفنا من انشاء وزارة للتنمية

ومن البديهي ان هذا المجهود الجبار الذي يشمل ميادين عديدة ويتطلب امكانيات كثيرة لا يمكن ان يؤتي ثمارها المرجوة الا اذا تناسقت الخطى وتجانست الاعمال ، وهذا ما تضطلع به وزارة التنمية التي انطنا بها تحريك وتنسيق جميع الاعمال الهادفة الى [illegible]ق ازدهار اقتصادي في البلاد .

ولما كانت المخططات لا ترتجل نظرا لما يترتب عن تنفيذها من آثار عميقة بعيدة المدى فان لجانا مختصة من الفنيين المغاربة بما فيهم الاحصائيين التابعين لوزارة التنمية تجتمع باستمرار وتعمل على اعداد المشاريع الجديدة التي سيتضمنها المخطط المقبل ، هذا المخطط الذي سيحتفظ بالاسبقيات التي اشتمل عليها المخطط الثلاثي مع اضافة الصناعة ، ولا سيما الصناعة التي لها ارتباط بالانتاج الزراعي .

التكوين المهني

ان مخططات التنمية وما بيناه من برامج ومشاريع مرهون نجاحها بتوفير الاطارات ، ومضاعفة الجهود في ميادين التكوين العلمي والتقني وهذا ما تعني به جميع الوزارات في الوقت الراهن،وتقوم كتابةدولتنا في التكوين المهني بدور هام في توجيه الطلبة الذين ينهون تعليمهم الثانوي توجيها يتلاءم واحتياجات البلاد ، مع مراعاة ما لهم من ميول واستعدادات لكن ما تخرجه الثانويات كل سنة من حاملي شهادة البكالوريا لا يفي بمتطلباتنا منهم ولا سيما المتخرجين من الشعبة العلمية الذين لا يزال عددهم قليلا ، فقد احرز في الصيف الماضي 1712 طالبا على شهادة البكالوريا بقسميها العربي والفرنسي ، لا تتعدى نسبة الذين كانوا يتابعون الدراسات العلمية منهم 35 في المائة ، اما طلبة التعليم العالي بالمغرب البالغ عددهم 8.503 فان نسبة الذين يتابعون منهم دروسهم بالكليات والمعاهد ذات الصبغة العلمية لا تتعدى 21 في المائة لكن هذه النسبة تبلغ 90 في المائة بالنسبة للطلبة الممنوحين الذين يتابعون دراستهم العالية بالخارج ، والذين يبلغ عددهم 1.894 طالبا ، وما لم تتكاثر اعداد الحاصلين على البكالوريا العلمية بالخصوص فان احتياجات التنمية الى اطر وطنية كافية وافية ستبقى في خصاص كبير ، وهو امر لا تخفى علينا خطورته ، لهذا قررنا ان لا تعطي الدولة منحا الا للطلبة الذين سيفيدون البلاد بخبرتهم في الميادين العلمية والتقنية .

ونظرا لما للجهاز الاداري من اهمية بالغة كاداة تعتمد عليها الدولة في تنفيذ مخططاتها وتحقيق اهدافها فقد وجهنا عنايتنا لاصلاحه وتقويمه ليضطلع بالمهام المناطة به على احسن وجه ، وقد قررنا في توجيهاتنا الملكية المبادىء التي يجب ان تسير عليها الادارة ، ورسمنا مختلف الاصلاحات التي يتعين ادخالها على اجهزتها واساليبها ، حتى نضمن لها مزيد الفعالية في دائرة تبسيط المسطرات المتبعة والتخفيف من مصاريف التسيير ، وقد انطنا بوزارتنا في الشؤون الادارية السهر على تطبيق المبادىء التي رسمناها،والعمل مع الوزارات المختصة على انجاز الاصلاحات التي ارتأينا ضرورة القيام بها، وذلك زيادة على مراجعة النصوص التشريعية القديمة حتى تصبح ملائمة للوضع الجديد للبلاد ، ومواكبة للتطور الحاصل في جميع مرافقها .

تنظيم مختلف اسلاك الموظفين

وقد كان من جملة ما قررناه من مبادىء في توجيهاتنا الملكية أن يكون الموظفون سواء فيما يرجع الى الاجور اذا كان مستواهم واحدا وعملهم متشابها ، وعلى ضوء هذ التوجيه سارت المصالح الحكومية المختصة في اصلاح نظم مختلف اسلاك الموظفين ، وقد انجز هذا الاصلاح بعد دراسات عميقة لمختلف وجوهه وصدرت مجموعة من النصوص التطبيقية الخاصة بموظفي بعض الوزارات وستتلوها النصوص الباقية في القريب العاجل ، ويتوج كل ذلك فيما بعد بتوحيد نظام التعويضات في اطار الوظيفة العمومية مع مراعاة الاستحقاق من جهة ، وامكانيات الدولة المالية من جهة اخرى ، على ان هذا الاصلاح كما هو الشان في كل عمل انساني قابل للتنقيح

والمراجعة ان اظهرت التجربة نقصا في بعض جوانبه ، او اقتضت سنة التطور اعادة النظر في بعض احكامه .

وما زلنا نواصل السعي ونوالي الجهود لاقامة النظم الادارية على اسس محكمة بتوحيد الاجهزة المتماثلة وازالة العراقيل والصعوبات التي تعترض سير الادارة، وتقرير الوسائل الكفيلة باجتناب التبذير .

وقد وجهنا عنايتنا لتنظيم وزاراتنا وتحديد اختصاصاتها حتى تستطيع القيام بالمسؤوليات الملقاة عليها ، والاسهام في المشاريع العامة في دائرة ما انيط بها من ماموريات. وقد قطعنا اشواطا لا يستهان بها في هذا المضمار ، اذ تم اعداد النصوص المنظمة لبعض الوزارات والعمل حثيث لانجاز ما بقي حتى يدخل هذا الاصلاح في حيز التطبيق .

خطواتنا الثابتة في ميدان التشريع

وليس يخاف عليك شعبي العزيز اننا غداة استرجاع الاستقلال وجدنا انفسنا امام ميراث تشريعي ثقيل؛ فخلال اربعين سنة وضعت للبلاد احكام وقوانين لم يكن معظمها ملائما لمصلحة اهليها، كما لم تكن لتعقدها وتشعبها ممايعين على سير الادارة بسرعة . وكنا تجاهها بين امرين : اما ان نلغيها جملة فنقع امام فراغ تشريعي لا تخفى خطورته ولا تحمد مغبته ، واما ان نعمل على تعديلها واصلاحها وتجديدها بما يلائم الوضع الجديد للبلاد ، ويخدم مصلحة المواطنين وهو امر شاق عسير لا يتيسر عمله في وقت قصير ، لهذا تنكب لجان من الفنيين التابعين لمختلف الوزارات على دراسة العراقيل التي تعوق سير الجهاز الاداري وطرق معالجتها ، وعلى النظر في تبسيط الاجراءات الادارية وتحقيق اللامركزية داخل اجهزة الدولة وعن طريق اشراك الجماعات المنتخبة في المسؤوليات العامة ، وستعرض علينا اللجان المذكورة عند ما تتم عملها عددا من الاختيارات فيما يخص الاصلاحات المقترحة ، وعلى ضوء الدراسات المنجزة ستتخذ التدابير الكفيلة باصلاح الاوضاع والاساليب الادارية في نطاق التوجيهات التي رسمناها ، وطبقا للاهداف التي لم نفتا نعمل لتحقيقها، حتى نجعل من ادارتنا اداة صالحة قادرة على القيام بمهامها خير قيام .

ومع ما يتطلبه تحقيق التنمية من اموال ، ويستلزم اتساع اجهزتنا الادارية من نفقات فلقد ظلت سياستنا المالية تسير في نطاق توجيهاتنا مستهدفة المحافظة على ميزانية عمومية سليمة دون اللجوء الى فرض ضرائب جديدة ، وضمان الاستقرار لعملتنا بايجاد تعادل في ميزان الاداءات ، وتوفير الشروط الضرورية للتوسع الاقتصادي بتقوية الانتاج عن طريق استثمارات عمومية وخصوصية في القطاعات ذات الاسبقية .

مواصلة تطبيق سياسة التقشف

وهكذا واصلنا سياسة التقشف التي شرع فيها منذ سنة 1964 فالغيت أو خفضت جميع الاعتمادات غير اللازمة لسير الادارة ، ولم تقع زيادة – ان لم يقع نقص – في الاعتمادات التي لا انتاج من ورائها وصرفت المبالغ المقتصدة الى القطاعات المنتجة .

وقد عزز القانون المالي لسنة 1967 النتائج المحصل عليها ، فلم ترتفع مصاريف التسيير في الميزانية العامة الا ارتفاعا ضئيلا جدا لا يتجاوز 78 ، 1 في المائة ولن تكلف تغطية هذا المبلغ على ضآلته المواطنين شيئا ، لاننا حريصون على اجتناب اي تدبير ضرائبي جديد .

شعبي العزيز

اذا كان هذا هو ما نستهدف من تحقيق تنمية شاملة ، ونتوخى من خلق نهضة واسعة تنتظم مجالات الفلاحة والصناعة وسائر مرافق الاقتصاد – قصد توفير الحياة الكريمة لافراد شعبنا بالمدن والقرى ، والجهات القاصية والدانية ، فان جهودا موازية تبذل بعناية في ميادين اخرى تسهر بدون انقطاع على ان تلحق المواطنين فائدتها ، وتعود عليهم بالخير عائدتها .

السعادة المنشودة

ومن البديهي ان السعادة المنشودة ، والكرامة المامولة لا تتاتيان بمجرد سد الرمق، وكساء جسم واحراز مسكن ، ولكنهما تتمثلان – بالاضافة الى ما سلف – في انبساط رواق العدل ، وانتشار الثقافة والتعليم ، وخلو الحياة مما يكدر صفوها من علل وادواء .

في ميدان العدل ...

واننا لنسجل بكامل الفخر والاعتزاز – في ميدان العدل – مدى السرور الذي يغمرنا ونحن نلمس عن كثب نتائج المرحلة الحاسمة التي اجتازها قضاؤنا بعد ان تم توحيده وتعريبه ومغربته ، فلقد سهرت وزارتنا في العدل على عمل المحاكم في تلك المرحلة بعين يقظة ، فلم يتوقف سيرها ولم ينقص انتاجها رغم ما كلف ذلك من مجهودات يومية وتضحيات مالية ليست بالهينة .

وعلاوة على ذلك بذلت هذه الوزارة قصارى جهدها في تطبيق تعليماتنا الرامية الى مراجعة التشريع

وتوحيده ، وطبعه بطابع مغربي ، فصدر مرسومنا الذي تحققت بمقتضاه الوحدة التشريعية للبلاد ، كما اصدرنا قانون الصوائر المالية في الميادين المدنية والتجارية والادارية ، وقانونا آخر للمساعدة القضائية .

ولتقريب القضاء من المتقاضين ، والتقليل من التكاليف المالية المترتبة على الترافع امام المحاكم اصدرنا قانونا ينظم القضاء على اسس جديدة تحدث بمقتضاه محكمة استئنافية بمراكش يشمل نفوذها اقاليم مراكش واكادير وورززات ، ومحاكم اقليمية اخرى بكل من الجديدة وسطات وورززات ، وستقسم مدينة الدار البيضاء الى ثلاث دوائر قضائية بكل منها محكمة السدد يتبعها عدد من الملحقات .

وعالج هذا القانون كذلك نواحي اخرى كتفتيش المحاكم واعادة تنظيمها على ضوء التجربة التي مررنا بها منذ ان استقلت البلاد .

ورعيا لما نوليه من اهتمام لشؤون الدفاع في الميدان القضائي اصدرنا قانونا جديدا لتنظيم مهنة المحاماة حرصنا أثناء وضعه على ان يتسم بكل المميزات والمقومات التي تساعد المحامين على القيام بمهمة

قوانين اخرى جديدة

واننا لعازمون على ان نصدر بعون الله مجموعةمن قوانين اخرى ذات اهمية كبرى اعدتها وزارتنا في العدل لتسهيل مهمة القضاة ومساعدتهم على البت في القضايا التي تعرض عليهم ، ومن جملة هذه القوانين قانون المسطرة المدنية ، وقانون الاكرية ، وقانون الشكايات ، وقانون الوضعية المدنية للاجانب ، وقانون خاص بالتوثيق .

وفي نطاق تقوية الجهاز القضائي ودعم اطره وتسهيل التقاضي على المتقاضين احدثنا رغم الضائقة المالية في ميزانية هذه السنة مائة منصب لتوظيف قضاة جدد .

... وفي ميدان التعليم

واننا لنرى ان خيرة عدة يعتمد بها رعايانا ليكونوا مواطنين صالحين يطبقون مجابهة مشاكل الحياة ، ويدركون ما عليهم من مسؤوليات وواجبات ، ويقدرون على تحقيق التنمية بعقول نيرة وسواعد قوية ، هي ان يكرعوا من حياض العلوم ومناهل الفنون ، ويستوعبوا الثقافات ويسايروا موكب التطور السائر باستمرار ، لهذا واصلنا صرف العناية الى ميدان التربية والتعليم وخصصنا له اعتمادات طائلة اصبحت تمثل 17 في المائة من ميزانيتنا العامة ، وذلك ما جعل مدارسنا تضم بين حناياها هذه السنة ما ينيف على مليون وثلاثمائة الف تلميذ وطالب ، وهو عدد يفوق عشر مرات عدد التلاميذ والطلبة الذين كانوا بمدارسنا منذ عشر سنوات .

وقد قبل في بداية الموسم الدراسي الحالي مئتان وخمسون الف تلميذ بالاقسام التحضيرية ، كما قبل في مدارسنا الثانوية 65 الف طالب جديد ؛ اما التعليم العالي فقد التحق به 1753 من الحاصلين على شهادة البكالوريا .

سياستنا التعليمية تقوم على :

التعميم والمغربة والتعريب

وقد سرنا اشواطا في تحقيق مبادىء التعميم والمغربة والتعريب التي تقوم عليها سياستنا التعليمية ، فأمكن بما اخرجتهالمدارس الاقليمية من معلمين مواجهة احتياجات التعليم الابتدائي اليهم ، كما تم تعريب برامج الاقسام المتوسطة ، وبذلك نستطيع القول بان تعليمنا الابتدائيحقق خلال السنوات العشر الاولى من الاستقلال ما كنا نتوخاه له من تعميم ومغربة اطر وتعريب برامج .

وليس يخاف عليك شعبي العزيز ما يضعه التعليم في مختلف اطواره امامنا من مشاكل وصعاب : مشاكل البنايات ، ، ومشاكل الاساتيذ والمعلمين ، ومشاكل النفقات المتصاعدة ومشاكل التوجيه الذي سيطبع البلاد لعدة اجيال ، واذا كان من الممكن التغلب على بعض الصعاب عن طريق مساعدات مالية اجنبية فان صعابا اخرى كتكوين الاساتيذ ليس من الهين تذليلها في امد قصير ، لذا فنحن ندرس جميع مشاكل التعليم بحكمة ، ونسعى للتغلب على صعابه باناة وروية ، مجتنبين فيمعالجتها كل ارتجال لا يحمد جيلنا والاجيال المقبلة عقباه .

وان شعورنا باهمية دور الشباب،وايماننا بانه الدعامة الكبرىلمستقبل وطننا ليفرض علينا اعداد شبيبتنا اعدادا روحيا وجسمانيا بالاضافة الى اعدادها ثقافيا حتى تكون في مستوى المسؤوليات التي تنتظرها في المستقبل وتتبين معالم السبل المستقيمة فلا تضل في متاهات الشك ودروب الحيرة . فلهذا احللنا تعليم الدين

وتعاليمه المكان اللائق به في المدارس وقررنا ادماج المواد الاسلامية في البرامج والمناهج الجامعية واعطاءها الاعتبار اللازم في مواضيع الامتحانات .

كما افدنا شبابنا مما تهيئه لهم مؤسسات الشبيبة والرياضة من منشطات تربوية متنوعة تهدف الى ترويض اجسامهم ، وتمرين ملكاتهم العقلية والفكرية وتعرفهم بمحاسن بلادهم وجمال طبيعتها ، وتدربهم على تحمل المسؤوليات واداء الواجبات وانجاز المهام .

وقد ارتفع عدد الاطفال الذين استفادوا من العطل في المخيمات الصيفية من 25 الف طفل الى 41 الفا ينتمي جلهم الى القرى والاحياء الشعبية بالمدن .

مجتمع ينعم بالصحة والعافية

ولما كانت مشاريع التنمية يتوقف انجازها على وجود مجتمع ينعم بالعافية وتخلو اوساطه وخلاياه من العلل ، فان العناية بالصحة وتيسير وسائل العلاج والسهر المتواصل على وقاية البلاد من الامراض والآفات التي تشل المجتمع وتجعله عاجزا ضعيفا لم تفتأ تشغل بالنا وتأخذ حظها المرموق من اهتمامنا ، ولقد ارتكز عمل وزارتنا في الصحة العمومية خلال السنة المنصرمة على تنمية تجهيزنا من المستشفيات والمستوصفات والمراكز الصحية كما نص عليه التصميم الثلاثي ، وعلى توسيع نشاط المرافق وتحسين مستواها وتكوين الاطباء المغاربة والممرضين وانشاء صناعة وطنية للادوية .

فلقد ارتفع عدد الاسرة بنسبة خمسة في المائة ، اذ اسسنا باكادير وقلعة السراغنة ، وازمور ، والعرائش مستشفيات جديدة ، واضفنا طبقة جديدة الى مستشفى ابن باجة بتازة .

وفي الرباط ادخلنا احسن تجهيز عصري على مختبرات مستشفى « ابن سينا » والحقنا به اجنحة متعددة لنجعله متوفرا على جميع ما تستوجبه المراكز الطبية والجامعية في عالم اليوم كما باشرنا توسيع شبكة المراكز الصحية والمستوصفات ودور التوليد في المدن والقرى على السواء .

ونحن نستعين على بلوغ غايتنا التي هي تكثير الاطباء وتعميم العلاج بكلية الطب التي فتحت سنتها الجامعية الخامسة بالرباط ، واصبح لها مستوى مرموق يعود بالنفع العميم على طلبتها الذين يبلغ عددهم الان خمسمائة طالب ، ولما لنا من رغبة اكيدة في ان نرى كليتنا هذه تواصل سيرها بخطى ثابتة اصدرنا اخيرا عددا من النصوص التشريعية تتعلق بالاساتذة المعلمين بها ، وبحالة الخارجيين والداخليين والمتدربين بالمركز الصحي الجامعي بالرباط ، وبالمساعدين بالكليات .

وباشر في نفس الوقت تكوين الممرضين الكفاة ، والتقنيين المقتدرين لضمان العناية بالمرضى وتيسير اكبر الحظوظ لمعالجتهم وشفائهم .

وقد اصدرنا امرنا باتخاذ التدابير الكفيلة بتنمية صناعة صيدلية وطنية ، فاصبح قسم كبير من الادوية المستهلكة عندنا يصنع داخل مملكتنا ، وقررنا انشاء مختبر وطني لمراقبة الادوية المصنوعة من حيث جودتها وتكييفها وتكاليفها ، كما اننا عازمون على مراجعة الاسس التي تسير عليها الصيدلية المركزية لنضمن بكل ذلك من جهة جودة الادوية ، واعتدال اثمانها التي دخلت في قائمة المصروفات اليومية لكل بيت من جهة اخرى .

واذا كانت صحة عموم رعايانا تستأثر منا بكل تلك العناية فان ذلك لم يقلل من اهتمامنا الخاص بصحة العمال ومنحهم كل الضمانات بشأن العلل والآفات التي يتعرضون لها او تصيبهم من جراء مزاولتهم للشغل .

على ان اهتمامنا بالطبقة الشغيلة لا ينحصر في توفير احسن الشروط الصحية لعملها ، بل تعدى ذلك الى مواصلة السهر على ما لها من حقوق مكتسبة ، والسعي المستمر لرفع مستواها ، ومنذ فاتح يناير سنة 1966 ارتفعت المنح العائلية بمعدل النصف ، كما ادخل تعديل على المدة التي يتقاضى بعدها العامل تعويضات في حالة مرض او حادث ، الشيء الذي جعل المستفيدين من تلك التعويضات يتضاعف بشكل محسوس .

توسيع نظام الضمان الجماعي الاجتماعي

وبصفة عامة فان الاهداف المتوسطة او البعيدة المدى للسياسة المتبعة في هذا المجال ترمي الى توسيع نظام الضمان الجماعي الاجتماعي حتى يشمل قطاعات جديدة من المستفيدين ، وان سياسة من هذا النوع ترتبط ارتباطا قويا بالتطور الاقتصادي للبلاد لا تتحقق الا بانسجام تام مع الظروف المسايرة لهذا التطور ، مع العلم بان تشريعاتنا الاجتماعية تعتبر من التشريعات الاكثر تقدما وعدالة في العالم .

والى جانب هذا تتابع الجهود لتشغيل اليد العاملة بالداخل او الخارج وتكوين اليد العاملة المتخصصة بفتح مراكز جديدة للتكوين المهني .

وزارة الاوقاف ... والمحافظة على شعائر الدين

ونظرا لما اولانا الله من شرف الامامة ، واناط بنا من واجب المحافظة على شعائر الدين الاسلامي الحنيف اصدرنا اوامر لوزارتنا فى عموم الاوقاف فى نطاق تنمية الوعي الاسلامي ، وتيسير اسباب العبادة لشعبنا بمواصلة حملات الوعظ والارشاد بجميع جهات المملكة ، وبناء المساجد بالمدن والقرى والاحياء المفتقرة اليها . وقد شيد 31 مسجدا خلال سنة 1966 ووقع اصلاح مئات اخرى من المساجد ، وقمنا ببعث الثقافة الاسلامية بطبع طائفة من كتبها القيمة منها والنفيسة ، واعتنينا بالمدارس العتيقة بالبادية حتى عادت الى ازدهارها السابق ، وصار الطلاب يلقنون فيها القرآن الكريم بمختلف قراءاته ، ومبادىء العلوم الدينية واللغوية .

العناية بالقوات المسلحة الملكية

شعبي العزيز

ان اهم ما تعتز به الدول والشعوب جيش قوي يحمي ذمارها ، ويصون حوزتها ، ويحول دون اي اعتداء عليها .

ولقد واصلنا خلال السنة المنصرمة العناية بالقوات المسلحة الملكية ، وصرفنا الاهتمام الى تنمية اطرها، وتجهيزها بالعتاد وسائر المعدات اللازمة لدفاعنا، وكان القيام على تحقيق الخدمة الوطنية الاجبارية فى طليعة المهام الكبرى التي اسندناها الى قواتنا المسلحة الملكية ، فنهضت بها على احسن صورة انعكست انعكاسا صادقا عند استعراض جيشنا فى السابع عشر من شهر نونبر المنصرم . وبالاضافة الى اعداد مجندينا اعدادا عسكريا تبذل العناية بتكوين من لا يحسن منهم تكوينا مهنيا ليصبحوا بعد تسريحهم من الجندية اعضاء نافعين فى مجتمعهم، قادرين على تلبية احتياجات التنمية. وان ترحيب الامة قاطبة بسن الخدمة العسكرية وحسن سلوك شبابنا المجندين لمن القرائن التي تدل على بلوغنا ما توخيناه من سن هذه الخدمة الوطنية .

شعبي العزيز

هذه منجزاتنا ومشاريعنا عرضناها عليك جريا على مألوف عادتنا فى مثل هذا اليوم الذي نحتفل فيه واياك بذكر جلوسنا على عرش اسلافنا المقدسين وهي مناسبة تحين كل سنة نزن فيها اعمالنا ونحاسب انفسنا لنرى ما نفذناه من خطط رسمناها واجتزناه من عقبات ذللناها وما نعتزم رسمه وتخطيطه وتحقيقه وانجازه ليكون الامس موصولا بالغد وحركتنا لتدعيم استقلالنا والنهوض ببلادنا دائبة متلاحقة لا يعتريها فتور ولا لغوب ولا يصيبها سأم ولا وهن ، ولئن كان مجموع ما تضمنته التوجيهات الملكية التي وضعناها لتكون رائدا لنا فيما نبدىء فيه ونعيد من شتى وجوه العمل لم يدخل كله فى حيز التطبيق لتشعب بعض الابواب والفصول وضرورة صرف مدة من الزمن غير قصيرة للدرس والتمحيص اجتنابا لكل تدبير يمكن ان يعزى الى قلة التريث والاستيعاب فان الجهود متوالية غير متوانية فى سبيل استكمال الدرس واستيفاء التمحيص .

واذا كنا قد طرقنا فى هذا الخطاب عدة مواضيع لها مساس بماضينا وحاضرنا ومستقبلنا واتصال بجانب من المسؤوليات الملقاة على عاتقنا فان هناك مسائل غير هذه عالجناها بحكم مالنا من مسؤوليات اخرى وبوصفنا حاميا لحمى البلاد وضامنا لاستقلالها وحوزتها فى دائرة حدودها الحقة .

اراضينا المغتصبة

وفى طليعة هذه المسائل ما صرفنا نحوه اهتمامنا من امر المناطق التي وقع اقتصاصها من اطراف البلاد واغتصابها فسعينا سواء فى منظمة الامم المتحدة او فى منظمة الوحدة الافريقية الى استرعاء نظر الراى العام الدولي لضرورة جعل حد للاستعمار فى سيدي يفني والساقية الحمراء ووادى الذهب ، مطالبين بتسليم سيدي يفني وتحرير المنطقتين السالفتين ، وكان لمساعينا وللجهود التي بذلتها هيأة تحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب الصدى الحميد والاثر الملموس، فاصدرت منظمة الوحدة الافريقية خلال مؤتمر رؤساء الدول والحكومات المنعقدة بأديس ابابا فى شهر نونبر من السنة المنصرمة توصية تدعو فيها الى تحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب ، كما اصدرت منظمة الامم المتحدة فى دورتها الاخيرة توصية تقضي بتسليم الدولة الاسبانية للمغرب السلطة التي لها بسيدي يفني، وتؤكد فيها حق اخواننا المواطنين سكان الساقية الحمراء ووادي الذهب فى تقرير مصيرهم بواسطة استفتاء يستشار فيه المغرب ، وتشرف عليه منظمة الامم المتحدة .

ولاهمية هذه التوصية ، ولما تدعو اليه فقد وجهنا رسالة الى فخامة صديقنا الجنرال فرانكو رئيس الدولة الاسبانية بشأن تسليم السلط فيما يخص

سيدي يفني ، واننا لنامل ان تبدى الدولة الاسبانية التي تربطنا بها صلة الصداقة والجوار من التفهم وحسن الاستعداد ما يضمن لتلك التوصيات المصير الايجابي والمآل المطلوب ، وكما فسح الاتفاق الذي ابرمناه مع الدولة الاسبانية بتاريخ 7 ابريل 1956 من اجل تسليم السلط التي كانت لها بالمنطقة الشمالية من مملكتنا – آفاقا للتعاون المثمر ، فان التوصيات الصادرة عن منظمة الامم المتحدة لخليقة بان تفسح مجالا لتعاون مثمر جديد .

المغرب حريص على الوفاء بالتزاماته

وبالاضافة الى هذا فاننا اجرينا خلال زيارتنا لمقر منظمة الامم المتحدة مع الامين العام السيد طانت محادثات تناولت تطور العلاقات بين بلادنا والجمهورية الجزائرية ، واعربنا في اثنائها عن وجهة نظرنا حول ما اصبحت الدوائر الدبلوماسية تسميه اليوم بمشكل التسابق نحو التسلح بافريقيا الشمالية ، وبالاخص بين المغرب والجزائر ، ان المغرب الذي كان ولا يزال حريصا على الوفاء بالتزاماته الدولية ، والذي اتخذ من ضرورة فض الخلافات بالوسائل السلمية وتجنب الالتجاء الى وسائل العنف لتأييد الحق مهما كانت مشروعيته – مبدا الزم نفسه باحترامه ، والعمل بمقتضاه ليؤثر ان تنصرف جهوده الى ميادين التنمية الاقتصادية والرقي الاجتماعي وصيانة النفوس والاموال ، وتوجيه الكفايات الى المجالات التي تعود عليه بالخير ، وتدرأ عنه الشر ، حتى يعم الرخاء وينتشر الازدهار ، وتخطو البلاد الخطوات الشاسعة للحاق – بعد الخروج من التخلف – بركب الدول السائرة نحو المصير المشرق ، ان مشكلة العصر الحاضر التي يجب علينا ان نجعل منها مشكلة غير مستعصية الحل هي مشكلة اختلال التوازن بين الدول المتخلفة والنامية وبين غيرها من الدول الضاربة بسهم كبير في مضمار التقدم الظاهر ، والرقي الباهر ، ان ركب الحضارة سائر لا يلتفت ، وراكض لا يقف ، فاذا صرفنا امكانياتنا في وجوه لا تسمن ولا تغني من جوع ، واستعملنا مواهبنا وكفاياتنا ومقدراتنا فيما يؤول الى الدمار والخسران لم يتضاعف اختلال التوازن الملحوظ ، ولم تبعد الشقة بيننا وبين من نريد ادراك شأوه فحسب ، وانما سنعثر عثرة لا تقال ، ونتخلف تخلفا لا نهوض بعده .

نحن مستعدون للنهوض باعبائها في كل وقت وحين ..

ولئن كنا نتحمل شخصيا مسؤوليات وطنية ودستورية وتاريخية نحن مستعدون للنهوض باعبائها في كل وقت وحين ، فان كل مسابقة من شانها توفير العتاد الحربي ، وادخار الاسلحة لا يستهوينا ان نخوض غمارها ، ولا يروقنا ان نجازف ببلادنا فيها ، فتبتعد بهذه المجازفة عن الاهداف التي قطعنا على نفسنا ادراكها وبلوغها ، ولذا فاننا ما زلنا مقتنعين بضرورة اجتناب كل ما من شانه ان يجعل الرغبة في الحلول السلمية عديمة الجدوى ، وان يوتر الاعصاب ، ويسمم جو العلاقات ، ويقذف بنا في مغامرات لن ينحصر مفعولها في نطاق محدود ، كما اننا ما زلنا مقتنعين بامكانية حسم الخلاف بيننا وبين الجزائر بشأن الاراضي المغتصبة عن طريق التفاوض والمناقشة الصريحة ، واعتماد الحجة في اثبات الحق لا عن طريق الانكار والاستعداد للمجابهة العنيفة ، وقد وجهنا في هذا الصدد رسالة الى الامين العام لمنظمة الامم المتحدة ذكرناه فيها المحادثات التي راجت بينا وبينه ، وبسطنا فيها جميع هذه الاعتبارات ، واقترحنا عليه احداث لجنة تحت اشراف الامم المتحدة يعهد اليها بمهمة مزدوجة :

1) ان توصي كلا من الجزائر والمغرب بالتنازل عن الزيادة في القوات المسلحة تلافيا لاخطار التسابق نحو التسلح بافريقيا الشمالية .

2) ان تقوم في عين المكان وبجميع الوسائل الصالحة بمراقبة السلاح الذي يتوفر عليه المغرب والجزائر كما وكيفا ، وتحديد القدر الضروري لكل منهما للمحافظة على الامن الداخلي .

وان املنا وطيد ان يحظى اقتراحنا بالقبول ، ويتغلب جانب الاناة والتبصر والروية وتدبر العواقب ، ولا ريب عندنا ان شعبنا باجمعه لن يتردد برهة من الزمن اذا دعت الضرورة الى ذلك في رد كل عدوان ، ودفع كل طغيان ، جريا على عادته في الاباء والحفاظ .

شعبي العزيز

ان ماعرضناه عليك فيما سبق بتفصيل واسهاب لم يكن كل ما استحوذ على قلبنا واستبد باهتمامنا وعنايتنا ، فلم تنصرم ساعة من ساعات الزمن لم تكن فيها مراد تفكيرنا ، ومناط رعايتنا ، وشغلنا الشاغل ، ولم نقدم رجلا ولم نؤخر اخرى ولم نستعمل الراي والاقدام فيما يستوجب الحكمة والاقبال الا وانت نصب عيننا حين تمسي وحين تصبح في الغدو والآصال ، والحل والترحال ، نضع البرامج والخطط ونرسم الطريق ونمهد السبل وندبر الشؤون ونجري الاتصالات

ونباشر المحادثات والمشاورات لا يقود مسعانا ويستحث خطانا الا ما يعود عليك بالعائدة الحسنة والنفع الموصول والخير المكفول ، فلم نفرغ لنفسنا في بعض الاحيان الا لنفرغ لك ، ولم نخل الى نفسنا الآونة بعد الاخرى الا لنخلو اليك ، ولم نرغب في الراحة والسكون تارة الا رغبة في مناجاتك ، ولم ننقطع الى التفكير تارة الا لمعرفة ما يرضيك ويسرك ويحزنك ويسوءك وما يحلو ويمر من امرك ، فكانت كل لحظة من هذه اللحظات ، وكل وقت من هذه الاوقات مصروفة اليك ، موقوفة عليك ، فيها من الاتصال الوثيق بك ، والانقطاع الكامل اليك ، ما عهدته منا منذ قلدنا الله زمام امرك ، وناط بنا رعاية شؤونك والسهر على مصالحك ، واشاع في قلبنا الرافة بك وبث في نفسنا الاشفاق عليك ، وجلب السعادة اليك كما عرفه آباؤك واجدادك من اسلافنا المنعمين الذين هداهم الله الى الصراط المستقيم ، ووفق خطاهم الى النهج القويم ، فتمكنت ما بينهم وبين شعب هذه البلاد آصرة جامعة ، ووشيجة واصلة ، واورثونا حدبهم وعطفهم وحنانهم واهتمامهم بكل جليل وصغير من امور الرعية ، فاستحكمت بيننا وبينك تلك الرابطة التي لا يزيدها توالي الايام وتعاقب الاعوام الا شدة ورصانة ، وتأصل ذلك الالتحام الذي لن يعدم على مر الاجيال قوة ومتانة .

شعبي العزيز

في هذه الساعة التي نحتفل فيها بذكرى جلوسنا على عرش اسلافنا الاكرمين ، وفي هذه الساعة التي تهيمن علينا فيها روح كريمة لعاهل كريم ، نتوجه الى الله سبحانه بقلوب خاشعة ، ونفوس مومنة طاهرة ، ان يغدق شآبيب رحمته ، ويضفي سابغ انعامه ومغفرته ، على بطل هذه الامة ومحررها ، وباعث نهضتها وسؤددها ، جلالة والدي ، وولي نعمتي ، ونافخ روح العزة في امتي الملك الهمام ، مولانا محمد الخامس ، نور الله ضريحه ، واناله مثوبته ورضوانه ، وجزاه باحسن ما يجازي به عباده المخلصين الصادقين ، واسكنه بجوار النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين .

اللهم انك تعلم انه كان لهذا الشعب ملجأ وملاذا وسندا وعمادا ، وانه اوفى بعهدك ، وادى الامانة اكمل اداء ، فكن له وليا ونصيرا يوم الجزاء اللهم اجعل الفردوس مثواه والجنة مأواه ، انك على ما تشاء قدير .

شعبي العزيز

اذا كانت رعايتنا لشؤونك تقتضينا اقصى مجهود ، وحدبنا عليك هو لدينا اعز مقصود ، فلا يفوتنا ونحن في معرض الذكرى ، والذكرى تنفع المومنين ، ان نستزيدك من الحرص على التشبث بالقيم الروحية ، والتمسك بالتربية الاسلامية ، والتعاون على البر والتقوى ، وعدم التفريط في جنب الله ، وتلك لعمري اسنى المطالب ، واعز الرغائب ، واغلى المكاسب ، وبها جعلنا الله خير امة اخرجت للناس .

والله نسأل ان يقينا شر انفسنا ، ويطهر قلوبنا ، ويسدد خطانا ، ويوفق الشعوب العربية والاسلامية في مشارق الارض ومغاربها الى طريق الهداية والصلاح ، ويجعلهم اخوة متحابين ، وعلى تبادل الخير متكاتفين ، ولدرا الشر متعاونين ، وان الله على نصرهم لقدير .

اللهم الهمني التوفيق والسداد ، واسلك بي مسالك الهدى والرشاد ، وكن لي معينا ونصيرا ، ومؤيدا وظهيرا ، وشد ازري ، واشرح لي صدري ، ويسر لي امري ، لاذكرك كثيرا واشكرك كثيرا ، انك كنت بي بصيرا .

وادم علي وعلى شعبي نعمة ما بيني وبينه من تماسك وانسجام ، وتعاطف ووئام ، وولاء ووفاء ، واخلاص وصفاء .



في تاريخ المغرب على اختلاف الدول التي تعاقبت عليه ، ملوك لم يقتصروا على حكم البلاد وضبط اطرافها والدفاع عن حوزتها ونصب ميزان العدل بين الرعية وبسط الامن وتعميم الرخاء ، مما هو مهمة الملوك ومناط بيعتهم ؛ ولكنهم تميزوا فوق ذلك بافكار عبقرية ومبادرات اصلاحية عظيمة الاثر في تطور المجتمع وحياة الامة .

ومن هؤلاء الملوك في الدولة العلوية الشريفة السلطان العظيم سيدي محمد بن عبد الله انه كان مفكرا حرا ومصلحا اجتماعيا ودينيا وداعيا من دعاة الوحدة الاسلامية ، فضلا عن كونه ملكا اضطلع بسياسة البلاد وقيادتها نحو التقدم والازدهار ، فكان النجاح حليفه في كل اعماله ومآتيه .

وهو السلطان محمد الثالث بن السلطان عبد الله بن السلطان اسماعيل بن الشريف بن علي العلوي الحسني ، فقد تولى قبله من اسرته من اسمه محمد : اثنان ، الاول محمد بن الشريف والثاني عمه محمد بن اسماعيل المعروف بابن عربية .

ولادته ونشأته

وكانت ولادته بمكناس عاصمة جده مولاي اسماعيل سنة 1134 فنشأ في حضن الصيانة والدين ، وربي تربية الملوك برعاية جدته السيدة خناثة بنت بكار واسرة ابيه ، وناهيك بها عقلا ونبلا وعلما وفضلا ، وقد صحبها في رحلتها الى الحج سنة 1143 وهو ابن عشر سنين ، وكانت رحلتها هذه حديث الركبان بما اضفى عليها ولدها السلطان مولاي عبد الله من العناية وهيأه لها من اسباب الراحة فمن اخبية عظيمة وامتعة رفيعة وهدايا واموال طائلة ، الى عبيد وحشم وحراس شداد فضلا عن ركب الحاج المغربي الذي سار في معيتها وكانت تقبل رسميا من ولاة البلاد والاقاليم التي تمر بها وبلغ ما زودها به ولدها السلطان من المال الناض بقصد العطايا والهبات لاهل الحرمين الشريفين مائة الف دينار ، ومما لاشك فيه ان هذه الرحلة فتحت اعين الامير الشاب على اشياء كثيرة ما كان ليعرفها لولاها واثرت في نفسه تأثيرا بليغا ظهرت آثاره ايام ولايته وتقلده لمنصب الحكم بحيث جعلته يرى في البلاد الاسلامية وطنه الكبير الذي لن يكون المغرب الا جزءا منه ، يتقاسم واياه السعادة والشقاء والخير والشر ، وهذا الى الدروس العلمية التي كان يتلقاها عن اساتذة اكفاء رتبهم له والده منذ حداثته وما كان يخلو مجلسه من واحد منهم حتى بقي ذلك ديدنه وعادته في مصاحبة العلماء ومجالستهم طوال حياته .

خلافته عن والده بمراكش

ولما صلب عوده واكتمل شبابه استخلفه والده على مدينة مراكش سنة 1159 وكان له من العمر حينئذ خمس وعشرون سنة ، فاظهر من حسن السياسة ، وكمال النجدة ، وجودة الراي والمعرفة بتدبير الامور ، ما هو جدير بمن نشأ نشأته وتربى تربيته ، وكان ما مر على مراكش من الاحداث والفتن قد خرب عمرانها ، وغير معالمها ، فجد واجتهد في تجديد مغانيها ، واحياء مآثرها ، وامتد نظره الى نواحيها فضبطها وساسها بحكمة وبصيرة مما جعل الانظار تتشوف اليه والآمال تتعلق به ، وهكذا اراد دعاة الفوضى والذين الفوا ان يصطادوا في الماء العكر من جيش العبيد والقبائل المشاغبة تمثيل الدور الذي طالما مثلوه مع غيره ببيعته واظهار النزوع اليه ، والخروج على والده ، فأبى ذلك وامتنع عليهم ،

وترضاهم وتوسط لهم مع والده حتى عادت المياه الى مجاريهـا ، وحسم الداء على يده ، وعد ذلك من تمام عقلـه واستقامتـه .

فلما توفي والده سنة 1171 كانت سمعته قـد طبقت ارجاء المغرب فلم يتلكأ احد عن مبايعته ومـن لم يطعه رغبة اطاعة رهبـة ، والحق ان الناس كانـوا قد سئموا حياة الهرج والفتن واعياهم الخوف واضطراب حبل الامن ، فمنذ وفاة السلطان مولاي اسماعيل والفوضى ضاربة اطنابها على المغرب ، بسبب تنازع ابنائه علـى الملك وانقسام الرعية على نفسها بداعي مناصرة هذا الامير او ذاك ، حتـى انهـار صـرح تلك المملكة العظيمة التي شادها مولاي اسماعيـل بهمته وعزيمته فى ظرف خمسين سنة او تزيد مـن ولايته ، فما ان وجد المقتضي لجلوس سيدي محمد بن عبد الله على العرش حتى اجمعت كلمة اهل الحـل والعقد من العلماء والاشراف وكبار القوم علـى تقديمه لذلك والدخول فى طاعتـه ، وقصـر النظـر عليـه ، وصرفـه عمن سـواه .

* * *

مبايعتـه

وبويع اولا بمراكش ثم حمل اليه اهل فـاس بيعتهم، وما لبث ان شخص اليفاس فقطع المغرب من جنوبه الى شماله ، ثم عرج على الثغور متفقدا احوالها، ورأى ان التركـة التي آلت اليه ليس من السهـل الاستحواذ عليها ولا الاحتفاظ بها ، فالحمل اذن ثقيـل والمهمة من اصعب ما يكون ، ولكـن الرجـال ذوي العزائم لا تقف فى وجهم العقبات ولا تثنيهم الصعـاب عن مرادهم ، فشمر عن ساعده ووطن نفسه علـى الاضطلاع بمسؤوليته مهما يكن الامر .

* * *

الوضـع الذي وجـد عليـه البلاد

وكان يعوزه المال وكانت عدة مناطق فى الجنوب والشمال والوسط تتمتع باستقلال ذاتي ، ولا تخضع للسلطة العليـا الا اسميـا ، وكان جيش العبيد الذي الفه جده السلطان اسماعيل وجعل منه قوة معتـدة لحماية البلاد والدفاع عن وحدتها قد آل الى عصابات شريرة تتلاعب بمصير المملكة ومقرراتها ، وكذلـك كثيـر من القبائل الاطلسيـة ذات العصبية والمنعـة استحالت الى عناصر مشاغبة وجموع متمردة علـى الدولة ، وقل مثل ذلك فى بقيـة الاجناس الذيـن تتكون منهم الحميات الدائمة للسلطة امثال الودايـا والعـرب وغيـرهم .

مساعيـه لاقـرار الوحـدة الوطنيـة

فلم يزل يقلم اظفار اهل البغـي والفساد ، ويضرب على ايدي الخوارج والعابثيـن بامن البلاد ، حتى استقامت له قناتهم ولانت صفاتهم ، وكـان يزاوج بين الشدة واللين ، فى عقاب المتمردين الا اذا كثر شرهم واستشرى داؤهم وظهر تعنيهم علـى الرعية وتطاولهم على الضعفاء فانه حينئذ يضربهـم الضربة القاضية ولا تأخذه بهـم رافة ولا رحمة ، وهكذا وبعد مطاولة وامتحان شديدين استكـان جيش العبيد الى الخضوع والطاعة ولم تعد نفـس الودايـا تحدثهم بالعبث والطغيان ، وعاد الى حظيرة الوطن كل من مدينة سلا وتطوان وطنجة واقليـم سوس التي كانت تستبد بها سلطات محلية وتحاول ان تجعلها تعيث خـارج الوحدة الوطنيـة .

ان الجهود التي بذلها السلطان سيدي محمـد ابن عبد الله فى اعادة الوحدة الوطنية الى نصابهـا وسيادة السلطة الشرعية على البلاد جهود كبيـرة وشاقة ، لم تخل من العنف والتضحيـات ، ولكنهـا كانت لازمة وضرورية للحفاظ على كرامة الوطـن وامن السكان وسمعة الدولة فى الداخل والخارج ، وكـل ما بذل فيها من نفوس ونفيس يرخص امام ما كانت تتعرض له البلاد من حروب داخلية ومصيـر مجهول، لاسيما والافراد والجماعات الذين كانوا يثيرون تلـك الفتن ويورثون نار هاتيك المحن فيذهبـون ضحيتها ما هم الا طائفة من المغامرين اهل الحرابـة الذين حكـم الشرع فيهم بما حكم ، فلو لم تستأصل شأفتهـم وتجتث جرثومتهم لما عرفت البلاد استقرارا ولا ذاق الشعب طعـم راحـة .

واقترنت عمليات اقرار السلم وتاديب العصـاة بمدة ولاية السلطان بانه ما كان يرتق خرقا حتى يجد نفسه امام خرق آخر ، ونحن لم نذكرها على حسب الوقوع وتاريخ حدوثها لاننا فى هـذه الترجمة انمـا نعني بالنتائج التي تبرز شخصية المترجم ، وامـا اليوميـات او الحوليات وتسلسل الحوادث فـان مكانها التاريخ العام وهي لا تهم القارىء بقدر مـا تهمه النتائج المذكـورة .

تنظيـم الماليـة

وشخصية السلطان القوية وحسن تدبيره كان لهما الاثر الفعال فى توفير المال اللازم للدولة وتنميـة

موارد البلاد حتى اصبح المغرب يرفل فى حلل الرفاهية والعيش الرغيد ، واول ما ظهر من حزمه فى ذلك انه عند شخوصه بفاس باثر مبايعته وقف على متخلف والداه من ناطق وصامت منقول وثابت وسلاح وخيل وغير ذلك فأحصاه وجعله الى نظر حاجبه ، وكان والده من شدة احتياطه على مال الدولة ونظرا لظروف الهرج التي كان يعيش فيها ، يحمل ما لديه من مال ناض على ظهور الدواب ويسير به معه اينما سار ، وكان الموكلون به كلما نزل الجيش وضربت الاخبية ، يرفعون ما معهم الى سرادق السلطان ، فيكون بيت مال الدولة فى حمايته وتحت الحراسة التي تحرس السلطان نفسه .

وقد تسلم سيدي محمد بن عبد الله هذا المصرف المتنقل من الوزعة الذين كان فى كفالتهم وكان به الف خرج فى كل واحد منها الفا دينار ذهب بالتثنية ، ومائة رطل من الذهب الخالص كقرص الشمع فى كل رحى وزن اربعة آلاف ريال ، الى ثلاثمائة الف ريال اخرى مسكوكة ، كل ذلك اداه اولئك الوزعة بمنتهى الامانة متأثرين بشخصية السلطان القوية وقد كان من المحتمل جدا ان يتقاعدوا عليه او بمكر بقصد لو كان غيره هو المطالب به ، كما وقع فعلا فضاعت ثروات عظيمة فى فترة التنازع بين اولاد السلطان مولاي اسماعيل .

ثم انه تقدم بضبط مداخل الدولة ولما راى انها ضئيلة لا تكفي لمتطلبات الحكم والنهوض بالبلاد احضر العلماء وشاورهم فى ذلك ، فافتوا بجواز فرض بعض الضرائب على الرعية لتقوية الجيش ونشر العمران وكان ذلك من حسن تدبيره ، اذ لو اقدم على هذا الامر قبل اخذ موافقة العلماء لكثر القيل والقال ولزعم بعضهم ان ذلك من المنكر المحرم ، ولما استقام له عمل ، وبسبب ذلك نمت مداخل الدولة وتحسن الوضع المالي للحكومة واصبح بمقدورها مواجهة المطالب العديدة التي تقتضيها مشروعات التجهيز والتنظيم المقترحة من قبل السلطان .

ونظر فى التجارة الخارجية تصديرا وايرادا بعين المصلحة العامة كما فعل من قبل فى اسفي لما كان خليفة لوالده على مراكش ، فسرح الوسق من مراسي المغرب الى اقطار اوربا وشجع التجار الاجانب على التعامل مع المغرب واقامة وكالات لهم بمختلف المدن الداخلية والعواصم ، فازدهر هذا القطاع من اقتصاديات الوطن وادر على الحكومة والسكان خيرا كثيرا .

علائقه مع الدول

ودعاه ذلك الى عقد معاهدات دولية لتنظيم العلاقات بين المغرب ومختلف البلاد وخصوصا الاوربية منها ، وقد ذكر النقيب مولاي عبد الرحمن ابن زيدان فى ترجمته من تاريخ مكناس تفاصيل مهمة عن علائقه السياسية مع كل من فرنسا والسويد والدانمارك والبرتغال واسبانيا ومالطا ونابولي فضلا عن الدولة العثمانية واورد نصوص بعض المعاهدات التي عقدها مع هذه الدول ، وهي تقوم اساسا على التبادل التجاري واستيراد المعاهدات الحربية والذخيرة والادوات التي يستعين بها على تنمية الاسطول المغربي وما الى ذلك ، وكانت هذه المعاهدات فى بعض الاحيان تنص على الغاء بعض الامتيازات التي حصلت عليها احدى هذه الدول فى فترة الضعف كما نبه على ذلك المؤرخ الناصري فى الاستقصا بخصوص معاهدة الدانمارك وفى احيان اخرى قد تؤسس امتيازا جديدا كما فى المعاهدة الفرنسية انتقدها المؤرخ المذكور وان مال اخيرا الى اعتبار ذلك من مرونة الديبلوماسية المغربية .

واشتهر من سياسته الخارجية انه كان اول من اعترف باستقلال الولايات المتحدة الامريكية ، وهذا نزوع منه الى مقاومة الاستعمار ومناصرة حرية الشعوب ، وبذلك استوجب ان تفكر هذه الدولة العظيمة فى اقامة نصب تذكاري له فى عاصمتها واشنطون ، وتدل رسالة الرئيس واشنطون التي اجاب بها السلطان على اثر الاعتراف المذكور ان المغرب كان يحظى بتقدير كبير فى الاوساط الدولية نظرا لقوته وتقدمه وسياسته السلمية الرشيدة .

ومن الغايات النبيلة التي كان يتوخاها فى سياسته الخارجية بعد اقرار السلام وتنمية الاقتصاد الوطني ، فكاك الاسرى الذين كانت كانت تعج بهم بعض دول البحر الابيض المتوسط نتيجة لنشاط حركة القرصان وخرق قانون حرية الملاحة فى حوض هذا البحر من لدن عصابات المغامرين الدوليين ، فقد بلغ عدد من افتداه من الاسرى المغاربة والجزائريين والاتراك او تسبب فى فدائهم ما يناهز 50 000 اسير ، بعث فى ذلك السفارات المهمة الى اسبانيا مرارا والى مالطة، ونابولي وغيرها وانفق فيه الاموال الطائلة حتى لم يبق اسير بيد اجنبي فى هذه الدول ، ومما كتبه فى هذا الصدد الى ملك اسبانيا : « انه لا يسعنا فى ديننا اهمال الاسرى وتركهم فى يد الاسر ، ولا حجة فى التغافل عنهم لمن ولاه الامر » وفيما نظر انه لا

يسمعكم ذلك في دينكم ايضا » وهذه روح عالية وانسانية رفيعة كانت تلقى الدروس القولية والعملية في الحرية والحضارة لدول اروبا آنذاك ، وما بالعهد من تقدم .

مع الدولة العثمانية

واذا كانت هذه هي علائقه السياسية مع مختلف الدول ، فان علاقته مع دولة الخلافة العثمانية تكتسي صبغة الود والصداقة والتأييد المستمر بحيث يسالم من سالمها ويحارب من حاربها حتى ليمكن عد البلدين بلدا واحدا والدولتين كذلك دولة واحدة في التآزر والتعاضد، ولقد كان ولاة الجزائر كثيرا ما يثيرونه بتصرفاتهم غير الودية فلا يزيد على ان يشكوهم الى الخليفة العثماني الذي كان يكبح من جماحهم ويأمرهم ان يعاملوا السلطان بما يعاملونه هو من التعظيم والاحترام ، وكانت الرسل والسفارات لا تفتأ تتردد بينه وبين عاصمة الخلافة الاسلامية مصحوبة بالهدايا والتحف والمساعدات المالية بالمبالغ الضخمة وخصوصا في اثناء حروب الدولة العلية ، وبالمثل كان خلفاء استنبول يمدونه بالمعونة الفنية والمادية في مشاريعه الحربية وبناء اسطوله مما هو مبين في التواريخ العامة ورحلات سفرائه ، وبلغ من تضامنه مع دولة العثمانيين انه لم يقبل سفير روسيا في بلاده ولم يقم علاقات سياسية مع قياصرة موسكو اذ كانوا في حرب دائمة مع الاتراك .

والغاية في هذا الباب انه كان ذات مرة في جولة من جولاته بالمملكة فادركه عيد الاضحى في الطريق فصلى صلاة العيد وخطب في الناس بنفسه ودعا للخليفة عبد الحميد الاول ، حيث كان الخطباء يدعون له بالنصر والتأييد ، فكان ذلك ايذانا بأن الدولة واحدة وان التضامن الاسلامي حقيقة لا تقبل التشكيك.

وفي هذا الاطار تمت المصاهرة بينه وبين الشريف سرور امير مكة في كريمته التي زوجها الى الشريف المذكور في موكب عظيم بصحبة ولديه الاميرين مولاي علي وشقيقهمولاي عبد السلامومرافقة ركب الحاج المغربي ، وارسل معهما هدايا لامير طرابلس وامير مصر والشام ولاهل الحرمين الشريفين من اشراف وعلماء ، وذوي الحيثيات المختلفة ، وكانت هذه المصاهرة حدثا تاريخيا ومظاهرة كبرى على صعيد الجامعة الاسلامية ووحدة بلاد الخلافة .

تقوية الجيش

وظهرت نتيجة العمل الجدي الذي لم يفتأ يقوم به لتقوية الجيش وتجهيزه بالمعدات الحربية اللازمة واحياء الاسطول الحربي وتنميته في الحملة التي شنها على مدينة الجديدة برا وبحرا والحصار الذي ضربه عليها حتى استسلمت وردها الى حظيرة الوطن بالقوة ، بعد أن كان ميؤوسا منها ، وكانت بيد البرتغال منذ عهد بعيد ولم يتأت لجده السلطان مولاي اسماعيل استرجاعها في حملة ما استرجعه من المدن الاسلامية التي كان الاجانب قد احتلوها في فترات الضعف التي مرت على المغرب .

الاهتمام بالعمران

كما ظهرت نتيجة اهتمامه بتنظيم المالية وتنمية موارد الدولة ، في الاعمال العمرانية التي قام بها في مختلف انحاء المغرب ، واعظمها بناء مدينة الصويرة التي جعلها ميناء لعاصمة مراكش على المحيطالاطلسي ، وقد تخير موقعها واختطها بحيث جاءت مرفأ طبيعيا للسفن سالما من الآفات فنشطت بها الحركة التجارية والمواصلات البحرية حتى عطلت ثغر اكادير ومرساه الذي كان الثوار يتداولونه ويسرحون منه وسق السلع افتياتا على الدولة ، وهذا الى ما عمرها بهمن البنايات العامةكالحصون والمساجد والاسواق ومختلف المرافق فلم تلبث ان صارت من مدن المغرب الحافلة بالسكان والدور والقصور والبساتين والرياض وسائر المنشآت التي تتقرى بها القرى وتتحضر الحواضر .

واما عاصمة مراكش فمنذ كان بها خليفة عن والده وهو يجدد معالمها ويحيي مآثرها وقد بنى بها من المساجد والمدارس والمشاهد والحمامات والقصور والحصون والابراج الشيء الكثير ومثلها رباط الفتح عاصمة المغرب اليوم وسلا ومكناس وفاس وطنجة والعرائش وتازة والدار البيضاء وغيرها . فشكلا له فيها مآثر ضافية من مساجد ومدارس وابراج وقناطر وتحصينات دفاعية عظيمة لاسيما المدن الساحلية منها وتتبع ذلك يطول .

اعمال الاصلاح

على ان عظمة السلطان سيدي محمد بن عبد الله لا تظهر في هذه الاعمال بقدر ما تظهر في مبادراته

الاصلاحية فى حقل التعليم والعدل والشؤون الاجتماعية بعامـــة .

ان صيانة الملك لملكته وقمع الثواروثية الداخل المالية ونشر العمران كل ذلك من طبيعة عمله السياسي وتدبير ملكه ، فالملك الذي لا يضطلع بهذه الامو يكون فاشلا ، بل لا يكون فيه من معنى الملك شيء ، فأما اذا تجاوز ذلك الى التفكير فى النهوض بالمجتمع ورفع مستوى شعبه المادي والمعنوي وضمان الحياة الكريمة له ، فان هذا يكون ملكا عبقريا تصلح به رعيته وتتقدم بلاده وتنال الانسانية على يده خيرا كثيرا ، وقد كان محمد بن عبد الله العلوي من هذا الطراز من الملوك .

وتتوزع مخططاته الاصلاحية بين ثلاثة ميادين :

الاول — ميدان السياسة الاسلامية التي هي بحاجة دائما الى توحيد صف المسلمين وتحديد هدفهم لئلا يطمع فيهم عدوهم أو يزيغوا عن طريق العمل لاعلاء كلمة الله ، وخاصة بعد ان انتشر عقد الخلافة الاسلامية واستقل كثيرا من الاقاليم فأصبح بعضها يناوىء بعضا .

وان العمل الذي قام به سيدى محمد بن عبد الله فى هذا السبيل والخطة الحكيمة التي سلكها لتوحيد الكلمة فى العالم الاسلامي على عهده لما يبعث على الاعجاب ويجعلنا نجثو مطاطئي الرؤوس أمام شخصيته الكبيرة التي ارتفعت بالتواضع واعتزت بنكران الذات من حيث يريد آخرون ان يرتفعوا بالكبرياء ويتعززوا بالانانية فلا يزيدهم ذلك الا حقارة وذلا ، ولقد رأينا كيف كان على صلة دائمة بدولة الخلافة العثمانية يتودد اليها ويصلها ويناصرها ويعادي من عاداها وكيف كان يخطب ود امراء المسلمين فى الشرق والغرب حتى صاهر أمير مكة على ابنته وكيف أنه لم يسلس خط الحبل للخلافات التي كانت تنشأ بينه وبين ولاة الجزائر وحين كان يتعذر عليه الامر يلجأ الى الخليفة العثماني طالبا تدخله حتى ينتهي أمر الخلاف بسلام .. وأخيرا فقد رأينا كيف خطب هو نفسه باسم الخليفة العثماني عبد الحميد الاول فكان ذلك بمثابة المبايعة له مع أنه لم تلجئه الى ذلك ضرورة ، اللهم الا رغبته فى وحدة بلاد الاسلام ، والقضاء على جميع أسباب الخلاف بين أئمة المسلمين ، وهذا الفعل شبيه بما فعله يوسف ابن تاشفين الذي بايع للخليفة العباسي مع استغنائه عنه وقوة سلطانه الذي لا يقل به سلطان الخليفة الضعيف المضروب على يده . فهما خلافان فريدان فى تاريخ الاسلام ولو أن السياسة العليا للمسلمين سارت على هذا المنوال لكان واقع المسلمين اليوم غير ما هو .

الثاني — ميدان العدل ، فلقد اهتم بمسألة الاحكام القضائية والقوانين الفقهية ، وكانت التفريعات والنظريات المذهبية قد طغت على اقوال الفقهاء ومداركهم فى الفتوى والتشريع ، فتشعبت بذلك الدعاوي وضاعت الحقوق ، ومرج أمر القضاء والتوثيق ما بين الانسياق فى حبل الخلافات الفقهية والاقوال الضعيفة وبين التلاعب بالمساطر والعقود ولم يكن الفقهاء ليدركوا خطر ذلك على اختلال ميزان العدل وتعطيل الشريعة الاسلامية التي جاءت بالحق والقسطاس لانهم يعتقدون ان عملهم هو فى صميم القواعد والنصوص ، فلم يكن من السلطان سيدي محمد ابن عبد الله الا ان يردهم الى الصواب ويصدر تعليماته بوجوب انتزاع الجادة والاخذ بلب الفقه وعدم الميل مع الشذوذ والمذاهب المرجوحة ومنع الفتوى من كتب المتأخرين التي لا سند لها الا تمحلات المتفقهة وابحاث المتنطعين ، ونص بالخصوص على كتب الاجاهرة اعني الشيخ علي الاجهوري من متأخري فقهاء مصر وتلامذته كالزرقاني والخرشي ، وكانت هذه الكتب تحظى بتقدير كبير من علماء المغرب ، فمنع الرجوع اليها والاعتماد عليها الا فيما وافق قول العلماء الاقدمين ، وهدد المخالف بالعقاب الصارم سواء كان مفتيا أو قاضيا ، وكذا شدد على العدول والموثقين فى تحرير الشهادات والتحري فيها ما امكن ، وأمر بعدم الاخذ بشهاداتهم فى كثير من المسائل التي تلوح عليها امارات البطلان ويحوم حولها الشك الا ان تكون تلقيت بمحضر القاضي وموافقته ، لما كان يجهز على الشهود من الاستهتار بحقوق الناس والمقايضة عليها حتى قيل انه أمر بان يكتب فى سماط العدول بالخط العريض حيث يرى ذلك كل الناس ، هذا البيت :

لقد طلبت هنيا موجودا

ايهتا تريد أم فنودا

وكل ذلك كان زجرا لهم وتقويما لاعوجاجهم واخذا للبريء بتهمة المجرم كي يستقيموا جميعا على الطريقة ويؤدوا الشهادة على وجهها .

ولقد كان له فى هذا الباب اختيارات وانظار تقوم على الاحتياط لحقوق الناس واقامة ميزان العدل

بينهم ، ولاسيما في الاحوال الشخصية كعقد الزواج بالفاتحة وعدم الحكم بالطلاق الا بعد التحري ووقوعه فعلا مما يهدف الى صيانة العلاقة الزوجية من التلاعب والمحافظة على بناء الاسرة من الانهيار ، وهذه التقنينات حرية أن تخص بالدراسة ، وتناولها هنا مما يضيق عنه المقام .

الثالث — ميدان التعليم ، وكلنا يعلم ما كانت عليه الحياة العلمية في بلاد الاسلام عموما على عهد السلطان من الضعف والركود ، وما ذلك الا للارتكاس الذي اصاب طرق التعليم ومناهجه والجمود على المخلفات سواء كانت نافعة ام ضارة بحيث لا يفكر احد في التطور الذي حصل في العالم في ميادين الصناعة والفنون ولا يحاول احد أن ياتي بجديد يلقي به القديم فيصل الحاضر بالماضي الذي كان يزخر بالعبقريات المنتجة والمبتكرة في كل مجال . وتفكر السلطان في علاج هذا الوضع ، وعلاجه هو علاج القرويين التي كانت الجامعة الوحيدة في بلاده والمركز المختص بتكوين العلماء والهيمنة على شؤون الفكر باختلاف مناحيه . وكانت الخطوة التي خطاها في هذا الباب هي وضع منهاج جديد للدراسة في القرويين وسائر المعاهد التابعة لها ، الزم به العلماء والمدرسين وتوعد على مخالفته ، فكان أول تنظيم رسمي للدراسة في هذه الجامعة الاسلامية الكبرى وربما سبق كل تنظيم آخر من نوعه في اية جامعة اسلامية اخرى .

ويتلخص هذا المنهاج في الامر باحياء الدراسات الاصلية من الكتاب والسنة وعدم الاعتماد في الدراسات الفقهية الا على كتب الاقدمين مثل المدونة لابن القاسم والبيان والتحصيل لابن رشد وغيرهما وترك دراسة المختصرات وكتب المتأخرين كمختصر الشيخ خليل الجندي المصري وشروحه للاجاهرة الذي نهى عن الاعتماد عليهم في الاحكام والفتوى على ما سبق . وكان هذا المختصر قد استأثر باهتمام الاساتذة والطلبة على السواء وقصروا نظرهم عليه وعلى شروحه المذكورة حتى لم يبق لهم التفات الى كتب الامهات ، ولا الى كتب الحديث والتفسير الا نادرا جدا. وهذا فضلا عن انهم يستغرقون السنين الطوال في دراسته ولا يتاتى للطالب ان يمر فيه كله ويختمه ولو مرة واحدة الا اذا نفق بين دروس عدد من العلماء التي يلقونها حوله ، وذلك من كثرة الابحاث اللفظية والمحاكات القليلة الجدوى ، فامر من يريد ان يدرسه ان لا يستعمل الا شروحه المبسوطة المحررة كشرح الحطاب والمواق وأن يختمه في اقرب وقت ممكن ، وكذا أمر بالحرص على ختم الكتب المقررة في بقية العلوم من نحو ولغة وبلاغة وادب ، وعين كتبها المفضلة وحدد زمن قراءتها ، وفي علم الكلام نهى عن تدريس كتب الاشاعرة والاخذ بمذهبهم وحض على مذهب السلف وعقيدتهم ، وامر في ذلك بالاقتصار على عقيدة ابن ابي زيد القيرواني الواردة في رسالته المشهورة ، وهدد المخالف بالعقاب كما حظر الاشتغال بكتب الفلسفة والمنطق والتصوف ولم يجوز لاحد أن يتدارس هذه العلوم الا في بيته .

ومن المهم معرفة أن السلطان محمد بن عبد الله كان له ميل شديد الى مذهب اهل الحديث والعمل بالسنة فقها واعتقادا وهو في ذلك شبيه بيعقوب المنصور الموحدي الا انه لم يغل غلو يعقوب فيامر بحرق كتب الفقه ، وسمى مسجده العظيم الذي بناه بالرباط **جامع السنة** وهو لا يزال يحمل هذا الاسم وكان له مجلس من اهل العلم يسردون له كتب الحديث ويخوضون في معانيها ويؤلفون له ما يستخرجه منها على مقتضى اشارته ، فمن مؤلفاته كتاب الفتوحات الالهية في احاديث خير البرية مجلد جمع فيه ما اتفق عليه الائمة ابو حنيفة والشافعي واحمد والبخاري ومسلم ومالك ، ثم ما اتفق عليه اكثرهم الى ان ينفردوا، ومنها كتاب الجامع الصحيح الاسانيد المستخرج من ستة مسانيد ، وهي المذكورة قبله رتبه على ابواب الفقه ، ومنها اختصار شرح الحطاب على مختصر خليل ، وهذه الكتب تدل على علو همته ، وعظيم شغفه بالحديث النبوي وتمسكه بالسنة ، وذلك هو ما يفسر لنا قلة احتفاله بالعلوم العقلية والتصوف حتى استبعدها عن منهاجه وامر أن لا تدرس في القرويين والمعاهد العلمية الاخرى ، متأثرا بما عرف من عزوف علماء الحديث واهل الاثر عموما عن هذه العلوم وتحذيرهم من الاشتغال بها .

وعلى كل حال فالمنهاج وان لم يدخل علما جديدا في الدراسات القروية بل استبعد بعض ما كان موجودا فيها ، فانه كان محاولة لتجديد اساليب التعليم واحياء التراث الاسلامي وطي مراحل التحصيل التي كانت تستنفذ الاعمار من غير كبير فائدة ، ويا ليته استمر العمل به وجدد من حين لاخر اذن لكان آتى اكله واعطى نتائجه ، ولكن العلماء كانوا غير مؤمنين به فلم يخلصوا في تطبيقه وما ان توفي السلطان وخلفه من خلفه حتى اذن لهم بالرجوع الى ما كانوا عليه ، وكل يعمل على شاكلته .

لقد نجح السلطان سيدي محمد بن عبد اللـــه في كل ما قام به من منجزات واعمال لصالــح الديــن والوطن لانه كان ذا فكر عبقري وهمة عالية وكــان في جميع اعماله يحدوه الاخلاص والنصــح للرعيـة فاتم الله عليه نعمته بالتوفيق والتسديد ، والشــيء الوحيـد الذي لم يسر حسب رغبته هو مخالفــة ولده مولاي اليزيد عن نهجه في السياســة والاصلاح ، ولذلك فانه لما توفي بعده لم يبق على ما بنــــاه والده وتضعضع كيان الدولة من جديد بعد ما كــان قد ارساه هذا السلطان المصلح على قواعد راسخة .

وتوفي سيدي محمد بن عبد الله في طريقه الى الشمال بقصد استصلاح حال ابنه اليزيد ، وكان عنـد خروجه من مراكش قد اصابه مرض خفيف ، فتحمل المشقة وجد في السيــر فغلبه المرض وتوفي بالقرب من رباط الفتح في 24 رجب 1204 فحمل الى الرباط ودفن بها في دا خل قصره المعروف رحمه الله ، وقد كان لــه من العمــر حين توفــي سبعون سنــة وقضــى في الملك ثلاثة وثلاثين سنـة .

ومما مدح بـه قول صاحب الشمقمقية :

مذ كـان طفـلا والسمـاح دابـه
وغبر مأخذ الثنــا لـم يعشــق

نشــا في حجـر الخلافـة ومـذ
شــب فتى بغيرهـا لم يعلـق

فبايعتـه الناس طــرا دفعـة
لـم يكـ فيهـا احـد بالاسبــق

واعطيت قـوس العلا من قد بـرى
اعوادهـا رعـايـة للاليــق

فصـار فيء العـدل في زمانـه
منتشـرا مثـل انتشـار الشـرق

وشاد ركن الديـن بالسيف وقـد
حـاز بتقـواه رضــى الموفـق

وقـد رقـى في ملكـه معـارجـا
لم يـك غيـره اليهـا يرتقـي

طنجـة ــ عبد اللـه كنـون



الثقافة والعلم في العصور الحديثة بالمغرب

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

أستاذ في جامعتي القرويين ومحمد الخامس
والأمين العام للمكتب الدائم للتنسيق التعريب
في العالم العربي

لعل من التعسف ان نقسم عصور المغرب الادبية تبعا لعصوره السياسية كما فعل الكثير من كتاب العصر بخصوص الادب العربي لان هذا الاسلوب لا يخلو من الافتعال وارى أن اضمن وسيلة لدراسة عصر من العصور هى التمهيد له بنظرة عن الحالة الفكرية فى القرن الذى يسبقه ثم الاسترسال فى دراسة العصر الذي هو موضوع البحث اذ ينتج عن ذلك اصطدام الباحث آليا بالفروق البارزة التي تميز بين العصرين فيسهل حينذاك رسم الحدود .

ان تاريخ حركة الفكر بالمغرب مهمة شاقة نظرا لقلة المصادر وانتشار الوثائق — على ندرتها — بين طيات كتب قد لا يخطر ببال المؤرخ للثقافة المغربية انها مظان محتملة لما ينتجعه من معلومات . فقد تجد مستندات ادبية فى كتب الفقه والتصوف وقد تعثر على اروع القطع الشعرية فى كتب الفتاوى او الحوليات السياسية وقد تظفر بدقائق تلقي ضوءا على خوافى التيارات الادبية بين ثنايا كتب التراجم التي تكاد تحتكر عالم التأليف فى جهازنا الثقافى .

وبالجملة فمصادر تاريخ الفكر فى عهد الشرفاء تذهب من الكتب الفقهية كالدر الثمين لميارة والمعيار للونشريسي ، الى كتب التاريخ كمصنفات ابن القاضى والفشتالي والافراني الى الرحلات كمحاضرات اليوسي ورحلة العياشي الى كتب التراجم كالدرر المرصعة ومرآة المحاسن ونشر المثانى الى اراجيز كالاقنوم الى كتب ادبية صرف كالانيس المطرب للشريف العلمى .

واستقراء هذه المصادر كلها قد يرسم فى ذهن الباحث صورة لا نقول واضحة ولا تامة عن خصائص الحركة الثقافية ومميزات الناتج الفكرى وعن الروابط أو الفروق التي يمتاز بها هذا العصر عن ذاك وهذه الطائفة عن تلك وهذا الفريق من المحدثين والفقهاء عن ذلك الرعيل من الشعراء والمتادبين والمؤرخين ، والمعلومات التى تكتمل تحت ضوئها صورة الجهاز الفكرى بالمغرب هى عبارة عن فسيفساء يستلزم التوفيق بين نوازعها ان لم نقل مناقضاتها شيئا غير قليل من الاصطبار والاناة اذ بقدر ما تختلف المصادر بقدر ما تتنافى الالوان والنزعات واساليب الحكم والتقدير .

وقبل أن ندخل صلب الموضوع نود أن نحلل الخصائص الكبرى المشتركة بين العصرين السعدي والعلوي فى الميدان الفري : ففي كليهما كان لفاس مركز الصدارة والاشعاع وفى كليهما اتحدت مناهج التدريس فى القرويين وغيرها من الجوامع كما اتحدت اساليب البحث وطرق التنصيف مع اختلاف طفيف فى الموضوع غير أن جامعة فاس ازدادت صدارة فى عصر العلويين بعد ان انهارت المراكز العلمية التي كانت تزاحمها كزاوية الدلائيين او تقلصت كزاوية الناصريين وقد كان كل منهما مقصد رواد المعرفة ومجمع العلماء والشعراء والمتادبين ، ولكن هذا الانقلاب لم يمس المجموع بل كان مجرد انتقال من جهة الى جهة لان العناصر الثقافية التي كانت تمد زيان وتمغروت ظلت عاملا قويا فى توطيد الحركة الفكرية فى المغرب ولكن بقدر ما تضاءل اسهام الدلائيين خلال العهد العلوي بقدر ما تضخمت مشاركة الناصريين فى نشر الثقافة بالربوع السوسية خصوصا والجنوب عموما غير ان المدارس الفكرية ظلت هي اسلوبا وروحا وغاية .

ولعل أقرب الاساليب الى توضيح الفروق بين العصرين — ان كان هنالك كبيرفروق — هي استعراض

صور الشخصيات العلمية والادبية التي برزت في كل من العصرين .

فاطلاب العلم في الدولتين كانوا ينتجعون الشرق لاستتمام المعارف وتبادل الاجازات وكان هؤلاء العلماء يشعرون بالرغبة في الاتصال بعلماء الشرق كما كان المشارقة يتوقون الى مبادلة علمائنا وجوه النظر وقد عرف الشرق كيف يقدر المغرب في شخص افذاذه امثال ابن سليمان الروداني والمقري وابن الطيب الشرقي ويحيى الشاوي وغيرهم لان اساليب الشرق والغرب كانت تتكامل كما أن عناصرها الحيوية كلها يتمم بعضها بعضا في هيكل موحد رصين . ولعل ما لاحظه المقري وقبله ابن خلدون من فروق بين الشرق والمغرب في الاتجاهات الفكرية والمناهج العقلية قد ظل على ما كان عليه اذ بينما كان الشرق مطبوعا بالعمق في ملكه العلوم النظرية طفق المغرب يوغل في البحث اللفظي مع تحقيق ما احتوت عليه بواطن الابواب وتصحيح الروايات وبيان وجوه الاحتمالات والتنبيه على ما في الكلام من اضطراب الجواب واختلاف المقالات مع ما انضاف الى ذلك من تتبع الآثار ، وبينما غلب على على تآليف المشارقة الايجاز (عدا البعض كالغزالي والفخر الرازي) مع انحصار في الموضوع سواء في التصنيف ام التدريس اذا بالمغاربة من القيروان الى القرويين يوغلون في الاستطراد . واذا كانت صناعة التاليف قد انتهت في علماء المغرب على صناعة اهل المشرق في شخص ابن البناء المراكشي فقد عللوا ذلك (ببراءة نسبة من البداوة) غير ان الامر لم يبلغ الحد الذي زعمه ابن خلدون في المائة الثامنة من انقطاع ملكة التعليم (1) على طريق النظار لان التحقيق العلمي ظل طابع الكثير من علماء عهد الشرفاء هذا مع تحفظات منها نوع من التجمد في المنهج وايغال في استظهار النصوص حيث ادى الحال في بعض نواحي المغرب كسوس الى تطرف في الاستظهار تجاوز المتون الى معاجم اللغة ولكن هذا الاسلوب الذي كان يحجر الفكر احيانا عند من لا يستطيع ان ينسق بين واعيته وملكته التصورية قد ضخم على العكس عند البعض السليقة العربية ولا ادل على ذلك من وفرة اعداد الادباء والشعراء في سوس حيث لا يزال التحقيق اللغوي خاصة بارزة ولا يعزب عنا ان ابن القزاز البربري هو الذي صحت عليه اللغة بالاندلس بعد ابي علي البغدادي وان اهل شنقيط اقرب الى ملكة التعليم عنهم ولم يكن منهم من له عناية بالرحلة بل قصرت هممهم واقتصرت على طريق تحصيل القراءة ودروس التهذيب فقط ، نعم اخذوا شيئا من مبادىءالعربية من اهل الاندلس مثل ابن ابي الربيع والشلوبين وغيرهما لوجود ملكة النحو في قطر الاندلس بسبب رحلة علمائهم الى تلقيه من اربابه بالمشرق كما ارتحل اعلامهم الى بغداد في تحصيل علم الفقه عن الابهري وكذا يحيى بن يحيى عن مالك وغير واحد وكذلك علوم الحديث كرحلة الامام ابي بكر بن العربي . (نشر المثاني ج 2 ص 97) .

وهذا يناقض ما ذكره علي بن ميمون الحسني في تاليف له استطرد فيه الكلام على فاس فقال : « ما رايت مثلها ومثل علمائها في حفظ ظاهر الشرع العزيز بالقول والفعل وغزر الحفظ لنصوص امامهم الامام مالك وحفظ سائر العلوم الظاهرة من الفقه والحديث والتفسير وحفظ نصوص كل علم مثل النحو والفرائض والحساب وعلم الوقت والتعديل والتوحيد والمنطق والبيان والطب وسائر العلوم العقلية كل ذلك لابد فيه عندهم من حفظ ذلك الفن .. ما رايت مثلها ومثل علمائها » في سائر مدن المغرب لا في مدينة تلمسان ولا بجاية ولا تونس ولا اقليم الشام بأسره ولا بلاد الحجاز فاني رايت ذلك كله بالمشاهدة ولا بمصر على ما تقرر عندي من العلم الحقيقي بمشاهدة اناس من اهلها » (سلوة الانفاس ج 1 ص 74) وقد تحدث عبد الواحد المراكشي في المعجب (ص 221) عن فاس فقال : « هي حاضرة المغرب في وقتنا هذا (اول القرن السابع الهجري) وموضع العلم منه اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة .. رحل من هذه وهذه من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة فرارا من الفتنة فنزل اكثرهم مدينة فاس فهي اليوم على غاية الحضارة ، واهلها في غاية الكيس ونهاية الظرف ولغتهم افصح اللغات في ذلك الاقليم وما زلت اسمع المشائخ يدعونها بغداد المغرب .. الى ان قال : « ولم يتخذ لمتونة والمصامدة مدينة مراكش وطنا ، ولا جعلوها دار مملكة لانها خير من مدينة فاس في شيء من الاشياء ، ولكن لقرب مراكش من جبال المصامدة وصحراء لمتونة » الفصحى من باقي عناصر الشعوب العربية بفضل تلك الروح الاستظهارية البسيطة .

1) قال ابن خلدون : « لم نشاهد في المائة الثامنة من سلك طريق النظار بفاس لاجل انقطاع » .

فلهذا وذاك كان من المفيد قصد تحقيق التكامل استمرار الاتصال بين علماء المغرب وعلماء المشرق وقد تطورت هذه الحركة ايام العلويين فشاهدنا كثيرا من علماء المغرب وادبائه يتجهون الى مصر والحجاز للاستجازة والاجازة كالعياشي واليوسي واحمد بن ناصر واحمد القادري ومحمد (فتحا) الفاسي ومحمد بن الطيب العلمي المتوفى بالقاهرة واحمد بن الخياط الذي مكث طويلا فى القاهرة ايضا واحمد الهلالي الذي ترك لنا وصفا شيقا لرحلته العلمية هذه .

ولكن الآفاق اتسعت بعد ذلك برحلة كل من الزياني والوزير الغساني الى سواحل المتوسط الاوروبية حيث كتب لنا الاول صفحات ناصعة عن الحياة الثقافية بالاستانة والثاني عن اسبانيا ، وكان هنالك رحالون آخرون كابن زاكور الذي خلف لنا حاشية على قلائد العقيان وشرحا فى ثلاثة اجزاء على الحماسة زيادة على شروح ادبية اخرى .

وهذه الرحلات التي قام بها كل من الزياني والغساني كانت سفارات رسمية وهذا بدا لنا على ان الملوك العلويين كانوا يختارون لسفاراتهم السياسية الكتاب الادباء كما فعل المنصور السعدي اوائل المائة العاشرة حيث وجه الى الاستانة سفارة فيها محمد بن علي الفشتالى الشاعر المؤرخ وعلي التمغروتي صاحب النفحات المسكية فى السفارة التركية وسفارة اخرى الى مراد الثالث فيها الكاتب ابو العباس احمد بن علي الهوزالي .

ولكن اذا كان هؤلاء العلماء قد استغلوا رحلتهم لتدوين ما التقطوه من فوائد ومعلومات فقد اغتنم ابن القاضي مؤرخ الدولة السعدية رحلته للقيام بعمل اوسع نطاقا هو تصنيف موسوعة عن علماء الاسلام شرقا وغربا .

وقد تبلورت فى العهد العلوي بعض الخصائص الثقافية كالاكثار من التصنيف حيث بلغت تآليف ابي زيد الفاسي مائة وسبعين مصنفا شملت حتى الطب والفلك زيادة على التاريخ والتنجيم والكيمياء هذا بينما لم يحص للصومعي قبل ذلك سوى ستين مصنفا ولابن بابا اربعون .

اما الايغال فى الحفظ فقد كان ميزة العصرين حيث كان محمد الرقاد بن احمد المدعو الفيوم بن عمر الكنتي يحفظ الف مجلد وقبله كان الجزولي — قبيل العصر السعدي — يحفظ — على ما ذكره احمد بابا فى كفاية المحتاج — فرعي ابن الحاجب وقيل حتى المدونة وكان هنالك من يحفظ الحلية بمجلداتها العشرة وكان ابو زيد الفاسي يحفظ الصحيحين .

اما تشجيع العلم والعلماء من طرف الملوك فان مجهود المولى الرشيد لم يقل عن ايادي المنصور السعدي البيضاء ويكفي دليلا على عناية الرشيد رغم ما كان يشغله من مهام سياسية نظرا لحداثة دولته واضطراب البلاد — انه كان يكلف نفسه عناء حضور دروس العلماء فى القرويين كالشيخ اليوسي ويتحف رجال الادب بالهدايا بآلاف الدنانير وبالرغم عن حركة التحرير الواسعة التي قام بها المولى اسماعيل فان بناء المدارس ظل موصولا حتى بلغ منتهاه ايام حفيده المولى محمد بن عبد الله الذي نشر العلم واسس عشرات المعاهد فى « المداشر » والقرى وتعاطى صناعة التاليف وطور مناهج التدريس والتصنيف .

فنحن نرى اذن ان القرنين العاشر والحادي عشر موسوما بسمات مشتركة على وجه العموم الا ان بعض المميزات قد تضعف هنا بينما تقوى هنالك وسنأتي بأمثلة حية نستقيها من حياة الكتاب والشعراء وقد ادى انبساط الأمن فى العهد الاسماعيلي الى استمرار الاتصال بين نقط المغرب المتنائية فأمست العواصم العلمية الحضرية مهبط العلماء من اقصى الجنوب وقد عرفت هذه الحواضر سوسيين افذاذا منهم التمنارتي الشاعر المؤرخ واحمد البوسعيدي والمرغيثي الشاعر الفلكي الطبيب وغيرهم . وكانت العائلة الفاسية احد العناصر التي تتولى الزعامة فى العاصمة العلمية ولكنها اصبحت مزاحمة فى العصر العلوي من طرف الدلائيين (الذين نبغ منهم خلال القرن الحادي عشر اثنان هما محمد المسناوي ومحمد ابن عبد الرحمان) والقادريين والسوديين وغيرهم وبينما كان الدلائيون والناصريون يتقاسمون آخر ايام السعديين النفوذ الثقافي فى بادية اقصى الجنوب وبعض نواحي الاطلس اصبح هذا المركز الاخير ميدانا يكاد يحتكره الشرقاويون الذين لم يكن نشاطهم ثقافيا اكثر منه صوفيا كما كان الحال بالنسبة للزاويتين الدلائية والتمغروتية .

وقد عرف العصر العلوي اطباء من بينهم المرغيثي المذكور وابن زاكور الذي ذيل ارجوزة ابن سينا فى الطب وعبد المجيد المنالي الشاعر الصوفي الطبيب وآل ادراق البرابرة الذين توارثوا مهنة الطب ابا عن جد وابرزهم عبد الوهاب وقد وصل هؤلاء

الحلقة التي بداها فى المغرب بنو زهر وبنو افلاطون الفاسيون فى العهد الموحدي .

وقد امتاز العصر العلوي بظواهر منها دخول عائلات اسرائيلية فى الاسلام ونبوغ علماء افذاذ منهم لا سيما فى فاس ووفرة التآليف لاسيما منها تراجم الصوفية والروح الفقهية والحواشي والذيول والاراجيز ، وظهور انماط جديدة من التآليف كمحاضرات اليوسي وقانونه واقنوم عبد الرحمن الفاسي ورحلة العياشي وكلها تعد دوائر معارف لما كان يروج فى ذلك العصر على أن الانيس المطرب للشريف العلمي يعد ايضا فتحا جديدا فى ذلك العصر لصبغته الادبية الصرف وتخصيصه تراجم ضافية لاثنى عشر من ابرز ادباء العهد العلوي كالحلبى وابن زاكور ومسعود المريني والعربي الشرقي والمهدي الغزال وعمر الحراق والبوعصامي الموسيقار وغيرهم وسنتعرض لخصائصهم الادبية منظرين بينها وبين ما امتاز به بعض شعراء وكتاب الدول المغربية السالفة أو الامصار العربية الاخرى .

ومن الظواهر التي امتاز بها العصر العلوي حرية النقد حتى ان محمدا الضعيف مؤرخ الرباط كتب صفحات نقدية شديدة اللهجة ضد العائلة العلوية كما كتب الحسين ابن السلطان محمد بن عبد الله مؤلفا ضد الدولة العلوية وحكومة والده .

وقد فسح المغرب صدره لعلماء الاسلام كاحمد بابا السوداني فى ايام المنصور السعدي كما تبنت فاس الامام الحلبي ايام المولى اسماعيل وقد تخصص الاول فى باب جديد هو تراجم الفقهاء بينما برز الثاني فى لون جديد من الشعر هو المديح النبوي على الطريق الصوفي بما فيه من التغني بالحقيقة المحمدية مما ادى الى منافرة بينه وبين اليوسي .

وهكذا فان الحركة الادبية فى العهد الاسماعيلي لم تكن كما يقول ليفي بروفنصال محصورة على وجه التقريب فى دائرة الكتاب المخزنيين ببلاط مكناس وان من الصعب التمييز بين الحالة الفكرية فى القرن العاشر وبينها فى القرن الحادي عشر بل الثاني عشر ، ولعل الادباء المخضرمين الذين عاشوا فى أعقاب السعديين واوائل العلويين صورة لوحدة الطابع من كافة النواحي اللهم الا تقلصا هنا وامتدادا هناك تبعا لمقتضيات التطور الحتمية .

واذا أردنا أن ندرك نوع المعارف التي كانت سائدة فى ذلك العصر والتي احتكرت نشاط رجال الفكر فما علينا الا ان نستعرض زمرة ممن شملهم الميدان امثال البوسعيدي والاغلالي والتمنارتي وميارة والمرغيثي واليوسي والعياشي وآل الفاسي والغساني والحلبي وابن زاكور والولالي واحمد بن ناصر وغيرهم فستتضح لنا خطوط ذلك الاطار الذي انحصر فيه النشاط الفكري .

فمن عالم يكدح فى خمول موزعا يومه بين التدريس والعبادة الى مصنف لا يعدو شرح النصوص الفقهية او جمع تراجم الصوفية او وضع لوائح مطولة عن شيوخه واجازته الى فقيه انصرف للقضاء او الفتيا فاحتكره حديث النوازل والاقضية والخصام والشجار الا ان غالب الفقهاء يعزفون عن المناصب العمومية وينصرفون الى التعليم احتسابا وتطوعا .

ولكنك تجد ازاء هذا النزوع الفقهي والوجهة الصوفية اتجاهات من نوع جديد تضفي على المجتمع الفكري الوانا طريفة فانك تعثر فى هذه الفترة على دواوين شعرية وتحريرات تاريخية الى جانب كتابات فى الحساب والفلك والطب فهذا عبد الرحمن التمنارتي يتولى الفتيا والقضاء ويقرض الشعر العالي ويؤرخ لسوس العالمة فى فهرسته القيمة وهذا المرغيثي يدلي دلوه فى كثير من شعب المعرفة بعد ان اقام فى زاوية الدلاء محفل الاداب والعلوم فيكتب فى الرياضيات والهيئة ويجمع معلومات شيقة عن مجتمع عصره مازجا ذلك بفوائد مختلفة تتراوح بين التنزلات الروحانية والوصفات الطبية والشوارد الادبية وقد استقى الافراني مادة تاريخ المجتمع السعدي عن امثال هذه المصنفات ، وهنالك نوع آخر من التصانيف يتجلى فى (الدر الثمين) لميارة حيث نجد الى جانب الذيول الفقهية والتعاليق الصوفية طرائف عن الحركة الفكرية المعاصرة وبرحلة العياشي يظهر اسلوب جديد فى البحث يحاول ان يتجاوز النطاق المغربي المحدود الى ذلك الفضاء الواسع الذي يمتد الى الشرق الادنى حيث المناهج الدراسية تختلف نوعا ما عنها فى المغرب وحيث طرائق التصنيف ومواضيع التآليف تتسم بميزات من طراز جديد فنرى العياشي يحاول ان يدرس خصائص الشرق ليقارنها بالحالة المغربية مخللا ذلك بنظرات تاريخية وتلويحات صوفية واستطرادات ادبية فهو يحدثنا عن شراب البن فى الشرق مشيرا الى انعدامه اذ ذاك بالمغرب كما يصف لنا يوم المحمل بمصر ثم لا يلبث ان ينتقل الى الطرقية ومناكر المواسم معرجا على جزئيات كتطويل اللحية وحكمها وعدد العوالم البالغ ثمانية عشر الفا ثم يدرج

فوائد طريفة كاستيناس المصريات المترفات بشـراء ريال من الازهار كل يوم ولا شك ان شيوع هذا النوع من التاليف فى الوسط المغربي يحدث اثره السريع .

وقد اغرق العلماء فى التصنيف حتى بلغت تآليف بعضهم المائة والسبعين وهذه الوفرة من ابـرز ميزات العهد العلوي يضاف اليها التنوع حيث تجـد الرجـل الواحد يؤلف فى الطب والهيئة والفقه والتاريخ والتراجم والاداب ولكن اذا كانت بعض المصنفات صورة صادقة لذلك العصر كمحاضرات اليوسي فان الكثير يمتـاز بموضوعية متطرفة لا تترك مجالا لانبثاق ذاتية المؤلف مما يفقدها الروح والمتعة فالمحاضرات تصـور لـك الحرية بكيفية تثير فى النفـس حـب التطلـع وروح الانسياق مع المؤلف حتى ليخيل للقارىء انه يعيش فى ذلك العصر وهل هنالك لوحة تاريخية ابلغ مـن تلك الصور المتتالية التي يرسمها اليوسي فيشخص فيها الادباء فى مساجلاتهم والصوفية فى حضراتهم والملبسين فى دعاويهم والعوام فى خرافاتهم وتشبـه الرحلة اليوسيـة رحلة احمد بن ناصر من حيـث الافاضـة فى الحديث عن الشرق .

ثم ينبثق القرن الثاني عشر فيتسـع نطـاق النشاط الفكري وينضخم التنوع فيظهر امثال الزياني والوزير الغساني والشريف العلمي .

فالزياني مؤرخ دقيـق الملاحظة يخطو باسلوب البحث والتحقيق خطوات ويوسـع موضوعه فيكشـف عن الحياة فى جزء من القارة الاوربية وينطبع اسلوبـه التاريخي بمنزع جديد لانه يحاول مزج وصف الاحداث بنظرات عن نظام الحكم والحالة الفكرية اما رحلـة الغساني الى اسبانيا فانها وثيقة عرفت ادباء المغرب اذ ذاك باساليب الحياة فى بلـدان مسيحية ووصفت المجتمعات الاوربية وحياة البلاطات والطبقـات الارستقراطية الاسبانية وتجد الشريف العلمـي يفرد ادباء وشعراء بتاليف خاص فيتجه بالتصنيـف اتجاها فنيا يهدف الى النقد والتحليل والتنظير من خلال محاورات اجراها المؤلف مع اثنى عشر من معاصريه كالحلبي ، رغم ذلك موسوما بالطابع العام الذي كان يصطبغ به التصنيف فى القرن الثاني عشر وهو الانتشار وعدم التزام الموضوع وتذشبه بعضهم هذه الناحية بقلائد العقيان او المنتقـى المقصـور . فنحـن نجـد الى جانب هذا البيت الذي هو من نظم المؤلف نفسـه يخاطب به المولى اسماعيـل :

امـولاي امنـت البـلاد واهلهـا
فلله رب النـاس ثم لـك الشكـر

قصيدة للحلبـي مطلعهـا :

يا رب اني ضعيف هالني الوجـل
ما حيلتي يوم هول العرض ما العمل

واخرى لابن زاكور (وحيد البلاغة وفريـد الصياغة) صدرهـا بقوله :

اتـق اللـه مـا استطعت فـان
اللـه ربـي مـع الذيـن اتقـوه

هذا مع ان للحلبي مقامات عارض بها الحريري ولابن زاكور (عنوان النفاسة فى شرح الحماسة) ثلاثة اسفار و (مقياس الفوائد فى شرح ما خفي من القلائد) والصنيع البديع وشرح المقصور والممدود وشرح لامية العرب والمعرب المبين وغير ذلك .

وهذه النزعة الصوفية نجدها عند معظم شعراء هذا العصر فالشاعر مسعود المريني (واعظ المدينة المرتدي بالوقار والسكينة) الذي له تآليف فى التصـوف وقصائد عارض بها ابن الوفـا وطاول ابن الفـارض يقـول فى مطلع قصيدتـه :

يـا رب انـك موجـدي ومكونـي
ومدبـري ومصوري ومشكلـي

وفى اخـرى :

سهـام المـوت راشقـة النبـال
ونحـن مـع البطالـة لا نبالـي

ولكنه يقـول ايضـا :

طيـف الخيـال تعـرضـا
اخـذ المقـام واعـرضـا
واثـار وجـدا كـان فـي
طـي الاضـالـع اجهضـا

ويقول فى رسالة التزم فيها السين محتذيـا ابن الخطيب :

سـلام كنسمـة مسـك سـرت
لانفـاسكـم بشـيـم سحـر
لساحتكـم ساقـه مستهـام
سبـاه سنـا حسنكـم وسحـر

ومن شعراء العصر ايضا محمد ابن العربـي الشرقي (شاعر الاوان الذي لم يشتمل على مثلـه

ديـوان) القائل فى حقيقة الشاعر : (ان اسم الشاعر لا يطلق الا على من وقف فى حرم المعانـي بكل المشاعر اما من سلك طريقة واحدة فآراؤه فاسدة وبناؤه علـى غير قاعدة) ولعل هذا التعريف صورة لذلك العصـر الذي كان شعراؤه يستوحون من خيالهم وعواطفهـم المتاججة مثلما يستوحون من ارواحهم المضطلعة بأوار التقوى وفى ذلك الحوار الذي دار بين هؤلاء الشعراء وبين الشريف العلمي الوان شتى وضروب مختلفـة للاداب والفنون التي كانت رائجة فى ذلـك العصر .

وبعد ما يذكر العلمي شعراء معاصرين آخريـن امثال احمد عمور نراه يعرج على كتاب العصر كالمهدي الغـزال القائل فى وصف راقصـة :

قامت بكـأس الـراح راقصـة
بيـن الغوانـي رقصهـا يطـرب
كـأنهـا والكـأس فى يـدهـا
بـدر تبـدى حـولـه كوكـب

وفى وصف بستـان :

انظر الى الـروض وقـد نشـرت
عليـه اوراق مـن الياسميـن
يحكي بساطا ناعمـا صيـغ مـن
زبـرجـد يعلـوه در ثميـن

ولكنه يقول ايضا متأثرا بنزعة العصـر .

المـوت لا شـك آت
وكـل آت قـريـب
فـشب وشـب قبـل أن
يعتـريـك منـه وشـوب

ومنهم الوزيـر الكاتب عمر الحـراق القائـل فى ديوانه انه يفاخر بمسقط رأسه شفشاون :

ما شعب بوان ما مرج دمشق ومـا
نيـل بمصر وما العاصي لـدا حلـب
فى جنب شفشاون الغراء ان فخرت
بتينهـا وبـزيتـون وبـالعنـب

ومنهم احمد دادوس (صاحب التعاريـض فى الضروب والاعاريض) الذي رثى وغزل وجد ما شـاء وهزل) والاديب البوعصامي (بليغ مصره وامام الادباء فى مغربه وعصره رحل الى المشرق ، وطلـع عليـه كالبدر المشرق) القائـل :

محى بدمـع كالعقيـق محاجـري
شوقا لطيبة والعقيـق وحاجـري

ولهذا الشاعر باع طويل فى ترتيب النغمـات الثمان التي عليها مدار الغناء والالحان ومنهـم ايضـا الشاعـر عبد القادر بن شقرون القائل :

اسقياني كـؤوس بنـت الدوالـي
ان عراني السقام فهـي الدوا ، لي

الى ان قـال :

كـم ليـال قطعتهـا فى نعيـم
حفـظ اللـه عهـد تلـك الليالـي
بيـن راح وشمعـة ومغـن
وظبـاء قنصتهـا بـاحتيـال

ولكنه ينفعل (للنزعـة العصـر) فيقـول :

رب يسـر لعبـدك الفتـح واشرح
صدر من صدره من العلـم خـال

ومنهم الكاتب محمد بن سليمـان (شاعـر مطبوع ... واديب همام) القائـل :

عذيري مـن هـوى غصـن رطيب
ارانـي البدر مـن فوق القضيب
مليـح فاتـر الالحـاظ طفـل
صبـوت لحسنـه بعـد المشيـب

ومنهم الحاج علي مندوصة كلامه (يغار منه امرؤ القيس ويحن اليه جميل بثينـة وقيس القائل :

الى كم ءدتك النفس ترمـي فؤادنـا
بسهم نضي اللحظ اريـاشـه هـدب

الى ان قـال :

فدونكـم ريـات قـرط خـريـدة
مفوفة هيفـاء هـام بهـا الحب
مبرقعـة لميـاء غضـة بضـة
سـوى انهـا عذراء ناهدة عرب

ومنهم محمد بن يعقوب (صاحب الابيات السهلـة العبارة اللطيفة الاشارة) ومن تلك النمـاذج تـدرك ان شعراء العصر العلوي الاول مراتب فهم بين فحل (يتصرف فى فنون الكلام كثير الاغراب لا يعلم له مـراد ولا يفهم من ابياتـه الا الافـراد) .

وهناك شعراء وكتاب آخرون لـم يذكرهـم الشريف العلمـي فى انيسه امثال عبـد الواحـد البوعناني مفتي فاس الذي هنأ المولى اسماعيل علـى تحرير العرائش بقولـه :

الا ابشـر فهذا الفتـح نـور
قد انتظمت بعزكـم الامـور

وقد وصف اشربباب اعناق المدن المختلفة الى التحرر على يد السلطان فقال :

ووهـران تنـادي كـل يـوم
متـى يأتـي الامام متـى يـزور

وقـال قبلـه :

اذا مـا جـاء سبتـة فى عشـى
تنـاديـه اذا كـان البكـور

ومنهم عبد السلام بن حمدون جسوس القائل :
رفعت منـازل سبتـة اقـوالهـا
تشكـو اليكم بالـذي قـد هالهـا
مـع بـادس وبريجـة فتعطفـوا
وتنبهـوا كـي تسمعـوا تسآلهـا
فلقـد قضيتـم للعرائـش حاجـة
مع طنجـة فاقضوا الذي آمالهـا
وارفع لهـذا المغرب راسـا انـه
فى الضعف مـا دام العدا انزالهـا

وقـال عبد السلام القادري :

علا عرش دين الله كـل العرائش
وهد بنصر اللـه قصر العرائـش

تلك الوان خاصة من الشعر الوطني الـذي يحاول فيه الشاعر التعبير عن آلام الشعب وآماله .

وعند ما قام المشاغب ابو حفص الوقاش يدعي الملـك قائـلا :

انا عمر الموصوف بالباس والندى
انـا عمر المذكـور فى ورد الجفـر

اجابـه ابن بجـة الريفي بقصيـدة منها :

فى صفحة الدهر قد خطت لنا عبـر
منها ادعـاء الحمار انـه بشـر

وهذا لعمـري ابـداع ، فى فـن الاقذاع .

وفى هذا العصر كانت زاوية شرقاوة فى ناحيـة تادلا محفلا للادب والفنون وقد خلفت زاوية الـدلاء فشملت بعطفها كثيرا من الادباء الذين وجدوا فى ربعها المقام الرحب كالافرانـي الذي بدا حياته التصنيفيـة بشرح بديع لتوشيح ابن سهل الاندلسي وهو نموذج للنثر (الفني) فى ذلك العصر اما الزاويـة الناصريـة فقد احتفظت باشعاعها فى الجنوب وفى (الدرر المرصعة) لمحمد المكي الدرعي صور ناصعة لآثار هذه الزاويـة فى العلم والادب والكتاب ينطوي على معلومات ادبيـة قيمة وقصائد رائعة منهـا مقطوعات كلها تفجع علـى اهل الدلاء كقـول العربـي الفاسي :

ادار بذات السدر فى الجانب الشرقي
سقاك الحيا، ما دام صوب الحبابسقى
اما درعة فقد قيل فيها بين ما قيـل :

الم بدرعة واختـر للنـزول بهـا
زاويـة الفضل مأوى المجد والكرم

وهنـاك مقطوعات منها للهاشمي الشكلنطـى الربـاطي :

يـا حاديـا اسـرع بذات الزمام
وارع رعـاك اللـه حق الذمـام
فـانـنـي امسيـت ذا قـلـق
من شدة الشوق وفرط الغـرام

وقـال :

ورشـا مـن آل يـافـث
لحظـة بالسحـر نافـث
بخطـا السيـن الـى ثـاء
المثـانـي والمثـالـث
تلـت جـدلـى بـوصـال
قـال دع عنـك الوثـاوث

وتذكرني هذه الابيات بالبيتين الذين ساقهمـا الجاحظ فى البيـان والتبيين :

والشـغ رايتـه	يفعـل مـا لا ينبغـي
قلت لـه انت بـري	قال بلـى انـا بغـي

ويمكن القول بأن تلك النهضـة الادبية الرائعـة التي عمت بلاد سوس فى العهد العلوي حتـى تفتحت القرائح عن ابدع ما انتجه الفكر المغربي — انما يرجع فضلها للحركة الناصرية التي نشرت العلوم والفنـون الى تخـوم الصحـراء .

وهذه العجالة تضيق عن استعراض النمـاذج المختلفة للحياة العقلية فى العصر العلوي ولعل فى كتاب (نشر المثاني لاهل القرن الحادي عشر والثاني عشر) لمحمد القادري مادة وافية لمن اراد ان يقف على الوان الحركة الفكريـة بالمغرب خلال قرنيـن .

اما القرن الثالث عشر فانه لا يكاد يختلف في مجموعه عن سابقيه فقد امتدت الى اوائله حياة رجلين هما محمد التاودي ومحمد المنالي الزبادي اللذانمات كلاهما عام1209 وكاناانموذجاجديدالعلماء يحرصون على انتاج الشرق للتبحر في علوم لم تكن منتشرة في المغرب واذا اردنا ان ناخذ صورة عن هذه العلوم التي كانت اساس الدراسات في الازهر فلنرجع الى سند الشيخ احمد بن عبد المنعم الدمنهوري المتوفى في عام 1196 حيث ذكر انه تلقى في الازهر (الحساب والميقات والجبر والمقابلة والمنحرفات واسباب الامراض وعلاماتها وعلم الاسطرلاب والزيج والهندسة والهيئة وعلم الارتماطيقي وعلم المزاول وعلم الاعمال الرصدية وعلم المواليد الثلاثة وهي الحيوان والنبات والمعادن وعلم استنباط المياه وعلاج البواسير وعلم الترشيح وعلاج لسع العقرب وتاريخ العرب والعجم) ويلاحظ ان العلوم الرياضية والكيماوية لم تكن تدرس وقد صرح شيخ الازهر لاحمد باشا كور عندما تولى حكم مصر عام 1161 ان الازهر لا يعرف الرياضيات وقد حارب الازهريون الجهود التي بذلها الافغاني عند دخوله الى مصر عام 1288هـ لنشر العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفة . ومع ذلك فقد كانت تروج في الشرق علوم متداولة بالمغرب الا عند القليل من الخواص فلذلك اتجه التاودي والزبادي الى الشرق حيث طال مكث الاول ولقي الشيخ مرتضى وهنالك آخرون مثل عبد القادر الكوهن الذي مات بالمدينة بعد أن ترك لنا وصفا لرحلته الاولى الى الشرق .

وممن نبغ في هذا القرن من رجال الفكر ابن عجيبة؛ الذيتحتوي فهرسته علىمعلومات حول الحالة الفكرية في تطوان وسليمان الحوات الذي جمع في البدور الضاوية اجازات الدلائيين ومراسلاتهم ومقتطفات من اشعارهم والشيخ حمدون ابن الحاج الذي ترك لنا ديوانا حافلا بمدائح المولى سليمان الذي حركت مآثره المشاعر حتى قال محمد بن ادريس الفاسي :

ليس الا ابا الربيع ربيع
خلقه الجود والهدى والوفاء

سليمان قد سلمنا وسرنا
فالعلى منزل له والعلاء

كفه كفت الفساد وكفت
كل عاد فمالكم اكفاء

وبلغ صدى المفاخر السليمانية تونس الشقيقة فتحركت شاعرية فحلها الهمام ابراهيم الرياحي الذي نظم في ابي الربيع قصيدته الخريدة التي مطلعها :

ان عز من خير الانام مزار
فلنا بزورة نجله استبشار

ومنها :

هذا الذي رد الخلافة غضة
وسما به للمسلمين منار

وابرز ما امتازت به العقود الاخيرة لذلك القرن الماضي تقلص التصانيف الصوفية على اثر الحركة الوهابية التي اثارت ايام المولى سليمان موجة من التعاليق والمساجلات عقب وصول استفتاء من ابن سعود الى علماء فاس وقد تصدى المولى سليمان نفسه للتاليف في الموضوع حيث اصدر رسالة في بدع العوام من الطرقيين .

وكان من اهم وسائل نشر العرفان وتوطيد الحركة الفكرية بناء المدارس الوفيرة في انأى النواحي ويكفي ان المولى محمد بن عبد الله شيد ست مدارس في قصبة مراكش وحدها وقد كان للملوك العلويين تدخل مباشر في توجيه الحركة الفكرية فهذا المولى محمد ابن عبد الله الملك العالم يضع منهاجا جديدا للتدريس اساسه المطولات والموسعات من مصادر الفقه والاصول وعدم الخوض في جدليات علم الكلام والاقتصار في الاعتقادات على الكتاب والسنة . وهذا المولى سليمان يبذل الاموال الطائلة في تشجيع الطلبة على استظهار المتون كمختصر خليل وقد عرف قبلهما محمد العالم نجل المولى اسماعيل كيف ينهض الحركة الادبية في سوس حيث كان خليفة عن والده وكان هو نفسه ضليعة في شتى الفنون .

وقد اتصل حبل الادب على الطريقة التقليدية في النصف الاول لهذا القرن كما تواصلت حلقات التصنيف في نطاق محدود على غرار القرون السالفة مع ايغال في الاقتصار على الجمع والتنسيق بكيفية تجرد عالم التاليف من كل روح ولكن المغرب دخل منذ بضعة عقود عهد انبعاثه لا سيما في العصر المحمدي الذي ظهرت فيه على النسق الشرقي في الحديث انماط والوان جديدة يهدف بعضها الى الجمع بين طرافة الحديث ومتانة القديم .

الرباط — عبد العزيز بنعبد الله



لقد اعتنى الناس منذ القديم بالاخلاق فتدارسوها محاولين ان يضعوا مقاييس للخير واخرى للشر ، فكان ان تفلسفوا ولم يتخلقوا ، وفرق بين الاثنين ، اذ الفلسفة عمل عقلي تأملي ، اما الاخلاق فهي السلوك ، هي الحياة الدائبة الحركة ، هي الاخذ والعطاء ، الاخلاق لاتعتمد المنطق الجاف كما لا تعنى بالنتائج والمقدمات ، بل هي عمل فطري واحساس عميق يجده الانسان فى نفسه فيدفعه الى الاعتقاد فى خيرية عمل معين وشرية آخر وفي كل ذلك لا يتأثر بما يقوله الفلاسفة او الفلسفة وربما كان العكس صحيحا اذ الفلسفة هي التي تتأثر بعمل الانسان فتجري وراءه لاهثة محاولة تفسير سلوكه وفلسفته، فاوجدت لنا بذلك مجموعة من النظريات والمقاييس هي ما سمي بالاخلاق المعيارية ، اي مجموعة القواعد الاخلاقية التي وضعتها الفلسفة نصب اعين الناس ليراعوها فى طريقهم نحو المثل الاعلى للانسان الكامل فلا يستطيعون ، اذ كان عليهم قبل ذلك ان يكونوا جميعا فلاسفة ، وهذا شيء تأباه طبيعة الحياة بل طبيعة الفلسفة نفسها فنحن لا نستطيع ان نوجد مجتمعا من الفلاسفة، ولهذا كان اثر الفلسفة على الاخلاق ضعيفا من الناحية العملية ، واهم شيء فى الاخلاق هو الجانب العملي ، الا اننا من جانب آخر نستطيع ان نوجد مجتمعا من المسلمين او المسيحيين او البوذيين مثلا، ومن هنا جاءت الميزة التي للدين على الاخلاق الفلسفية – ان صح التعبير – فالوازع الخلقي انما ينشأ ويقوى بالعقيدة الدينية ، وبدونها يبقى مجرد شيء نظري صرف لا يغير من واقع الامر شيئا ، فالقيمة الخلقية لا تاتي من الفلسفة وانما تنبع من ايمان الفرد بعقيدة – ما – وتمثله لهذه العقيدة فى سلوكه وعمله ، ولعل هذا هو السر الذي جعل الاخلاق تنجح فى المجتمعات المتدينة وتفشل فى المجتمعات التي ضعفت فيها قوة العقيدة الدينية واثرها فى النفوس .

طبعا هناك الضمير الذي وضعه البعض في مركز العقيدة لتوجيه الاخلاق والتحكم فى السلوك، ولكن ما هو الضمير وما مصدره ؟ .

انه الملكة التي يدرك بها الانسان القواعد التي فرضت عليه او بعبارة اخرى هو مشرع فى باطن الانسان ، يطالب بالسيطرة المطلقة التي لا يحدها قيد ولا شرط ، على كافة المنابع التي تصدر عنها اعمال الانسان (2) ، وبشيء من التامل يظهر ان الضمير كاد يرقى الى مستوى الالوهية فهو يتولى السيطرة المطلقة على كافة المنابع التي تصدر منها اعمال الانسان ، وهل تطالب التعاليم الدينية باكثر من ان تكون اعمال الانسان مسايرة لما تمليه من الاوامر وتفرضه من الواجبات ؟

لقد حاول بعض علماء الاخلاق ان ينزعوا من العقيدة الدينية اخص خصائصها وهي توجيه سلوك الانسان واعطائها للضمير ، وحتى اذا اعترفوا للعقيدة بالتدخل فى توجيه الاخلاق اعتبروا الوازع الذي تنشئه وازعا خارجيا واعتبروا وازع الضمير وازعا ذاتيا باطنيا وكأن العقيدة توجد خارج الانسان ! فما العقيدة الدينية الا ذلك الشعور الباطني الذي يسيطر

1) اصل المقال محاضرة القيت بالنادي الثقافي بفاس بدعوة من ندوة المعارف .
2) المجمل فى تاريخ علم الاخلاق لسدجويك ترجمة الاستاذان توفيق الطويل وعبد الحميد حمدي ص 76

على الانسان ويملك عليه احساسه ومشاعره مهما تظاهر بالتنكر له او الافلات من سيطرته ومن ثم فان التلاؤم بين الاخلاق الناشئة عن اوامر الدين وبين الناشئة عن الضمير ليس ممكنا فقط بل ان الدين هو اصل الضمير ، والعقيدة مركز اشعاعه ونقطة انطلاقه. ولا يعني هذا ان الانسان يفقد حريته امام تعاليم الدين فما دام الانسان مكلفا ومسؤولا عن اعماله فلا بد ان تتاح له حرية الاختيار ، والا فما كان هناك داع لابتلائه واختباره ، بل ان تغيير واقع حياة الانسان لا يتأتى الا بتغيير نفسه اولا ،فمن الشروط الاساسية لخلق ظروف ملائمة لحياة كريمة ان يغير الانسان ما به ، فالخير انما ياتي من تفاعل الانسان مع الحياة تفاعلا ايجابيا « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » وما دام الانسان يملك هذه السلطة على نفسه ويملك بواسطتها خلق التوافق بين ارادته وارادة الله فلا مجال للقول بان الاخلاق الدينية والاوامر الالهية من قبيل السلطة الخارجية عن ذات الانسان ، بل هي من صميم ذاتيته مهما حاولنا فلسفة الموقف وتعقيله .

لقد كان ضروريا ان نتعرض بصفة موجزة لنشاة الشعور الخلقي وعلاقة هذه النشاة بالدين .

قبل ان اتناول الاخلاق الاجتماعية فى القرءان الكريم ، والواقع ان القرءان الكريم مليىء بمواعظ اخلاقية وتوجيهات سامية تفيد الانسان فى دينه ودنياه ، واذا كان كل تشريع ديني يمتزج فيه الخلقي بغير الخلقي والجزاء فيها اخروي صرف ، فان القرءان يمتاز بكونه لم يقتصر على العقاب الاخروي بل سن عقابا دنويا يلقاه كل من خالف التعاليم القرءانية فالقضية ليست متروكة فيما بين العبد وربه بل هي موضوعة فيما بين العبد وربه وفيما بين الاول ومجتمعه الذي له كامل الحق فى الاقتصاص منه بواسطة التفويض الالهي للمجتمع المبني على العدل ومساواة الناس بعضهم لبعض « وامرهم شورى بينهم »

وقد سلك القرءان طرائق مختلفة واساليب متنوعة فى ايصال التعاليم الاخلاقية الى الناس وتركيزها فى نفوسهم ، مراعيا دائما ظروف الانسان النفسية واحواله الاجتماعية ، فتارة يسلك اسلوب القصة واخرى نهج الوعظ المباشر والتوجيه ، وطورا طريقة التعنيف والتقريع ، ومرة وسطا بين هذه وتلك حسب ما تمليه طبيعة الموقف والواقعة التي كانت سببا من اسباب نزول الوحي .

والدعوة الخلقية فى القرءان ترتكز على اسس ثابتة لاتتغير واذا كان ليس بامكاننا ان نستقصيها الآن فانه يمكن ان نشير الى بعض منها :

1) **الدعوة الى الحياة** فدعوة القرءان دعوة الى الحياة بكل ما في كلمة الحياة الانسانية الفاضلة من معنى شريف نبيل « يا ايها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم »

2) **تحليل الطيب وتحريم الخبيث** « ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث »

3) **تكريم الانسان لذات الانسان** « ولقد كرمنا بني ءادم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »

4) **القصد والاعتدال فى كل شيء دينيا كان او دنيويا** « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط » « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا » « والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما »

5) **الحرية المقرونة بالمسؤولية** « بل الانسان على نفسه بصيرة » « اقرا كفى بنفسك » « ولا تزر وازرة وزر أخرى » .

الى غير ذلك من المبادىء القيمة التي راعاها القرءان فى دعوته الاخلاقية ، والشيء الذي يثير انتباه الانسان وهو يتتبع الآيات الاخلاقية فى القرءان ، هو ان تناول القرءان للاخلاق ليس مبنيا على فلسفة تجريدية بل القرءان ينزع نزعة عملية فياخذ بيد الفرد ويقوده فى رفق ولين الى ما هو احسن له واولى به وعلى هذه الطريقة حث الرسول عليه السلام : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن » . واذا عدنا الى الفلسفة وجدنا بحرا من الكلام فى تحديد مفهوم الفضيلة ودائرتها ويستقر الراي فى الاخير على انها وسط بين رذيلتي « الافراط والتفريط » فالشجاعة وسط بين التهور والجبن والكرم وسط بين الاسراف والامساك .. الخ والقرءان الكريم يقر نفس الشيء ولكن بطريقته الخاصة التي هي فى متناول الخاصة والعامة « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط » « والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » « ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة » « خذوا حذركم » الخ الآيات البينات التي تحدد معالم طريق العمل الانساني من غير افراط او تفريط ، واذا

كان بعض الناس يرى ان مذهب التوسط الذي اخذ به بعض علماء الاخلاق المسلمين مقتبس من الفلسفة الاغريقية فان الذي يظهر ان استنباط هذا الاتجاه التوسطي من الايات القرءانية والاحاديث النبوية ليس بالشيء الصعب ومن ثم فلا داعي لرده الى الفلسفة الاغريقية ولا الى غيرها من الفلسفات الانسانية .

ذلك هو الاسلوب الاخلاقي في القرءان بايجاز فما هي طريقة الكتب المقدسة قبله ؟ وكيف عالجت هذه الموضوع الشائك والحيوي في ذات الوقت بالنسبة للحياة الانسانية ؟

في هذا الموضوع يقول الاستاذ مالك بن نبي مايلي:

« ان الاخلاق اللادينية ــ بقدر ما لهذا التعبير من معنى ــ تقيم اعمال الانسان على اساس المنافع الشخصية العاجلة التي صارت اساس المجتمع المدني ، على ان الاخلاق الدينية « التوحيدية » تحترم ايضا المنفعة الشخصية ولكنها تمتاز برعاية منافع الآخرين وهي بذلك تدفع الفرد الى ان ينشد دائما ثواب الله قبل ان يهدف الى فائدته .

من اجل هذا الثواب صاغت التوارة الميثاق الخلقي الاول للانسانية في وصاياها العشر وساق الانجيل توجيهاته في عظة المسيح على الجبل ولكن الامر في كلا الكتابين امر مبدا اخلاقي سلبي فهو يامر الناس بالكف عن فعل الشر في حالة وبعدم مقاومة الشر في اخرى .

اما القرءان فياتي بمبدأ ايجابي اساسي كيما يكمل منهج الاخلاق التوحيدية ذلك المبدا هو مقاومة الشر فهو يخاطب معتنقيه بقوله : « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله » ومن جهة اخرى يقر القرءان فكرة الجزاء ، اساس الاخلاق التوحيدية ، ويقول الاستاذ اندري لودز « ان القيمة الدينية للفرد لم تظهر في الديانة اليهودية الا على عهد حزقيال (النبي) فحتى ذلك العهد كان الواجب وتتائجه الخلقية يقعان على عاتق الامة التي تتوقع جزاءها في ذلك النصر الموقت » وقد كان الانجيل على عكس من ذلك ، فقد قصر الجزاء كله على يوم القيامة بحيث اصبحت الاخلاق من مسائل الآخرة واضحت برمتها من الهموم الشخصية حتى اذا جاء القرءان وجدناه يقيم بناءه الخلقي على اساس القيمة الخلقية وعلى العاقبة الدنيوية للجماعة » [1]

لقد نقلت هذا النص بكامله لانه يبين الميزة التي للاخلاق القرءانية على غيرها من اخلاق الكتب السماوية الاخرى فضلا عن الاخلاق اللادينية ان صح وجودها .

بعد هذا فالى من يتجه القرءان بامره الخلقي ؟

الامر الخلقي في القرءان يتجه الى الفرد باعتباره نواة للاسرة والى الاسرة باعتبارها نواة المجتمع والى المجتمع باعتباره نقطة انطلاق الى الانسانية التي استهدفها القرءان كغاية لرسالة الاسلام الخالدة « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » فالقرءان اذن لايعنى بالاخلاق الفردية الا بالقدر الذي يجعل من الفرد فردا صالحا مهيأ للاندماج في الجماعة ، ولذا جعل القرءان مبدا التضامن الاجتماعي محور دعوته ، فالقرءان ينظر الى المجتمع الاسلامي كوحدة متماسكة وكتلة مهما اختلفت في العمل والتوجيه فانها مرتبطة فيما بينها برباط العقيدة التي تجعل اكرم الناس اتقاهم « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ولذلك فان المؤاخذة تتجه الى الجماعة بدل الفرد ، فالاخيار مسؤولون عن جرائم الاشرار « واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » ونتيجة لهذا كان واجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اساسا لبناء الاخلاق الاجتماعية القرءانية ، فليس يكفي لتبرئة المسلم الا يكون هو قد ارتكب ذنبا بل تبرئته قائمة على اساس ادائه لواجبي الامر والنهي ، واجب الامر بما هو معروف وواجب النهي عما هو منكر ، وينبغي ان يكون واضحا ان الله قد حدد المعروف والمنكر اذ الحلال بين والحرام بين ولا شك ان القيام بتادية هذا الواجب من طرف الانسان المسلم يكون لديه حاسة قوية للنقد الخلقي والاجتماعي ، والذي ينقص المسلمين اليوم هو هذه الحاسة النقدية التي تجعلهم يميزون ما ياخذون وما يدعون من نتاج الحضارة الاوروبية المعاصرة ، ولا شك ان نقد سلوك معين يستوجب من الناقد ان يكون يقظا حذرا حتى لايقع في فخ الفوضى وتختلط المفاهيم عليه ولا سيما في هذا العصر الذي ضاعت فيه المقاييس وامتزجت القيم وتشابكت الرذائل بالفضائل في عقول الناس فاصبح من العسير على الانسان ــ اذا لم يملك من الجراة ما يكفي ــ ان يصدع بكلمة الحق مخافة التشنيع عليه ووصمه بالجمود والتحيز . ومع ذلك فان على المسلم ان يعمل ليحقق خير الجماعة التي يعيش بين افرادها ومن ثم فان من الواجب عليه

---

1) الظاهرة القرءانية ص 191 وما بعدها .

ان يصدع بما يعتقد انه حق ولا يبالي بما يثار في طريقه من الغبار لانه يبني وكل بناء لابد فيه من جهود وتضحيات .

ان الامة الاسلامية نالت شرف الافضلية على باقي الامم لقيامها بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله » واحتفاظها بهذا الشرف رهن باحتفاظها بدورها في التوجيه والارشاد ودعوة الناس الى الخير العام الشامل . والقرءان الذي يقر مبدا النقد البناء والتوجيه السليم لكي تسير الحياة سيرها الطبيعي ، قد جعل التعاون كذلك من الواجبات التي على كل مسلم ان يلتزم بها بالتعاون يخلق الانسجام في المجتمع ويحقق غايات الناس في تحصيل حاجياتهم . واذا كانت الفلسفات الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة قد جعلت من التعاون اساس انطلاقها لتحقيق الرخاء والعدل الاجتماعيين ، فان القرءان قد دعا المسلمين الى هذا قبل ذلك بمآت السنين ، وقد اتخذ المسلمون مبدا التعاون اساسا لبناء مجتمعهم الاول وعلى اساسه تم الاخاء بين المهاجرين والانصار في المدينة المنورة .

والتعاون الذي يريده القرءان بين افراد المجتمعات الاسلامية ليس تعاونا مطلقا لان التعاون من هذا النوع كما يكون على الخير يكون على الشر ، ولكنه تعاون على البر والتقوى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » فهنا ازدواج بين الامر والنهي ، فالقرءان لا يقر مبدا التعاون على الاثم والعدوان ولكنه يقر فقط مبدا التعاون على البر والتقوى ، ولكن ما البر وما التقوى انهما مجموعة من القيم الاجتماعية والانسانية الرفيعة التي دعا اليها الاسلام وامر الناس باعتناقها ولنقرا هذا التحديد القرءاني للبر وهو يشكل وثيقة رائعة في دعوة القرءان الخلقية والانسانية « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبئين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة واتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرون في الباساء والضراء وحين الباس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون »

ومن الاخلاق الاجتماعية التي بثها القرءان الكريم في نفوس المسلمين : « الايثار » وقد كان له الاثر البالغ في نفوس المسلمين الاولين الذين حققوه في اسمى معانيه وانبل مقاصده فأثنى عليهم جل جلاله بقوله : «ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » ولا شك ان الايثار عنوان التضحية ونكران الذات وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، والمجتمع الذي يسود الايثار بين افراده مجتمع لا بد ان ينال غاياته ويحقق اهدافه لان السخاء والبذل وتقديم الغير على النفس قيم ترفع اصحابها وتسمو بهم الى مستوى الشهادة ، والايثار يخلق الالفة بين افراد المجتمع وينشر الوية المحبة والصفاء بينهم ، وهو نقطة انطلاق الى الاحسان والعدل اللذين دعا اليهما القرءان وامر الناس بهما « ان الله يامر بالعدل والاحسان » فالمجتمع الذي يفقد العدالة ولا يحسن افراده مجتمع فاقد لعبرة وجوده .

ان القرءان الكريم قد حدد للانسان المسلم دوائر معينة لسلوكه الاجتماعي فالهمه كثيرا من القيم الخلقية والزمه باتباعها في سيره في الطريق وفي كيفية طرق باب منزله ومنزل غيره وحدد له نوعية اللباس وشروطه وما الى ذلك مما يعتبر عند من لم يدقق النظر ولم يتعمق حكمة الآداب القرءانية من المسائل الشخصية التي تخص الفرد وحده ، ولكنها في الواقع جزئيات تتدخل في تكوين الكل أي الانسان في مظهره وفي مخبره ، وقد كان الانسان ولا يزال محط عناية الاخلاق القرءانية .

ان الاخلاق القرءانية هي اخلاق الفطرة اي اخلاق الانسان الكامل الذي لم يدنس ولم تشوه فطرته الشهوات والنزوات ولذا ينبغي التمسك بها . لقد قال احد كتاب الغرب : « ان الاحساسات الصادقة الشريفة والنيات الطاهرة الكريمة تظهر لي فضل القرءان ... الفضل الذي هو اول وآخر فضل وجد في كتاب نتجت عنه جميع الفضائل على اختلافها . »

ولكن مع ذلك فان امة القرءان عن اخلاق القرءان غافلة .

وبعد ، فلقد حاولت في هذه السطور ان استعرض بعض معالم الاخلاق الاجتماعية القرءانية حسب ما يسمح به الوقت ، وواضح انني اقصد بالاخلاق الاجتماعية ما يدخل في نطاق الواجبات الاجتماعية وادب السلوك .

فاس : محمد السوسي



(2)

7 ـ قاتل ضد

هذه العبارة ، وما اشبهها من المصائب الاستعمارية اللغوية التي نكبت بها اللغة العربية . والاصل في ذلك ان قاتل في اللغة الانكليزية والالمانية من الافعال اللازمة التي لا يتعدى فعلها الى المفعول به الا بحرف، وهو في الانكليزية (Against) وفي كل من الالمانية والفرنسية لفظ يقابله يتعدى به الفعل الى مفعوله . والمترجم الجاهل الذي يضع مقابل كل كلمة من اللغة التي يترجمها كلمة تقابلها من اللغة التي ينقل اليها المعنى ، ولم يدر ان (قاتل) في اللغة العربية فعل متعد بنفسه لا يحتاج الى حرف . قال تعالى في سورة البقرة 190 (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا) .

وقد شاع ذلك التعبير الفاسد كقولهم مثلا : (امريكا تقاتل ضد فيتنام الشمالية) واذا نظرنا في هذه الجملة بعين الناقد البصير الذي يدري ما يقول نجدها تدل على ضد ما يريده قائلها وتعكس مراده ، لان الضد هو العدو .

قال صاحب اللسان : الضد كل شيء ضاد شيئا ليغلبه . اهـ

وقال عكرمة في قوله تعالى في سورة مريم 81 ـ82 : (واتخذوا من دون الله ءالهة ليكونوا لهم عزا . كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) اي اعداء .

فاذا قلنا : ان امريكا تقاتل ضد فيتنام الشمالية ، كان معناه : ان امريكا تقاتل عدو (فيتنام الشمالية) اي تقاتل نفسها ، وهذا مسخ للغة العربية يدمي قلب كل من يحبها ويغار عليها ، ويريد لها الانتعاش ، فالحياة فالازدهار ، وان يعاد لها مجدها فتساير ركب الحضارة الانسانية ، وتكتسي حلة التقدم في مجالات المدنية ، وتنال الحظ الاوفر اللائق بمكانتها من التعبير عن العلوم والاداب ، حتى يستغني الناطقون بها عن تكفف اللغات الاجنبية .

8 ـ جمع الرومي على الرمان

مما هو شائع على السنة الكتاب والخطباء والمعلمين والاساتذة التعبير بلفظ (الرومان) فاذا سألناهم عن مفرده ـ وقف حمار الشيخ في العقبة ـ ، او اجابوا بانه جمع رومي ، وهذا جواب غير صحيح .

والحقيقة ان هذا التعبير مأخوذ من اللغات الاوربية كالانجليزية مثلا . والالف والنون يقابلان

الياء في العربية (فرومان) في هذه اللغة نسبة الى رومة . يقل للواحد ، والجمع بزيادة سين ساكنة فيه ، فاستعمله جهلة المترجمين بلفظه ، ولم يعلموا ان ترجمتــه الصحيحة في المفرد (رومي) وفي الجمــع (روم) . قال الله تعالى : (الم غلبت الروم في ادنــى الارض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) .

والعرب تطلــق لفـظ الــروم على الاغريقيــن والايطاليين ، ومن اليهم . قال ابــن منظــور في لســان العرب : والروم جيل معروف ، واحدهم رومي ، ينتمون الى عيصو بن اسحاق النبي عليه السلام . وروماں بالضم ، اســم رجــل .

قال الفارسي : روم ورومي ، من باب زنجي وزنج . قال ابن سيدة : ومثله عندي فارسي وفرس . قال : وليس بين الواحد والجمع الا الياء المشددة كما قالوا : تمرة وتمر ، ولم يكن بين الواحد والجمع الا الهاء . اه

فرومان في اللغة العربية لا يــدل على جيــل من الناس ، وانما هو علم يسمــى بــه الرجال ، وروماــان ابو قبيلــــة

قال « الفيرو زابادي » في القامــوس : وروماــان بالضم (موضع) ورومان الرومي ، وابن نعجة صحابيان ، وام رومان ، ام عائشة الصديقة ، والروماني (موضع) باليمامة ، ورومية (بلد) بالمدائن خرب ، و (بلــد) بالروم سوق الدجاج ، فيه فرسخ ، وســوق البر ثلاثــة فراسخ ، وتقف المراكب فيه على دكاكين التجــار في خليج معمول من النحاس ، ارتفاع سوره ثمانون ذراعا في عرض عشرين ، فيما نقله ابن خرداذبــه ، فان يــك كاذبا فعليه كذبه . اه

وقد تبين بما ذكرناه ان لفظ (رومان) لا وجــود له في العربية ، وانما يوجد للمفرد رومي وللجمــع روم . وقد توسع الكتاب في هذا الزمان فقالوا : يوناني ويونان ، فكأنهم قاســوه على رومــي وروم ، وزنجــي وزنج . والذي في القاموس هــو : واليونانيــون جيل انقرضــــوا اه

وقول « الفيرو زابادي » : انقرضوا ، له في ذلك عذر ، لان بلاد اليونانيين في زمانــه كانــت ولاية من ولايات الدولة العثمانية . ووجــود الشعــوب مرتبــط باستقلال دولها ، وما بالعهــد من قــدم . ففــي الامــس القريب ، كنت انا بنفسي ، كلما سالني سائل في اوربا او في آسيا ، وحتى في افريقية ، كلما سالني سائل : من اين انت اقول : من المغرب فيبادر بسؤال اخر ، انت من المغرب الاسباني او من المغرب الفرنسي ، او من طنجة الدولية ؟ فاقول : المغرب بلد واحد ، وهو للمغاربة ، فلا يريد ان يصدقني احد ، كأن المغرب خلقــه الله ، يوم خلــق السموات والارض مجزأ ثلاثة اجزاء ، مع ان تقسيمه نشأ منذ زمان قريب ، ولم يستمر الا ثلاثا واربعين سنة .

واغرب من ذلك اني لما اردت التجنس بالجنسية العراقية سنة 1934 قدمت طلبا الى الدوائر المختصة في البصرة فبقيت الاوراق تنتقل من دائرة الى دائرة مدة شهرين ثم بعثت الى بغداد العاصمة ، فسافرت لاتعقبهــا الى بغداد ، وبقيت شهرين استنجد واتشفع حتى وصلت الاوراق الى يد مدير وزارة الداخلية ، فاخــذ جــواز سفري يتأمله وانا واقف امامه ، والى جانبــي الاستــاذ كمال الدين الطائي من كبار علماء بغداد تفضل بمرافقتي ليعينني ويشفع لي ، فقال المديــر : بفظاظة ، ما هــي جنسيتك ؟ فقلت : مغربي فاستشاط غضبا وقال : (جنسية هتشي ماكو) يعني لا توجد جنسية هكذا ، قل : فرنسي فقلت : بل هي موجــودة ، فانظــر ما هو مكتــوب على الجواز باللغة الفرنسية (امبير شريفيان) اي الدولــة الشريفية ، فلم يقتنع بذلك ، فقلت له : هل كنت انــت انكليزيا قبل سنتين ؟ اي قبل المعاهدة الاخيرة ، فقال لي : (حنا كنا عثمانيين ، ومن بعــد صرنا عراقييــن) ، فقلت له انا ونحن دولة مغربية منذ ما يزيد على الف سنة ، منذ اســس الامام ادريس بن عبد الله الدولة المغربيــة واستقلت عن الدولة العباسية ، فجذبنــي الاستــاذ كمال الدين من ثيابي وقال لي : دع هذه القضية ، فأتعقبها انا ، لانه راى ان القضيــة قد دخلــت في طور خطيــر بالجدال مع مدير الداخلية .

فكتب ذلك المدير على اوراقي الطلب مرفوض ، وبذلك احبط لي عمل اربعة اشهر ، ولكن الله سبحانه وتعالى رحم ضعفي وغربتي ، فسقطــت تلــك الوزارة ، وكانت احدى وزارات جميل المدفعي ، ولم تلبث في الحكم الا اثنى عشر يوما ، ولا توجد فيما اعلم وزارة عراقية تماثلها في قصر العمر .

وجاءت بعدها وزارة علي جودة الايوبي فاعدت الطلب وحصلت على الجنسية في ثلاثة ايام بمساعدة النبيل الشهم عارف فقطان العاني ، وكان صديقا حميما لعلي جودة الايوبي

وفي سنة 1341 هـ حججت الحجة الاولى ، ووقع خصام بيني وبين صاحب حانوت بمكة فعيرني ، وزعم اني فرنسي ، فقلت له : انت انكليزي ، فنحن في البلية سواء ، وكان في زمان الشريف حسين بن علي . اذن فلا غرابة في قول صاحب القاموس : ان اليونانيين انقرضوا . والذي يهمنا هنا هو انه لا يقال : يوناني ويونان ، وانما يقال : يوناني ويونانيون

ومن ذلك قولهم : الماني والمان . والصواب : جرماني وجرمانيون ، لان البلاد التي تسمى في هذا الزمان المانية ، كانت العرب تسميها (جرمانية) هكذا سماها ابن الفقيه البغدادي المتوفى في اواخر المائة الثالثة للهجرة في كتابه الذي سماه (كتاب البلدان) وذكر فيه جغرافية العالم . وقد ترجمته مع الاستاذ (باول كالي) باللغة الجرمانية ، ولفظ (المانية) فرنسي ، فاذا اردنا ان نتساهل ونترك اللفظ العربي ، ونستعير اللفظ الفرنسي وجب علينا ان نقول : (الماني والمانيون) ، والافضل لنا ان نستعمل اللفظ العربي ونحييه ونستغني به .

استطـــــــــراد

كل من يقرأ مقالاتي يعلم ان الاستطراد محبب الي فيما اقرؤه وفيما اكتبه ، لان الاستطراد كالطعام المؤلف من الوان متعددة ، ولذلك رايت ان اذكر تفسير اول سورة الروم تتميما للفائدة وتلوينا للغذاء .

قال البيضاوي في تفسيره : (الم غلبت الروم في ادنى الارض) ارض العرب منهم ، لانها الارض المعهودة عندهم ، او في ادنى ارضهم من العرب ، واللام بدل من الاضافة (وهم من بعد غلبهم) اي من اضافة المصدر الى المفعول . وقرىء غلبهم ، وهو لغة كالجلب والجلب (سيغلبون في بضع سنين)

روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم بأذرعات وبصرى ، وقيل بالجزيرة ، وهي ادنى ارض الروم من الفرس ، فغلبوا عليهم ، وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا : انتم والنصارى اهل كتاب ، ونحن وفارس اميون ، وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ، ولنظهرن عليكم ، فنزلت .

فقال لهم ابو بكر : لا يقرن الله اعينكم ، فو الله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين . فقال له ابي ابن خلف : كذبت ، اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه ، فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما ، وجعلا الاجل ثلاث سنين ، فاخبر ابو بكر رسول الله (ص) فقال : البضع ما بين الثلاث الى التسع ، فزايده في الخطر وماده في الاجل ، فجعلاه مائة قلوص الى تسع سنين . ومات ابي من جرح رسول الله (ص) بعد قفوله من احد .

وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية ، فاخذ ابو بكر الخطر من ورثة ابي ، وجاء به الى رسول الله (ص) فقال : تصدق به . واستدلت به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب ، واجيب بأنه كان قبل تحريم القمار

والاية من دلائل النبوة ، لانها اخبار عن الغيب وقرىء غلبت بالفتح ، وسيغلبون بالضم ، ومعناه : ان الروم غلبوا على ريف الشام ، والمسلمون سيغلبونهم وفي السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون ، وفتحوا بعض بلادهم ، وعلى هذا تكون اضافة الغلب الى الفاعل

توضيحات لكلام البيضاوي

1 ـ قوله (واللام بدل من الاضافة) يعني ان اداة التعريف في (الارض) بدل من الضمير المضاف اليه . والتقدير : غلبت الروم في اقرب ارضهم ، وهي ارض العرب التي كانوا مستولين عليها ، لان اذرعات وبصرى هما من بلاد الشام ، وبلاد الشام ليست ملكا للروم ، وانما استولوا عليها بالتسلط والقهر ، هذا على القول بان المراد بالارض (بصرى واذرعات) . واما على القول بانها الجزيرة ، فهي كذلك ليست للروم ، بل هي من بلاد العرب ، لانها واقعة بين دجلة والفرات

2 ـ قوله : (من اضافة المصدر الى المفعول) يعني ، وهم من بعد غلبت الفرس لهم سيغلبون الفرس في مدة لا تتجاوز البضع ، وهو ما بين ثلاث الى تسع .

3 ــ قوله : (روي ان فارس غزوا الروم) من المعلوم ان البيضاوي ، مع علمه بالنحو والصرف واللغة والفقه الشافعي والاصول ، وعلم الكلام مزجي البضاعة في علم الحديث . ففي تفسيره احاديث موضوعة يذكرها في فضائل السور . وروى بصيغة الفعل المبني للنائب لا يستعملها اهل الحديث الا اذا كان المروي ضعيفا ، فلذلك اردت ان الم بتخريج هذا الحديث وبيان رتبته .

اما تخريجه فقد رواه الامام احمد والترمذي والنسائي ، وابن ابي حاتم ، وابن جرير بطرق تختلف الفاظها ، ويتفق معناها في الجملة ، ورواه كذلك سنيد ابن داوود في تفسيره . وروايته اقرب الى ما ذكره البيضاوي

واما رتبته فقد قال الترمذي في بعض طرقه : حسن غريب ، وفي بعضها حسن صحيح .

4 ــ قوله : (اناحبك عليه) اي اراهنك واخاطرك . والقلوص الشابة من النوق .

5 ــ قوله : (ومات ابي بن خلف من جرح رسول الله (ص) قال ابن القيم رحمه الله في « زاد المعاد » ج 2 ص 93 : ادرك رسول الله(ص) ابي بن خلف (يعني في غزوة احد) على جواد له ، يقال له العود ، زعم عدو الله انه يقتل رسول الله (ص) ، فلما اقترب منه ، تناول رسول الله (ص) الحربة من الحارث بن الصمة فطعنه بها ، فجاءت في ترقوته ، فكر عدو الله منهزما . فقال له المشركون : والله ما بك من بأس ، فقال : والله لو كان ما بي بذي المجاز لماتوا اجمعون .

وكان يعلف فرسه بمكة ويقول : اقتل عليه محمداً ، فبلغ ذلك رسول الله (ص) فقال : بل انا اقتله ان شاء الله تعالى ، فلما طعنه ، تذكر عدو الله قوله : انا قاتله ، فأيقن بانه مقتول من ذلك الجرح ، فمات منه في طريقه بسرف مرجعه الى مكة . اه

5 ــ قوله : (وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية) الخ . الحديبية بصيغة التصغير وتخفيف الياء على الصحيح عند اهل اللغة . موضع يبعد عن مكة بنحو عشرة اميال . وقع فيه الصلح بين النبي (ص) وبين اهل مكة في ذي القعدة سنة ست للهجرة .

6 ــ قوله : (واستدلت به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب) الخ . يعني ان الحنفية استدلوا بمراهنة ابي بكر الصديق مع ابي بن خلف ، وعلم النبي (ص) بذلك واقراره عليه ، وامره ابا بكر ان يتصدق بما ربحه من الابل ، استدلوا بذلك على جواز القمار وغيره من العقود المحرمة ، مع اعداء الاسلام في دار الحرب ، ومنع ذلك الشافعية ، واجابوا عن الاحتجاج بفعل ابي بكر ان ذلك كان قبل ان يحرم القمار ، وحينئذ لا حجة فيه على جواز القمار مع المحاربين ولا غيره من المحرمات كالربى ، فلا يجوز التعامل بالربا ، لا مع المسلمين ولا مع المسالمين ، ولا مع المحاربين ، وهذا هو الصحيح ، لان المراهنة على ما يظهر كانت في مكة قبل الهجرة . ويؤيد ذلك ما جاء في بعض روايات الحديث ان هزيمة الروم وقعت بعد المراهنة بسبع سنين .

ومن المعلوم ان اية تحريم القمار ، وهي قوله تعالى في سورة المائدة 90 : (يا ايها الذين ءامنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلكم تفلحون) نزلت بالمدينة . والخمر التي حرمت مع القمار في الاية كانت حلالا عند ما قدم النبي (ص) المدينة ، وكانت تشرب ويتجر فيها ، ثم حرمت بعد ذلك اولا في اوقات الصلاة بقوله تعالى في سورة النساء 43 : (يا ايها الذين ءامنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) ثم حرمت بتة باية المائدة .

7 ــ قوله : (والاية من دلائل النبوة) الخ . هذه معجزة باقية خالدة يستوي في ادراكها من كان في زمان النبي (ص) وشاهدها بنفسه ، ومن ياتي بعد ذلك الى يوم القيامة ، لان سورة الروم مكية ، وكان المسلمون عند نزولها في غاية القلة والضعف يسخر منهم اعداؤهم ولا يابه بهم احد

وقد اخبر الله سبحانه في اول هذه السورة ان الروم البيزنطيين هزمهم الفرس شر هزيمة ، وكان الروم اعظم دولة في الغرب ، والفرس اعظم دولة في الشرق الادنى على الاقل ، ولم تجر العادة ان دولة عظيمة تمنى بهزيمة منكرة تلم شعثها وتجمع شملها ، وتعيد الكرة في بضع سنين فتهجم على الدولة التي هزمتها وتكيل لها صاعا بصاع .

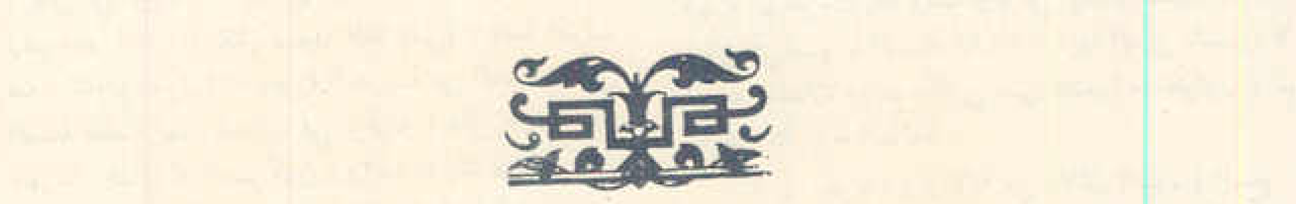
فلو قال قائل بعد هزيمة جرمانية (المانيا) : ان الدولة الجرمانية ستعيد الكرة على اعدائها وتهزمهم في بضع سنين ، ثم وقع الامر طبق ما قال ذلك القائل لصدقه جميع الناس في كل ما يقول وءامنوا به ، فما ذا يقول المنكرون لعجزات القرءان من غلاة اعدائه الاجانب ، واذنابهم من الاغمار من سكان البلاد العربية والاسلامية في هذه المعجزة الخالـدة ؟ ؟ وكـم وكم من امثالهـا في القرءان لمن تدبر القرءان ، وسلمت عين بصيرتـه من غشاوة التعصب الممقوت والجهل والتهور والطيش .

8 ـ قوله : (وقرىء غلبت بالفتح ، وسيغلبون بالضم) الخ هذه قراءة ضعيفة خارجة عن السبع شاذة

والمعنـى على هـذه القراءة : غلبت الـروم فارس ، وسيغلبهم العرب المسلمون . وقد غزا المسلمون الروم قصاصا منهم في السنة التاسعة من نزوله . والقراءة الاولى هي المعتمـــدة

9 ـ قوله : (وعلى هذا تكون اضافة الغلب الى الفاعل) يعـني على القراءة الشـاذة ، يكـون المصدر مضافا الى فاعله . والتقدير : من بعد ان غلـب الـروم الفرس سيغلبون ـ بضم الياء وفتح اللام ـ اي يغلبهـم المسلمـون . وهـذا آخـر المقـال الثاني من تقويـم اللسـانين . وموعدنا الجزء التالي بحول الله وقوته

مكنـاس : تقي الدين الهلالـي



المسيحية مرونة أو انهيار؟

للأستاذ أحمد عبد السلام البقالي

نشطت في الايام الاخيرة ارساليات التبشير بالمسيحية كوسيلة للنجاة والخلاص حتى بدأ الرهبان يراسلون ايمة المساجد بالمغرب داعين لهم الى الدخول في المسيحية وطاعنين على دين الاسلام ورسالة خاتم النبيئين سيدنا محمد عليه السلام باعتباره دين تأخر عائق للانسانية عن التقدم والرقي ، وكان من اللازم شن حملة من طرف المسلمين لرد عدوان الكاثوليكيين المتعصبين وفضح ما الصقوه بدين المسيح من الوثنية والتالية مما ضج منه حتى الرهبان الاحرار النفوس وقاموا بتبيين مهاترات الكنيسة واوضاعها حتى يعرف اتباعها كيف استغلت الرهبنة سلطة الكنيسة ضد الحقيقة والانسانية والدين الحق ، وقد راينا من النافع لشبابنا ومجتمعنا المغربي نقل بيان احد اساطين الكنيسة الكاثوليكية ببريطانيا الاب تشارلز ديفيس بجريدة الابزرفر الاسبوعية اللندنية ثائرا على الكنيسة واوضاعها. نقله وترجمه لدعوة الحق السيد احمد البقالي .

«لماذا تركت الكنيسة الكاثوليكية» عنوان بيان صدر للاب « تشارلز ديفيس » بجريدة الاوبزرفر الاسبوعية اللندنية .

والاب تشارلز ديفيس ، 43 سنة ، احد زعماء المذهب الكاثوليكي البارزين ببريطانيا ، فهو المستشار الشخصي للكردينال « هينان » نائب البابا على الرعية الكاثوليكية البريطانية . وهو كذلك احد اعضاء لجنة الوحدة المسيحية ، التي عقدت اخيرا مؤتمرها بقرية « كزادة » الايطالية لبحث وسائل الوحدة بين الانجلكان والكاثوليك .

قبيل عيد الميلاد اعلن تشارلز ديفيس عن عزمه النهائي بترك الكنيسة الكاثوليكية .

وفي بيانه الشهير للابزرفر يشرح قمة التحول الذي ادى الى هذه النتيجة ، والاسباب وراء رفضه لاعمال الفاتيكان الشائنة، وطرقه اللاانسانية المتحجرة. بدأ ديفيس بيانه هكذا :

« يوم الاحد ، وقبل عيد الميلاد بثلاثة اسابيع ، تركت مكتبي وذهبت للكنيسة ، وقد عرفت أن نهاية نضالي الداخلي قد اقتربت .. لقد عزمت على ترك الكنيسة الكاثوليكية .

« كنت اكتب بحثا لاهوتيا للاجتماع بين الانجلكان والكاثوليك بايطاليا يوم رابع يناير 1967 . ولم تزدني قراءاتي لاعداد البحث شيئا لم أكن أعرفه . ولكنها ارغمتني على امتحان موقفي من البابوية ، والكنيسة الكاثوليكية كمؤسسة . ووجدت أن فهمي للمسيحية على حقيقتها وضعني خارج المذهب الكاثوليكي » .

« وادركت انني لم اومن بالمذهب المذكور منذ مرة، رغم اني لم اعترف بذلك لنفسي . كان فكري مكبوتا ومنحرفا في السنوات الاخيرة ، وانا احاول يائسا أن احافظ على اماني لدرجة انني كنت أهرب من اعمق افكاري .

« وقد نتج رفضي الفكري للبابوية عن سنوات طويلة من الدراسة والتفكير . ومنذ مدة وانا شاعر في اعماقي ان التبريرات المعروفة لم تعد مقنعة ، وان الاعتراضات عليها كانت تزعج عقلي الباطن ، وكلما درست الانجيل ، كلما اتضح لي خطأ المزاعم الكاثوليكية .

« فيما يتعلق بالمسيحية كمؤسسة ، ببساطة ، ليس هناك اساس انجيلي قوي كفاية لحمل مؤسسة بضخامة مزاعم الكنيسة الكاثوليكية »

ويمضي الاب ديفيس في تحليل كيان الكنيسة والاسباب المسؤولة عن وجودها في كيانها الحالي فيقول بأن « العوامل الاجتماعية لتطورها التاريخي اقرب لتفسيرها من اي اساس انجيلي » .

ومعنى هذا ان سلطة البابا الروحية ، وعصمته من الاخطاء ، وكلمته العليا في شؤون المسيحيين جميعا ليس لها اساس الهي ، كما تدعي الكنيسة . وان طرقها الى تفسير كل هذه القوة بآيات من الانجيل طويلة متعرجة تنتهي من طرفيها بالغموض التام .

« وكجميع علماء اللاهوت — يقول ديفيس — بحثت عن اسباب نقص الاسس الانجيلية للكنيسة في تطورها المذهبي ، علني اجد مبررا لقيامها ، ولكن هناك حدودا لمرونة هذه الطريقة وصحة تطبيقها . »

« وما لم يكن هناك ايمان أعمى بأولوية وعصمة البابا وتصديق مزاعمه التي لا تقوم على اساس قوي من الانجيل ، فان الكنيسة لا تصمد امام اي حجة »

وينتقل ديفيس الى عدد من القضايا التي يختلف فيها التقسيم اللاهوتي الحديث مع الشروح الموروثة مثل المبداين البابويين عن مريم « الحمل الطاهر » و « الادعاء » واللذين لم يجد ديفيس لهما تفسيرا مقنعا في التطور المذهبي لجعلهما طرفا من الكشف المسيحي .

ويقول ان هناك صعوبات اخرى نتجت عن التفكير الجديد حول الخطيئة الاصلية ، والموت والبعث ، جعل من الصعب اعطاء المبداين معنى مقبولا . وفرض هذين النقطتين كطرف من العقيدة المسيحية جعل الطريقة البابوية غير ممكن الدفاع عنها لاهوتيا »

الانشقاق

الكنيسة الغربية في سيرها التاريخي سبقت الى بناء مؤسسة جامعة . وللاسف جعلت الكنيسة الكاثوليكية هذه المؤسسة بناء خالدا مطلقا . ولكن الكنيسة الان اصبحت ممزقة داخليا بحدة التوتر والانشقاق ، اذ ان عقيدتها الاساسية ، في الحقيقة ، لا تصمد امام النقد الانجيلي واللاهوت الحديث .

« واذا كان احد يريد ان يشعر بما اقول فليقرأ الفصول الثلاثة الاولى من دستور هيأة الفاتيكان الثانية عن الكنيسة .

« الفصلان الاولان — رغم انني ينبغي ان اضع بعض التحفظ — يقدمان رؤيا انجيلية عن قيام الكنيسة وفي الثالث تنتقل الوثيقة الى عالم جديد بعيد عن «الانجيل» يسيطر عليه ضغط كبير على قوة البابا والرغبة الملحة في المحافظة عليها . عالم مكون من وظائف تدين بوجودها ، في اعتقادي ، للاقطاعية المتحجرة اكثر من رسالة الكتاب المقدس .

« كان يمكن ان انظر بعين العطف على هذا القلق الدائم على بقاء الكنيسة ، لو لم تكن هذه ضحت مرة بعد اخرى برسالتها لابقاء على وجودها كمؤسسة ذات امتيازات . والمثال القريب الناصع على هذا هو وجودها داخل المانيا النازية ، ومتى وقفت الكنيسة في وجه سلطة قائمة كشاهد ، حتى على حساب بقائها كمؤسسة ؟!

« الكنيسة كمنظمة منطوية على نفسها ومهتمة بسلطتها وامتيازاتها اكثر من اهتمامها برسالة الانجيل.

« ورغم ذلك ، لا اعتقد انه كان ينبغي لي ان اواجه شكوكي الفكرية الخفية ، وانكاري لمزاعم الكاثوليكية لو لم تكن هناك عوامل اخرى .. وقد ازال القناع الذي كان يغطيها غثياني من اعمال الكنيسة الملموسة .

« وهناك اتكلم عن تجربة تراكمت لدي في مدى سنوات عدة ، ووصلت قمتها بعدم امانة البابا في قراره الاخير عن « حبة تحديد النسل » في اكتوبر الفارط .

التفادي

« الملاحظة الاتية ربما ستكون قاسية اذا اعتبرنا حيرة البابا الشخصية ، ولكنها ينبغي ان توضع بقوة : من يزعم انه زعيم الانسانية الاخلاقي لا ينبغي أن يكذب!

وقول البابا أن سلطة الكنيسة التعليمية لم تكن في حالة شك حول قضية تحديد النسل ، كان انكارا لحقيقة واضحة !

« تفادي الحق لا تبرره الرغبة في انقاذ سلطة « المجمع المقدس » !

« واعلان البابا — دون اهلية — ان المنع القائم على تحديد النسل سيبقى الى اجل غير مسمى ، يظهر فيه عدم الاحساس البيروقراطي للكنيسة بآلام الناس .

« وينعدم تبرير بلادة الاحساس هذه اكثر اذا علمنا بالمآسي التي نتجت عن فشل الكنيسة الرسمية كرائد اخلاقي ، بسبب حفاظها على السلطة ، وضغطها على حرية التفكير والتعبير .

« ولكن ذلك كان فقط القشة التي قصمت ظهر الجمل! تجربتي مع الكنيسة تهرتني تدريجيا بعدم اهتمامها بالحقيقة والناس .

« قليل من علماء الكنيسة يدركون ان الرغبة في الاخلاص للحقيقة يمكن ان تستهلك الفرد كنار محرقة

« انا لا اعتبر نفسي مفكرا غير عادي . ولكني ، كعالم لاهوتي ، عانيت الامرين ، من الكنيسة الكاثوليكية ، اذ لم اجد اهتماما بالحقيقة من اجل الحقيقة ! الحفاظ على السلطة يأتي قبل كل شيء .

« وابحث عبثا ، في المستوى الرسمي ، على سرور الاحساس بقيمة وقوة الحق كحق !

« ويجب ان اعترف ان اعمال السلطة البابوية اصبحت شائنة بالنسبة الي .. لم استطع حتى الآن هضم الطريقة التي تمت بها تدخلات البابا واعمال المجلس المقدس الاخير .

« وبالنسبة للوثائق البابوية ، احيانا ، اعتقد ان هناك حاجة الى علم « فاتيكانولوجي » لاكتشاف اية عصابة نجحت في جعل سياستها تختار من طرف السلطة العليا ، والمؤامرات والدروب والسراديب المنعرجة التي سلكوها لانجاح سياستهم والسياسات التي تصدر عن مثل هذه الوسائل غالبا ما تكون بعيدة عن الفكر الثيولوجي والكنيسة عموما .

« البابا محاط بنظام عتيق لا يوجد الا في القصور القديمة ، حيث كانت تخضع الحقيقة للسياسة ، وتخنق الشكوك كل مناقشة حرة ، وتكسب البيانات المذهبية بالمؤامرات . وانا لم اكن قط مهتما بحياة القصور ، فحياتي مقصورة على الدين واللاهوت .

« ولا اريد ان يخرج القارىء بفكرة انني أثور على البابوية وحدها ، اذ عدم الاهتمام بالحق ، واخضاعه للسلطة ، والتضحية بكل مبدأ للابقاء على النظام القائم تشمل المؤسسة كلها .

« انا اعرف ان قوة رد فعلي ضد هذا مصدره تكويني الشخصي . بداخلي دافع قوي للتفكير الخلاق اغلق عليه ، وخنق فوق الاحتمال بخضوعي لكنيسة متحجرة !

« وحاجتي الى المنطق والنظام في تفكيري جعلت مطالب الكنيسة اللامعقولة علي ، اضخم مما احتمل .. وكافحت لامتثل بدون جدوى !

« وفي السنوات الاخيرة وجدت انه كان علي ان ازيل جبلا من الحطام الكنسي لاعثر على نباتات صغيرة جدا من التفكير الخلاق . والمجهود الذي يذلته لابقاء تفكيري داخل اطار الارثودوكسية المتحجرة الحالية ربما كان فوق طاقتي . واصبح بقائي بها مستحيلا بعدما فقدت سلطة الكنيسة احترامي بعهدها بالحقيقة .

« ليس لي رغبة في ان انفرد بأفكاري في برج المشاريع عاج .. اريد ان افكر داخل المجتمع، وأشارك في الجماعية ، واخضع افكاري لفكرة الكنيسة . ولكن الكنيسة الرسمية لم تعد تمثل بالنسبة الي تفكيرا شاملا ، فقد اصبحت نظاما خاضعا مفروضا من طرف سلطة تعمل غالبا ضد التفكير التقدمي الاصيل حتى داخل الكنيسة نفسها .

« وبينما ملأ عدم اهتمام الكنيسة بالحق ، حياتي غما ، كعالم ديني ، كان طرف آخر من تجربتي عاملا باتا مساويا من عوامل هجري للكنيسة . الكنيسة كمؤسسة اصبحت تسحق وتؤذي الناس باستمرار . ومرة بعد اخرى اصبحت بالنسبة الي ، نظاما لا مراعاة ولا حرية ولا انسانية فيه .

« هناك اناس ممتازون داخل الكنيسة ، اناس يعطون مثلا عاليا ، وفي الغالب غالي الثمن ، للمسيحي الحقيقي . ولكني لا اجدهم مسيحيين جيدين بسبب الكنيسة كمؤسسة ، وهم انفسهم لا يبدو انهم يعتمدون على الكنيسة الرسمية في قيمتهم الشخصية والجماعية التي يعتزون بها ولا يدعون لها ، بل غالبا ما يعملون ضد سلطة الكنيسة وكيانها الرسمي .

النقـرس

يظهر لي ان خطأ فاحشا حدث للعلاقات الانسانية التي تربط الناس داخل الكنيسة كمؤسسة . وسوف اذهب بعيدا لاصفه بأنه نقرس جماعي « Neurosis » ولابد ان يقوم احد يبحث في باتولوجيا — علم الامراض — الكنيسة الحالية . الكنيسة الرسمية اليوم ممزقة بالخوف ، وانعدام الامن ، والقلق الذي ادى الى فقدان التجمل والحب : والذي يحبط كل مجهود لتدارك الوضع هو التغلب الدائم للنظام على الفرد . النظام دائما ياتي اولا ، واسبقية اللاشخصي تخرب الشخصية الانسانية .

« وحتى الناس الطيبون الذين لهم سلطة يصبحون ضحايا النظام فيكفون عن معاملة الاخرين بطرق انسانية عادية . وكثيرون ، تحت عبء السلطة يبقون غير ناضجين محبطين حزينين منسحبين او منقرسين . وما اقوله قد يبدو تهمة بدون اساس ولكني اكتب على ثقة أن الكثيرين في الكنيسة الان يعرفون ما أشير اليه ، ويمكنهم اثباته بتجاربهم الشخصية .

وتجربتي قد ازالت ثقتي وايماني بأن الكنيسة الرسمية هي مثال الوجود المسيحي في العالم . كنيسة المسيح هي اساسا مظهر الرحمة ، وشاهد العلاقات الشخصية الطيبة بين الناس ، هي هدية النجاة .

« وجوهريا ، الكنيسة المسيحية ينبغي أن تكون مثالا للعلاقات الانسانية والمجتمع الانساني . وحين ارى الكنيسة في بنائها ونشاطها تعمل مخربا للعلاقات الانسانية الاصيلة ، لا استطيع ان اقبلها كتجسيم للرحمة .

« ومن هنا اصبحت ابحث عن الكنيسة في التجمعات غير الرسمية للمسيحيين معا داخل وخارج الكنيسة كمؤسسة ، حيث اجد شاهدا مصدقا بالمسيحية .

الـــزواج

« ولا استطيع أن انهي هذا البيان دون أن اناقش عزمي على الزواج ، والدور الذي لعبه في ازمتي الشخصية . وكثيرون سيفهمون لماذا لم تغفر الكنيسة زواجي او تفهمه اذا لاحظوا ردود الفعل الاولى .

« وواضح أنه صعب علي وعلى الاخرين ان نكون موضوعيين تجاه هذا الشأن . ولن استطيع الا ان اسألهم ان يبذلوا نفس المجهود الذي ابذله ليصبحوا كذلك .

« فاذا كان يحدث لي ، وانا امتحن في ايماني لو لم اجد احدا اعرف انه يمكنني ان اقتسم معه حياتي في حب شخصي عميق . لاشك انني كنت ساصاب في سنوات قليلة ، بانهيار عصبي .

انني اشك فيما اذا كان يمكنني نفسيا ان اترك الكنيسة الكاثوليكية التي غلفتني طول حياتي ، او افلت من قبضتها العاطفية القوية ، دون ان اتجه نحو الحب والزواج لبدء حياة جديدة .

لن اتزوج مخلوقة مجردة ومثالا ، ولكن انسانة محببة للغاية، ستاتي بخصائصها العقلية والقلبية لتثري عشرتنا المستقبلة .

وبالنظر الى الزواج من هذه الزاوية ، اعرف هذا : لو انني تركت الرهبنة لاتزوج ، وبقيت داخل الكنيسة الكاثوليكية ، ما كان زواجي يكون ما اردت.اذ ما احتجت اليه واردته من صميم قلبي هو ان اتحرر من النظام الكاثوليكي الذي كان سيخنقني ويعذبني .

والحمد لله الذي ارسل لي احدا وجدت خلاصي خلال حبه . والان ، وقد تحقق الخلاص اشعر انني تطهرت عقلا وروحا ، واصبحت حرا اتمتع بسرور وسلام لم اعرفهما من سنين . ولكن سعادتي ، كاي سعادة ، تغص بالمعاناة . فانتقادي للكنيسة كمؤسسة ، لا يمكن ان ينسيني اياها كاولئك الذين اعرفهم واحبهم . انني اجرح الكثيرين بما افعل الان ، هنالك الذين لا يفهمون ، ويشعرون في حذر ، انني خنتهم ، وهناك آخرون اصبح موقفهم بقراري صعبا مؤلما .

وما كان بمستطاعي ان اتجنب جرحي لهم . ومهما فعلت مع الآخرين من خير في الماضي ، كان موصولا بكفاحي من اجل الاستقامة والاخلاص .

ولم استطع ان استمر في مساعدتي للآخرين على حساب ان اعيش حياتي كذبة . كان لابد ان اتبع يقيني المخلص بالحقيقة . وآمل ن تكون الفرصة ما تزال سانحة لعمل مع الآخرين ومن اجلهم ، مهما كان عدم اتفاق البعض معي . لقد تصرفت عن عقيدة ما كان الا المسيح او الاله ليلهموني بالتصرف بمثلها ، اذا كنت راغبا في أن اجد نفسي واكون صادقا معها ، وما كان ممكنا ان افعل ذلك لو بقيت كاثوليكيا .

❋

هنا ينتهي بيان الاب تشارلز ديفيس .

وقد رأيت ان انقله للقراء بحذافيره كيلا تضيع على القارىء ، الشحنة العاطفية التي صحبته . الثورة والغضب والانفعال الذي كتب به البيان جعله صادرا عن مخلوق حي واع بمشاكل الانسان المعاصر الذي وجد نفسه فى عصر الفضاء داخل شبكة معقدة من المحرمات والقوانين التي لم تصدر عن سلطة الهيئة ، ولكن توالدت داخل قطيع من العزاب العجزة لا صلة لهم بالحياة وواقعها خارج اسوار الفاتكان .

ولتسهيل العودة الى النقاط البارزة الواردة فى بيان الاب ديفيس ، والتي سببت خروجه عن الكنيسة الكاثوليكية اورد هنا تلخيصا موجزا لها ، وهي :

1 — ليس ثمة اساس انجيلي قوي كفاية لحمل مزاعم المؤسسة الكاثوليكية الضخمة ، العوامل الاجتماعية فى تطورها التاريخي اقرب الى تفسير قيامها من الانجيل .

2 — بلادة احساس الكنيسة وجمودها عن التطورات الجديدة فى اللاهوت وشروحه العلمية الجديدة .

3 — كذب البابا حين انكر انقسام الكنيسة حول حبة تحديد النسل . المفروض ان البابا هو قائد العالم الاخلاقي ، ومعصوم من الخطا .

4 — اللامبالاة بمآسي الناس الصادرة عن تحجر الكنيسة فى وجه العصر الحديث .

5 — الضغط على حرية التفكير والتعبير .

6 — عدم الاهتمام بالحقيقة لذاتها ، وخصوصا اذا تضاربت مع السلطة فان هذه تنتصر دائما .

7 — تدخلات البابا فى اعمال المجلس المقدس للتأثير على قراراته .

8 — المؤامرات وراء الوثائق البابوية والتجمعات الحزبية لانجاح سياسة ضد اخرى رغم معارضتها لروح الدين .

9 — احاطة البابا بنظام تصور عتيق يخضع فيه الحق للسياسة .

10 — النفاق والفساد يسود المؤسسة كلها .

11 — اخلاص ديفيس للحقيقة جعل الحياة مستحيلة فى مثل ذلك الجو .

12 — التفكير الخلاق مدفون تحت ركام الهوامش والحواشي والحطام الكنسي العتيق .

13 — فقدت السلطة احترامه .

14 — الزواج ليس عاملا مهما فى اعتزاله الكنيسة ، ولكنه مساعد على بدء حياة جديدة سعيدة .

*

وسأترك الى مقال آخر ، الحديث عن ما يحدث داخل المجتمع البروتستانتي فى الولايات المتحدة وابريطانيا للدين ، وكيف تفاعلت المسيحية فى ايجابها وسلبها مع التغيرات الثورية فى كل افق من آفاق القرن العشرين .

لندن : احمد عبد السلام البقالي



عبقرية الاسلام في المغرب

للأستاذ : الحسن السائح

(4)

لقد استطاع الغرب ان يصبغ على الاسلام المفهوم الديني الذي يريده ، والذي استمده من التقاليد المسيحية ، وبذلك جعل كثيرا من المسلمين انفسهم يعتقدون ان الدين الاسلامي هو في افريقيا وفي آسيا بمثابة الدين المسيحي في أوروبا وفي امريكا ، يعني ان المجتمع يقوم على ثنائية يتقاسمها الدين والدنيا ورجال الدين ورجال الدنيا ، وروج كثير من المستشرقين والكتاب الشرقيين لهذه الفكرة فنادوا بفصل الدين عن الدولة وكان من نتائج ذلك سقوط الخلافة الاسلامية التي كان انحرافها عن الاستقامة الاسلامية من الاسباب التي دعت المسلمين الى التخلي عنها .

والمهم ان نهاية الخلافة كان انتصارا لفصل الدين عن الدولة ، ولو ان طبيعة الاسلام لا تقر هذا التجزؤ ، ولذلك فان الدول الاسلامية اصبحت تساس بحكام يجمعون بين السلطة الزمنية والسياسية ، وليس هنالك في الامكان حل قريب من طبيعة الاسلام اقرب من هذا ، غير ان معظم المسلمين في هذا الوضع لم يتفادوا البحث عن منفذ للوحدة الاسلامية بطريقة اخرى بعد سقوط الخلافة العثمانية ولذلك فهم ما يزالون يعانون ازمة عدم تنسيق التجديدات التي تفرضها طبيعة التطور على العالم الاسلامي ، والمسلم يشعر بانعزالية افكاره التجديدية الاسلامية في عدة قضايا كقضية توحيد الهلال والاقتصاد الاسلامي والقوانين الشرعية فيما يخص الاحوال الجنائية والمدنية ، ولاشك ان ركود التطور سيسلب عن الاسلام حيويته المتدفقة ، وتطوره الطبيعي وقدرته الفائقة على الملائمة بين الزمان والبيئة .

اضف الى ذلك ان عصرنا يتيح للجميع فرصة التعلم والاطلاع على مختلف المذاهب المعاصرة التي لها كتاب نشطون مشجعون ، يعرضون مذاهبهم في الانتاج التاليفي والمسرحي والقصصي والفني ويضعونه في مختلف الايدي مشروحا مبسطا ويعتمد على مفكرين ادبولوجيين يقودون المذاهب الفكرية وسط خضم الصراع المذهبي ، فيطلع على هذا الانتاج الضافي شبابنا المسلم ثم يلتفت حواليه علّه يجد ما يفسر له الاسلام فلا يجد الا كتبا عتيقة او افكارا مرددة تنقصها الجدة وقوة العرض وفعالية التاثير .

ولا نشك ان المذاهب انما تتحرك وتنمو بالنماذج الحية او بالفلسفات المتجددة ، فالاسلام عاش عظيما في عصوره الاولى بنماذج مثالية من الصحابة وتابعيهم ، ولم يكن في حاجة الى فلسفة ، فكان متمثلا في مجتمع حركي يخضع النواميس الكونية الى خالقها حيث ترد الناس الى الخضوع بشريعة الله وقوامة دينه الذي هو الاسلام ملتزمين الايمان المطلق بتعاليمه النبيلة المرتفعة فوق مصلحة الفرد والجنس واللون ، ويدركونه ببصيرتهم وعقليتهم كدين شمولي لكل النزعات والمنازع الانسانية مهما تعدد مظهرها في العلم والفن والعقيدة او العمل ، لا يحتقرون فردا او مجتمعا ولا يشعرون بتناقض بين ما يعرفون وما يؤمنون به وما يصنعونه لانهم كانوا يصدرون من نبع واحد هو تلك القوة القهارة المسيطرة على الوجود كله ، والتي تقيم حياة المسلم على الاعتدال : الاعتدال بين العقل والعاطفة والفكر والوجدان والفرد والمجتمع والاخلاق والقانون ، فليس هنالك استسلام مطبق لسلطة العقل مهما كانت مخططة وجافة، وليس هناك استسلام للعاطفة مهما كانت خرافية وصادرة عن هوى ، لان الاستسلام للعقل جمود وضحالة وقسوة ، والتنكر له شعوذة وتضليل وتحريف كما ان الاستسلام للعاطفة تنكر للعقل والعدل ، والتنكر

لهما غلق لمنافذ التأمل الداخلي وعدم معرفة الانسان لما حواليه عبر نفسه .

ولما فقد الانسان المسلم النماذج المثلى في مجتمعه تولدت فلسفة اسلامية قوية قهرت الفلسفة اليونانية والفلسفات المادية واستطاعت ان تعطي للاسلام قوة الحجة المنطقية لبدحض مزاعم خصومه المسيحيين والدهريين والوثنيين وما يزال الفكر الفلسفي الى يومنا هذا ينحني اجلالا للفارابي وابن سينا والغزالي وابن الطفيل وابن باجة وابن رشد وابن عربي .

اما العالم الاسلامي اليوم فهو يفقد النماذج والفلسفة معا ، ولولا ظهور بعض المفكرين المسلمين كمحمد اقبال والافغاني ومحمدعبده والشيخ ابوشعيب الدكالي لظل الاسلام يفتقد المدافعين والمناضلين .

ولا ننسى ان كتابنا المقدس « القرآن الكريم » الذي يتلى في كل مسجد ويردد على السنة المومنين بقي وحده القوة الخارقة التي تجمع المسلمين في مشارق الارض ومغاربها .

والواقع اننا كمسلمين نتفاءل ببزوغ فجر ذلك اليوم الذي يصبح الاسلام فيه دين البشرية جمعاء ، ومهما اختلفنا وضعفنا كمسلمين ، فان الافكار الاسلامية في تقدم لايعرف التراجع ، وقد ظل الفكر الانساني يسير دائما نحو تعاليم الاسلام ، ولعل ثورة «لوثير»و«كالفن» وانتقادات فولتير(كيركارد)وبرجيس وبعض القرارات التي اتخذها المجمع الماسكوني ، كلها رجوع عن الانحرافات المسيحية الى طبيعتها لتاخذ طريقها في تعاليم الاسلام آخر الاديان وجامعها ، اما التجارب المادية التي تنهجها كثير من الدول اليوم والتي سلخت نفسها عن الروحيات او المعنويات ، فقد اعلنت عن افلاسها ، سواء في المذاهب المادية التي ادت الى فلسفة العدم واليأس والعبث وما تقود اليه من انهيار لاساس المجتمع الاخلاقي والاجتماعي ، او في المذاهب الشيوعية التي تناقض في كثير من مواقفها طبيعة الفرد والمجتمع فتعيش في تنافر دائم وخوف من الاصطدام تحت حراسة ويقظة مستمرة لمكاسبها. كل هذا يجعلناكمسلمين واثقين من قوة الاسلام وفعالية دعوته ، غير ان الاسلام اليوم يعاني ازمة لامفر من الاعتراف بها والعمل على الخروج منها ، وهذه الازمة تبدو في انعزالية ثقافته ، وحاجته الى فلسفة حديثة ، والملاءمة بين آرائه ونظرياته الاجتماعية والاقتصادية والتطور الحديث دون التضحية بها ودون التنكر لهذا التطور نفسه ..

فالثقافة الاسلامية منعزلة او منفصلة عن ثقافة عصرنا الذي نعيشه ، وقد سعى الاستعمار الى تفويت معظم هذه الثقافة كما فوتت الارض التي طغى على خيراتها، واذا كانت الارض استغلت لصالح الاستعمار ، فان الثقافة كانت هدفا لهجوم لا رحمة فيه ، ونشأ جيل جديد من المسلمين لايفهم حقيقة الاسلام او يفهم الاسلام من خلال نظرة مزيفة لحقائقه ، ويوهمنا المستشرقون في دراستهم للاسلام او في تبنيهم لهذه الدراسات عنايتهم بالفكر الاسلامي .

ترى هل نستطيع تحطيم القيود الفكرية المفروضة علينا والخروج من الازمة بوسائل اكثر فعالية وجدوى، فالكتابة الجانبية عن الاسلام ، والوعظ والارشاد لن يساعد على الخروج من المازق ، فالثقافة الاسلامية يجب ان تسيطر على التعليم بصفة عامة ، وليس معنى السيطرة الا صبغ الفكر بالثقافة الاسلامية ، فالدراسة العلمية والفنية والادبية ستظل منحرفة ما لم تكن مسترشدة بمباديء السلام والمحبة والتآزر في محيط الفرد والجماعة والشعوب على السواء ، وما لم تكن تعتمد على اسس صوفية لاتنسى نصيبها من الدنيا ، ولا تنام تحت ظلال شجرة الافيون ، والاسلام ليس دين وعظ ، وانما هو دين الزام باتباع دعوته ، وليس دين ضمير فردي ، ولكنه دين فرد وجماعة وامة . ومبادؤه لا تعلم في المدارس وحدها ولكن في الاسرة والبيئة ايضا ...

ومن الغريب ان نرى الشباب المسلم يردد شعارات الوجودية وازمة الفراغ ودونه في الاسلام ميدان العمل المثمر . والمجتمع الاسلامي عليه ان يفهم بوعي حقيقة الدين بصفة عامة والاسلام بصفة خاصة، فالدين وحده قادر على تقرير مصير الانسان اما العلم فهو يهمل المصير الانساني ، كما ان الدين شمولي النظرة الى الحياة ، اما العلم فلا يستطيع الخروج من الجزئيات الى الشمول ، واذا كانت الفلسفة تستطيع ذلك فليس في وسعها ان ترضي مختلف الاستعدادات الفكرية البشرية ، بل لن تستطيع حتى الميتافزيقا ان تسد هذا الفراغ لانها من عالم العقل ، ولا تسيره بقوة خارجة عنه تجمع بين الاحساس والفكر معا ... والاسلام هو الدين الوحيد الذي يعمل على ابراز شخصية الفرد والجماعة ، ويستحث الفضائل الداخلية لتبدو واضحة غير مقنعة ، ولذلك يبعد الاستعانة بالفن لاستفزاز الطبيعة البشرية حتى لاتبدو مصطنعة او مزيفة ، فلا يقر الموسيقى او التصوير في

العبادة ليترك العاطفة تظهر في صورتها الطبيعية الناصعة ، فاستهلاك العواطف ونخسها تزييف لاستمرارها وحقيقتها معا ، والعبادة في الاسلام سواء الصلاة او الصوم او الحج كلها تكشف عن حقيقة الاحساس الانساني وشموليته ، وكذلك قانونه الاجتماعي يعتبر خالدا لمسايرته للعقل والاحساس الطبيعي البشري دون استغواء للعاطفة او تمويه او تملق للمظاهر ، فالمراة في وضعها الاجتماعي لاتتجاوز ما حدد لها في ميدان الجماعة ، والرجل في وضعه لايتجاوز حدوده صيانة لروح الجماعة الاسلامية قبل استرداء العواطف الفردية .

وماساة الحضارة الغربية تكمن في عدم اخذها من طرف كل المعطيات البشرية وتركيز ثنائية العلم والدين ، وعدم وجود اسس اخلاقية وقيم ثابتة ، وتملق الافراد على حساب العمل الجماعي او العكس. اما الاسلام فقد استطاع ان يجمع بين الاطراف ويحقق الاعتدال الذي تستطيع الفلسفة الاسلامية ان تعتبره مصدر قوته العظيمة ، فقد كان آخر الاديان ليعطي للانسان قوة احتمال الامانة والعبء معتمدا على مانهج له الدين ، وعلى قوة عقله لمواجهة التطور الزمني والبيئي حتى لايظل منتظرا للمخلص كما في الوثنية والمسيحية، ولن يضل الانسان المسلم ما دام بيده القرآن رائده الدائم في خضم الحياة ، لانه ليس مجرد نصوص تتلى فقط ، ولكنه ايضا آيات مفعمة بالقوة والفعالية والدعوة الى التجربة واعمال الفكر في معالجة قضايا الانسان (والاعتدال) بين النظرة الداخلية والخارجية للانسان كفرد وكمجتمع ، وبين عالم الحس والمرئي، وعالم الضمير والمكنون ، وبين حق الفرد وكفاحه وحق الجماعة واستمرارها ، وبين التامل الداخلي والعمل الحركي ، وبين التصوف والفلسفة ، والايمان والتفكير ، وبين الاشتراكية والملكية ، والروحية والمادية واخيرا بين نعمة الدنيا ونعيم الآخرة وهو الاساس الذي تبنى عليه الفلسفة الاسلامية ، وليس من قبيل الصدفة ان يعنون الغزالي كتابه « ميزان الاعتدال » دون ان يكون ركز تفكيره على ذلك وهو من اعظم المفكرين المسلمين .

الرباط – الحسن السائح



جولة في المخطوطات العربية باسبانيا

للأستاذ محمد ابراهيم الكتاني

(5)

.... والذين لهم صلة بالمخطوطات يعرفون جيدا ان فائدتها لا تقتصر فقط على المؤلفات نفسها ، بل ان التقاييد التي كثيرا ما توجد في اوائلها واواخرها قد تشتمل على معلومات ربما فاقت قيمتها في بعض الاحيان قيمة المخطوط الاصلي . وقد استفاد صديقنا العلامة المرحوم السيد المختار السوسي في مكتبته السوسية الضخمة من هذه التقاييد شيئا كثيرا .

ونجد اثناء مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد اشياء كثيرة من هذا القبيل ، وقد تقدمت الاشارة الى بعض ذلك من مثل التقاييد التي مع الهارونية في الطب .

ومن ذلك هذه التقاييد التي وجدتها ضمن المجموع رقم 4956 :

(188) الحافظ ابو محمد التادلي كتبت المدونة من حفظه لما امر الموحدون باحراقها .

— قلت : ترجمه في نيل الابتهاج ص 118 طبع فاس وسماه عبد الله بن محمد بن عيسى ، وذكر كتابة المدونة من حفظه وقال : كان يبث العلم سنة 623 . —

الفقيه ابو الحسن المتيوي عرض المدونة في يوم واحد .

وكان الشيخ الفقيه المتبحر في علم اللسان ابو الحسين عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن ابي الربيع القرشي العثماني يقرا الفقه في شياخته على ابي الحسن المتيوي ، وكان المتيوي يقرأ عليه العربية ،لم تمنع كل واحد امامته وتصدره في التدريس اخذ العلم عن طبقته !

— قلت : لم اجد ترجمة لابي الحسن المتيوي فيما بين يدي من مراجع ، ثم عثرت عليها عند ابن تغري بردى في (المنهل الصافي) (مخطوط) وغلط الكاتب فكتب اسمه على المتبوني (كذا) وقد جاء فيها :

الشيخ ابو الحسن المغربي السبتي المالكي الزاهد ، احد الائمة الاعلام كان يحفظ المدونة والتفريع لابن الجلاب ورسالة ابن ابي زيد والف شرحا للرسالة لم يكمل ، وصل الى باب الحدود .

وكان مع براعته في الفقه عجبا في الزهد والورع والدين ، كان يخرج الى الجمعة مغطى الوجه !

وقبره بظاهر سبتة يزار

ولم يكن في زمانه احفظ منه لمذهب مالك رضي الله عنه وانتفع به الطلبة وتفقه به جماعة .

توفي سنة سبعين وستمائة ، رحمه الله وعفا عنه .

وراجع عن ابي الربيع السبتي (ت 688) بغية الوعاة 319 وكتب برامج العلماء في الاندلس لصديقنا الدكتور عبد العزيز الاهواني ، ومعه نص برنامج ابن ابي الربيع بقلم تلميذه ابن الشاط السبتي . —

الشيخ الحافظ الصالح المدرس ابو محمد يسكر احد شيوخ المدرسين ، استظهر كتاب المدونة دون الثلاثين سنة ، وهو في سن الفتوة ، ثم درس كتاب ابن يونس وعند حفظه قعد للاقراء فكان اكثر نقله منه .

توفي يوم السبت 12 ذي قعدة عام 598 ودفن بالقلة .

ـ قلت : ترجمه احمد بابا في نيـل الابتهـاج ص 394 ط فاس ، وقال : بـكر ابو محمد موسى ، وابن القاضي في الجـذوة ص 653 والكتانـي في (سلــوة الانفاس) وقالا : بـكر بن موسى ، ولم يذكر اي واحد منهم شيئا مما ورد في تقييد المخطوط المذكور ؟ ـ

الشيخ الفقيه المصنف ابو عمران الزناتي المراكشي من اعلم اهل زمانه بالفقه والحديث وتجويـد القـرآن العظيم والعربية واللغة والادب والعروض ، صنف في كـل ذلك .

وله وضع على المدونة والرسالة ، وله على مقامات الحريري كتاب في اربعة اسفار ، وله على مقصــوره ابن دريد سفـر بديـع .

ترك اقراء الطلبة في ءاخر عمره واشتغل بالكلام للعوام ، واقتصر على مطالعة تصانيفه ، وباع سائــر كتبه وكان ينفق منها ويتصدق الى ان توفي عام اربعـة عشر وسبعمائة وقد نيف على التسعين سنـة .

وكان شاعرامجيدا مكثرا ، فصيح القلم ، وكـانت بينه وبين ابي عبد الله بن البقال مراسلة .

ـ قلت : ترجمه في نيل الابتهاج ص 374 طبع فاس، وقال عنه : موسى ابن ابي علي الزموري المولد والمنشأ، نزيل مراكش ولم يذكـر كثيرا مما جـاء في التقييدة المذكورة ، وقال : توفي في العشر الاول من المائة الثامنة، بل في سنة اثنين منها ، صح من خط بعض اصحابنا ، وفي الطبعة الفاسية : في السنة الثامنة منها . وليست هذه الطرة في طبعة القاهرة بهامش الديبـاج المـذهب (ص 342) .

وابو عبد الله بن البقال هومحمد بن محمد بـن علي ، ترجمه في نيل الابتهاج ص 227 ، وفي سلـــوة الانفـاس 2 / 158 . ـ

* * *

مقدمة كتاب (الامتاع والانتفاع ، في مسالة السماع) تاليف الامام ابي عبد الله ابن الدراج السبتي ثم الفاسي قاضـي سـلا

استجابة للرغبة الملحة التي عبر عنها ـ لي ولادارة مجلة (دعوة الحق) القراء ـ بعض الاصدقاء الذيـن كنت حدثتهم عن مقدمة (كتاب الامتاع والانتفـاع) او اطلعتهم عليها ـ وعبرت لي عنها الادارة بدورها ـ اقوم اليوم بنشرها على صفحات مجلة (دعـوة الحـق) ، بعدما كنت قد اكتفيت بتلخيصها عند حديثي عن الكتاب في المقال الذي نشر في العدد الاول من السـنة العاشرة (رجب 86 هـ نوفمبر 66 م ص 88 ـ 89).

ونظرا لما اصاب النسخة الفريدة من الكتاب من محو كثير من كلماتها ، فاني تركت بياضـا في مكــان الكلمات المحوة ووضعت فيها ارقاما للدلالة عليهــا، وجعلت بين هلالين ما ظهر لـي انـه المحو ، كما ان ضياع الورقة الاولى من المخطوط ـ كما قدمت ذكره ـ حملني على الغاء الاسطر الاربعة الاولى من الصفحـة الثانية لارتباطها بما قبلها ، ولكثـرة البياضات بهــا (راجع الصـورة) ... نحمده على ان الهمنا لحمـده الذي به (يبتدا كل امر ذي بال) . ونشكره على ما خولنا من معروف عوارفه السابغة (1) ل ونشهد ان لا الـه الا الله وحده لا شريك له ولا شبيه ولا مثال ، شهادة من مات وهو يشهد بها مستيقنا بها قلبه ، فكان ممـن حياه ربه بحسن العاقبة والمـال .

ونشهد ان محمد ا عبده ورسوله الذي اخرجنـا به الى نور الهدى من ظلام الضلال ، المبعوث ليتمم مكارم الاخلاق ومحاسن الخلال ، ارسله بالسمحة الحنيفية ، ـ لا بالتبتل والرهبانـ ـ اكـرم الارسال للارسال .

وامر بامتثال ما جاء به قولا وفعالا ، فقال جـل وتعالى : « وما آتاكم الرسول فخـذوه ، ومـا نهاكـم عنـه فانتهوا » ، فلنقف مع الائتمار لـه والامتثـال ، فالذي السـعيد من وفق لموافقـة سنتـه واتباعـه ؛ والشقي البعيد من اوبـق بمفارقة سنته بابتداعـه . نعوذ بالله من الاضلال ! صلى الله عليه وعلى ءالـــه وصحبه خير صحب وءال ، (2)

الجود من جواهر المآثر التي انتثرت عنهم في الوجـود بما يربى لألاء حسنه على حسن لآلئ كل لآل . صـلاة نامية متوالية على مر الايام والليال ، معطـرة الانفاس فلا تهب باعطر منها انفاس الشمال ، سابغة اثــواب الثواب (فيما) خـط لنا مـن كتاب يوتي باليميـن لا بالشمال ، موجودا يمنها في (تلقي العبد) بالقبول يـوم الورود على ربه المامول فضلـه والاقبـال ، وتبشيره بتسهيل حسابه حتى لا يعلق الاسى به على ما قــرط تفريطه وتقصيره في حمل الامانة التي اشفقت منهـــا السماوات والارض والجبال ، وفوزه بالعفو عما مضى ونيل الصفو من شراب كؤوس الرضـى في الحـال والاستقبـــال .

ورضي الله عن الامير الامجد ، المجاهد المنجد ، الميمون الاسعد ، المظفر المؤمل ، المعتمد الارفع الانفع ، الافضل الاطول ، الذي لم يزل النصر بلوائه معقودا في كل حال ، والمامول بازمة (السعد) اليه مقودا انقياد الآمال ، وهنيئا للاسلام الذي قر عينا بما منحه الله تعالى (واولاه) وهذا اوضح من ان يحتاج الى استشهاد عليه واستدلال ، امير المسلمين ، والممهد لهم اليمن والتامين ، ابو يعقوب بن الامير الاجل الاعز، الارفع الاسمى ، الاوحد الاسعد ، المجاهد المنصور المظفر الميمون ، الموقر الكبير ، الافضل الاكمل ، المقدس المرحوم ، الذي عظم فضلا ودينا ، وخلد بعده للصالحات صيتا مبينا ، فاشتهر في الفضل صيته وسارت به الامثال امير المسلمين ، وناصر دين رب العالمين ابي يوسف بن عبد الحق .

ورث السيادة كابرا عن كابر
كالرمح انبوبا على انبوب

واجزل شكر فضله الذي اكمل الله له به المحاسن احسن الاكمال ، ووصل بالمزيد ما خصه به من مزية الاكمال .

ثم قال :

اما بعد ، فان الله تعالى لما ملا البسيطة امنا ويمنا ، وكسا الارض رواء باهرا وحسنا ، وارسل رسل رياح الافراح ، بوسائل رسائل الروح للارواح ، فتلقتها مصافحة باليمنى ، واري من السير الحسان، التي للمقام العالي الممجد السلطاني ، المؤمل اليعقوبي، رافع راية الاحسان ، ما يجزيه عليه بالحسنى ، وادر من سحائب المواهب لاحياء ما صوح من نبات اللبانات، فاصبح كالامس الذاهب مزنا ، وجدد في دولته السعيدة الحميدة من رسم الجهاد ، والقيام بنصرة دين رب العباد ، ما أورث الكفرة ذلا وحزنا ، وحوز المسلمين عزا تاكد الحمد له عليه ، فالحمد لله على ما ثلناه من الخير الذي له وحزنا .

اطرد السرور اطرادا ، وعاض الدهر مواسم واعيادا ، وامتدت ءاماد الآمال ، وامتلات الايدي بالمال ونشط الناس لاتخاذ الاهل وكسب الولد ، وقالوا : هذا وقت الغنيمة ، للنعم العميمة ، في كل صقل (كذا ، وواضح ان صوابها صقع) وبلد ، فكثرت لذلك الولائم والاعراس ، واستجمت النفوس فيها بشيء من اللهو الذي ليس به في الشريعة باس ، ولم يزل الامر على ذلك مستمر الحال مطرد القياس ، كما جرت به عادة من سلف وخلف من الناس .

الى ان ظهر قبلنا ناس يدعون انهم يقراون القرآن ويتفقرون (كذا) العلم ، ويستدعون بمذموم تعمقهم — المنهى عنه — الحرب لحماة الشريعة ويدعون السلم ؟ حتى اوقعهم ذلك في انكار ما سالني عنه بعض الطلبة من اولي الجد والاجتهاد ، الجارين على سبيل الخير ومنهج الرشاد ، من اعطاء الاجرة على السماع، فاجبت فيه بالاجازة فيما اجيز منه ، والمنع فيما حكم فيه بالامتناع ، لما اوضحه العلماء من ذلك ابلغ الايضاح، بقولهم :: كل ما ابيح شرعا فالاجر عليه مباح .

فبعضهم اقر بان منه ما حكم فيه بحله ، واصر على تحريم الاجرة على مثله ؛ بدعوى الاجماع ! وبعضهم زاد على ذلك القول بعموم تحريم السماع ! وفرقة ثالثة منهم غلب عليها جمود البلادة ! وهي يعتقد (كذا) ان ذلك من اعظم ما خصها الله به من الزيادة ! ! انكرت الشعر راسا ! وجحدت من حكمته ما لاح من افق الشريعة شمسا ! طمعا ان يخفضوا من رتب من رفعه الله بعلم الادب مكانا عليا ! ورغبة في ان يدخلوا في زمرة الذين قيل لسعيد بن المسيب عنهم : انهم يكرهون الشعر ، فقال : نسكوا نسكا اعجميا ! !

ما اولاهم بالاضراب عن ذلك والامساك ، فان الشذوذ عن نهج الحق ومذهبه لا يصحح لمرتكبه ان يكون من النساك ! يا له من مقصد في غاية الغثاثة ، لا يليق الا بهذه الفرقة الثالثة — وانها لشر الثلاثة ! ! —

اللهم عافنا (مما) امتحنوا به — جهلا بالسنة ! — اوقعهم في الطعن على متبعها في مجالس الخاصة و الـ (3) باعظم من طعن الاسنة ، والتماس مساعدتهم على مباينتهم للحق ومباعد (4) ما لهم من المنة ، من **بعض اشياخي الذين استفدت بالقراءة عليهم أعظم استفادة** ، واستفزاز من استطاعوا منهم بضروب من الحيل صادرة عن حسادة في سويداء قلوبهم مستكنة ؛ ليشنعوا بذلك ويموهوا وينبهوا الى **قوم نفعهم الله بالحضور عندي في مجلس الدرس ان ينتهوا ! !**

فوجب علي ان ابين الصواب فيما صدر لي من المقال ، واعمل خطا الرد على خطئهم الظاهر بالنص في النص المتظاهر والارقال ، واكشف عن عوراء سوء فهمهم الذي لا يغفر ذنب اصرارهم عليه ولا يقال ، بما اخذ الله سبحانه من الميثاق في العلم ، ان يبين للناس ولا يكتم ، وجعل من الاجر الجزيل لمن جرى على سنن السنن بواضح الدليل الذي يقتدى بنور هدايته ويؤتم .

فالفت هذا المجموع قصدا لافادة القاريء والسامع ، واظهارا للحق بحسام دليله القاطع ، وانتصارا لمن تقدم من الاشياخ الجلة ، العلماء العاملين اعلام الملة ، في ترك رد ما اذن الشرع فيه من ذلك وانكاره، وحضوره على مرور الازمنة واحضاره ، واخذهم بالرخصة الواردة في هذا المعنى الذي عذبت موارده ، فان الله يحب ان توتى رخصه كما يحب ان تجتنب شدائده .

وغيرة من اطلاق هذه الشرذمة الناجمة السنتها فيهم بالاضلال ، وتصويبها استنها اليهم بالطعن والتخطئة فيما نقموا عليهم من تحليل الحلال! وجاهدتهم فيه من اسلحة ما اشتملت عليه القاطعة ومعانيه بكل ناصل فاصل ! وقلت لهم : فاقلتم من فلان بافوق ناصل ! هلا تركتم في هذا الميدان ركضا ؟ واخذتم بالمثل السائر : النبع يقرع بعضه بعضا !

لاجالدتكم اعظم الجلاد ! واجادلنكم بما تض (5) وابايتكم به للانقياد ، واجاهدتكم لاحظى بما وعد الله به من عظيم الاجر على الجهاد ! حتى ترضوا من الغنيمة بالاياب ! وتعلموا : ان (جري المـ) ح (6) ذكيات غلاب.

ولولا فضل الله ورحمته في اختصاص السيد الاسعد ، الارفع الاوحد ، المحدث الراوية الامجد ، المشاور العلم العالم ، الذي احيا الله به ما درس للمعالي من المعالم ، ونفله من نوافل الفضائل والاكرام، ما قصر سهم كل مبالغ في جده ، عن بلوغ حده ، فيما غنمه من مغانم المقاسم ، المقدس المرحوم ابي القاسم، ابن الشيخ الفقيه العالم العامل ، الارفع الاروع ، القدوة الاسوة ، بقية المشائخ من حملة السنة ، المقدس، المرحوم ابي العباس العرفي ، جاد غيث الرحمة ثراه ، واجزل من نزل الرضوان قراه ، وتلقته الملائكة ببشراه، اياي بتنبيهه وتعليمه ، واعانته على طلب العلم الذي فاز من حظى بجنات نعيمه .

ثم انعامه سبحانه علي اذ اعتمدت عليه ناصرا ولیا ، بأن جعلني من خاصة مولانا امير المسلمين — ايده الله — فرفعني مكانا عليا ، فبشراي بترفيعه وتكريمه ! واسدل من اياديه ما يعجز البلغاء — وان بالغوا — عن وصف سنيه وكـو (7) يـه ؛ فحصلت السعادة التامة لي بتوصيلي الى رتبة الاختصاص بمقام من اختصه الله بمزية استخلافه في ارضه وتقديمه ، وتوسلي اليه بوسيلة العلم الذي من اوتي منه شيئا فقد حظى بجسيم الخير وعميمه .

ولذلك رايت ان يكون من شرف هذا التاليف، تطريزه باسمه العلي المنيف ، ورفعه لخزانة محله الشريف .

فيا سعد كوكبه الصادقة دلائل (8) يله وتقويمه، ما كنت ممن طمع في تاليف هذا التاليف (و) تنظيمه ، وما اسرع الى اهلاله ، عند انبلاج هلاله ، بعمرته من تنعيمه ، و (8) عتاض من صبحته اداء سبحته على شرط تحلله منها بتشهده وتسليمه ، (9) محفوفة بجزيل الخير وجسيمه ؛ وعرفهم من عوارف احسانه ، ولطائف (افتنانه) (10) ابد في الجديد منه على قديمه .

فالحمد لله الذي يسر لي على يديه للاعانة على سلوك طريق العلم سببا ، واستعمله في اكتساب اسباب الثواب — واعظم بها مكتسبا —

ومن اعظم ذلك الاعانة على تعلم العلم **وتعليمه** ولم اشرع في ذلك الا بعد تقديم ما يجب من الاستخارة التي هي اقوى دواعي الخير واسبابه ، والاستنارة بانوار المشورة التي من اخذ بها فقد اتى الخير من بابه والاستعانة في جميع الامور بمن لاحول ولا قوة الا به .

وسميته بكتاب الامتاع والانتفاع ، في مسالة سماع السماع ، لاستيناره بالكفاية والغناء ، في احكام احكام الغناء ، والرد على من نغص المسلمين بتحريم ما ابيح لهم في مظان المسرة والهناء ، او في حال اجتماع ارباب التهم بالسماع ؛ ليتبعوا احسنه احسن الاتباع ، واولى الاعتناء .

وجعلت الكلام على ذلك في ثلاثة ابواب :

الاول في حقيقة الغناء وشرح آلاته

الثاني في حكم (11) حكم الآلات المتخذة للتجريد على موازنة نغماته

الثالث في حكم الاجرة على ذلك كله على اختلاف انواعه وصفاته .

وقد قسم الباب الاول الى فصلين :

الاول في حقيقة الغناء .

الفصل **الثاني** في شرح ءالاته .

وفي الباب الثاني فصلان ايضا :

الاول في حكم الغناء مجردا عن العوارض اللاحقة له

الفصل الثاني في حكم الغناء مع ما يقارن عمله — وقد اثبت اثناء هذا الفصل رسالة في السماع ، لابي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري في خمس ورقات — .

فهارس المكتبة الوطنية بمدريد

هذا وقد وضع المستشرق روبلس F. Guillen Robles فهرسا للمخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية بمدريد، طبع بمدريد سنة 1889 م في 332 ص وقد كتبت فيه اسماء الكتب بالعربية ووصفها بالاسبانية ، وفي ءاخره اربع فهارس احدها بالعربية

Catalogo de los Manuscritos Arabes existentes en la Biblioteca Nacional de Madrid. Madrid, 1889

وقد رقمت فيه الكتب بارقام رومانية ، ولكن ادارة المكتبة الوطنية رات في وقت من الاوقات الغاء هذه الارقام الرومانية والاستعاضة عنها بالارقام العربية فجعلت لكل كتاب رقما عربيا ، وجعلت هذا الرقم في النسختين المحفوظتين في قاعة المطالعة بحيث يلزم القاريء ان يرجع الى احداهما ليعرف رقم الكتاب الذي يريد طلبه ، وبذلك يضيع له وقت ثمين ما احوجه اليه !

وقد كنت قرات الفهرس المطبوع قبل سفري وسجلت منه بعض الاسماء والارقام ، فلما وصلت لمدريد وجدت انه لابد لي من البحث من جديد عن ارقام المخطوطات التي اريد الوقوف عليها !

وقد وضع المستعرب الفرنسي هـ . ديرانبورغ ملاحظات نقدية بالفرنسية على المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية بمدريد وطبعت بباريس سنة 1904 في صفحات 52

Notes critiques sur les Manuscrits Arabes de la Bibliothèque Nationale de Madrid, par H. Derenbourg. Paris, 1904.

وقد تقدمت الاحالة على كل من الفهرستين

ويذكر بروكلمان في تاريخ الادب العربي فهرسا للكتب العربية التي استولى عليها الاسبانيون بتطوان وضعه د . او ، لافوينت وآلكانترا ، وطبع بمدريد سنة 1862 ولم اقف عليه وهو العاشر من مصادر روبلس في فهرسه المتقدم . وهو موضوع اغفله صديقنا الاستاذ داود فيما جمعه من معلومات ووثائق مهمة عن حرب تطوان في تاريخه الحفيل .

ومما لاشك فيه ان كثيرا من مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد هي من كتب تطوان ، الى جانب ما فيها من مخطوطات عرب الاندلس ومستعربيها ومستعجميها، حسبما هو واضح من اوصاف المخطوطات التي تكلمنا عليها .

* * *

واما متحف بلنسية دي دون خوان بمدريد ففيه قليل من المخطوطات العربية التي ليس لها كبير قيمة .

ومنها (189) رسالة نظم الدر ، في فضائل اعمال البر مؤسسة على البر والتقوى ، وصافية سرائرها في العلانية والنجوى

في 141 ورقة ، لعل مؤلفها احمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن المستجاب ، وهي في فضائل الاصول الخمسة التي بني عليها الاسلام في حديث : « بني الاسلام على خمس »

وهي مؤرخة في ءاخرها بيوم الخميس 21 من شهر مايه من عام 894 اربعة وتسعين وثمانمائة ، على يد العبد الفقير ابو (كذا) عبد الله محمد أشبينيال ساكن من (كذا) مدينة تطيلة .

والمؤلف يستوهب جميل الدعاء لذي الوزارتين ابن الوزراء الجلة والفقهاء اعلام الشريعة والملة الذي احيا الله به هذا الامر العزيز بعد انقطاعه واندراسه وكان في قامته وعادته قاعدة من قواعد بنيانه واساسه. ويصفه في جملة ما يصفه به ـ بانه : له الايادي والفضائل التامة على كل من سكن الاندلس من خاصة وعامة منها ... فقد عصمها الله من الفتن كلها ، وسكنها وصرف عنها كل شر وامنها ، فكلمة الله فيها على يديه عالية باقية مربوطة ، وايام حياته بمديد سعوده محروسة مغبوطة ...

الى ان يقول : ولما رايت ان قد شرح الله صدره للحق وحده واعانه عليه ، علمت ان الله سبحانه قد اختاره للمسلمين بهذه الجزيرة الغريبة وحبه (كذا) اليهم وحبهم (كذا) اليه ، وجعله موافقا لما ذكر من صفاته وصفات من اشتمل بالحب والجد عليه ....

ويقول : وكفى بهذا البيان والتنبيه المشار اليه ظهوره في زمانه ، واجماع الامة على ماهو من الكمال والعقل عليه ....

ثم يقول : وفيه يقول المؤثر لجلاله ، المعترف بانعامه وافضاله ، ما هو موافق له وموصوف به : احمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن ابن المستجاب :

طلعت نجومك بالسعود منيرة
وجرى الوفاق امامكم مرتاحا
والعز مضروب عليك رواقه
والنجم بين يديك مد جناحا

ومن مخطوطات متحف بلنسية دي دون خوان بمدريد :

(190) مجلد ضخم فيه حكايات وقصص وغرائب بخط مغربي ، ملون مجدول ، ليس له اسم ولا اسم

مؤلف : واوله : فصل : ذكـــر مناجات موسى عليـه السـلام .

يقع في 233 ورقـة ، وباوله فهرس حديث بخط بعض الاروبيين (191) ، ومنهامجموع به قصائدكثيرمنها في احتلال تطوان ، وقد كان صديقنا الاستاذ محمد ابن تاويت التطواني قد تفضل فاهداني نسخة مصورة من هذه المخطوطة عندما نشرها في العدد الاول من مجلـة تطـوان الفـراء .

هذه خلاصة حصيلة ما يقرب من شهر قضيتـه في مدريد ، حيث كنت ابدا عملي في المكتبة الوطنية في تمام السـاعة الثامنة صباحا ولا اغادرها الا في تمـام السـاعة الثانية ونصف بعد الظهر ــ وقت العمـــل الصيفي في المكتبة ــ وقد كان بودي ان اقف على جميع المخطوطات العربية بالمكتبة في هذه المدة القصيرة ، وكان ذلك ممكنا لولا بعض المضايقات من المكلف باحضــار المخطوطات للقراء رغـم التوصيات الرسـميـة الـــتي كنت مــزودا بهـــا ، محتجـــا بان كثـــرة القـراء مـــن جهـــة ، وكثـــرة طلباتـي مـــن جهـــة اخرى ، لا تجعل من السـهل عليه تلبية جميع طلباتـي وهكذا اضطرت لمغادرة مدريد قبل ان اقف على جميع ماني المكتبةالوطنـية من مخطوطات ، اذ بقي لي حوالي 119 رقما لم اقف عليها ، فعسـى ان تتيسـر لي فرصـة اخرى لاتمـام ما بداتـه .

ومع هذا فقد كان ما حصلته نتيجة مهمـــة اذا ما قورنت ببعض المكتبات التـي لا تسمـــح للقاريء بالوقوف على اكثر من ثلاث مخطوطات في اليوم الواحد، مثل مكتبة الفاتيكان ، مما لا يسعني معه الا تقديـــم شكري لما لقيته في المكتبة الوطنية من عناية خاصـة . وكنت اخصص العشية للمكتبات الاخرى .

وقد نشرت في هذه الفصول اكثر ما سجلته مما رجوت ان ينتفع به بعض القراء ، ولم استبق منـــه بدون نشـر الا ما رايت من المناسب الاستغناء عن نشره من بعض التفاصيل التي لا تهم كثيرا من القارئيـــن» . فعسـى ان تسنح لنشرها فرصة اخرى .

وفي المقال المقبل بحول الله نشرع في الحديـث عما وقعنا عليه من مخطوطات في مكتبـة الايسكوريال طوال شهر كامل قضينـاه هنـاك .

الرباط : محمد ابراهيم الكتانـي

* * *



كثيرا ما يقال بان المسلم ، او العربي ، لا يستطيع ، ابدا ، ان يكون « ديكارتيا » بسبب ميله الشديد الى كل ما هو غامض ، وخرافي ومعاد للمنطق السليم .. غير انه يمكن للمسلم ان يشك في « ديكارتية » الفكر الفرنسي ، والعقلانية الغربية عامة !

اعرف ملحدين وماديين متطرفين لا يجرؤون على اكل اللحم يوم الجمعة المقدس ، وعندما اعترضت على احدهم ، اجاب :

« نعم انني ، رغم الحادي ، لم اتغلب على الجانب الاسطوري من تفكيري . ان ذهنيتي مغلوبة على امرها ! .. »

لقد قطع (شارل بيجي) راجلا ، سنة 1912 ثمانين (كلم) ما بين (باريز) و (شارتر) ليطلب من مريم العذراء شفاء ابنه المهدد بالموت ! وهل توجد كنيسة في اوربا لا تحرق فيها الشموع املا في عودة جندي ، او شفاء مريض ؟ والتماثيل المقامة للعذراء في الساحات العمومية لحماية القرية ؟ ومواسم الحج ، وتقديس البحر والصيد ؟..

تتجذر هذه اللاعقلانية في سلوك مواطني (ديكارت) ، والامريكيين ، والسوفياتيين على السواء . فقد اخبرت وكالة (فرانس بريس) في منتصف يونيو 1956 ، حسب مصادر روسية شبه ــ رسميه ، ان طائفة مسيحية ، تعيش بناحية موسكو ، لا تزال تمارس تقديم القرابين البشرية ، وان سيدة اقدمت على التضحية بحفدتها الصغار رغبة في انقاذ روح ابيهم الملحد ! ..

هذه الامثلة ، التي هي قطرة من فيض ، تبين لنا تيه مزاعم الغربيين الذين ينسبون لانفسهم عقلانية متكاملة ، وديكارتية خالصة . **ان لكل مجتمع بدائيته،** كما ان لكل طبقة ، بما فيها طبقة المثقفين ، لاعقلانيتها المتشبثين بالخرافات . فحفاظا على نفوذ الماضي يرفض مثلا ، بريطانيون مثقفون استعمال القياس المتري رغم مزاياه العملية .. واحتراما للتقاليد ، لن يتم اصلاح الاملاء الفرنسي . وكل هذا يتعارض مع الوضع والتميز اللذين يدعو اليهما ديكارت .

* * *

اي شيء نريد البرهنة عليه ، من خلال هذه الامثلة؟

نحاول ان نثبت ، بكل بساطة ، انه لا وجود لعقلية ممتازة واخرى منحطة ، بل هناك **فكر انساني واحد له ردود فعل واحدة امام ظواهر الطبيعة** : انه يكافح ، في كل المجالات ، ومنذ الازل ، سعيا وراء التسلح بمعارف ومهارات تتيح له ان يتغلب على مختلف العقبات التي يصادفها في الحياة . وان تجربة هذا الكفاح قابلة للتنقل ، انها تزداد غنى من جيل لاخر ، على مر العصور ، ومنذ عهد موغل في القدم ...

* * *

بما ان التاريخ ينطوي على احداث عرضية ، وعناصر مجهولة ، وظروف معقدة تساعد او تعارض بعض النشاطات الثقافية ، نلاحظ حدوث اختلاف بين مستويات البيئات : هنا مستوى مرتفع ، وهناك مستوى اكثر او اقل ارتفاعا . كما نلاحظ ان تاريخ مجتمع ما يتزحزح من مستوى لاخر . فالتقدم والحضارة نتيجة لجهود بذلتها الانسانية جمعاء ، لذلك يتحتم علينا ان نفخر بنوعنا البشري لا باجناسنا . فكم شاهدنا ان محققي الاختراعات والاكتشافات لا يستفيدون منها ، كما يشهد على ذلك مثال الطاقة الذرية : فالماء الثقيل اتى من (النرويج) ومر عبر (باريز) حيث وقعت الاختبارات

الاولى ، ثم انتهى تحقيق التجربة في الولايات المتحدة ، بفضل معادلات وتصميمات فرنسية والمانية .

* * *

لم تعد هناك عقلية ممتازة واخرى بدائية او غير منطقية . ان (ليسيان ليفي برول Lévy Brull اضطر ، قبل وفاته ببضع سنوات ، الى تغيير المفهوم الذي عارض به ما بين التفكير العقلاني والعقلية البدائية . وقد كان يعرف العقلية البدائية بخاصتين :

1) قانون المشاركة La loi de participation والتناقض .

2) عدم الاهتمام بالعلل الثانوية ، وانعدام اية علية علمية ، (الايمان بالسحر) .

يغلب على ظننا ان ما قاله الاستاذ (جيب Gibb) عن الفكر الاسلامي من انه «يفتقر الى الحتمية العلمية» ، راي مقتبس من نظرية (ليفي برول) عن تركيب « العقلية البدائية » .

ان الخاصيتين اللتين وضعهما (ليفي برول) لا لا تقتصران على ما سماه بالعقلية البدائية ، بل توجدان ، واقعيا ، في جميع اجتمعات ، وقد استنتج الاستاذ (بياجي Piaget) وجودهما في الحياة النفسانية للاطفال ، كما اعتمد عليهما الاستاذ (بلوندبل) في التطبيقات التي اجراها بمستوصفات السيولوجيا . واخيرا ، توفق الاستاذ (شول) الى فهم وشرح الشعور بالروعة العاطفية و«الصور» ، في اطار الفكر الذي سمي ، عن جهل ، بالفكر «البدائي»

لا جدال ان جميع الثقافات القديمة (مصر واليونان وبابل والهند ..) قد اسهمت بجهود كبيرة في اعطاء التفكير الانساني طابع العقلانية ، الا ان هذه العقلانية قد اختلطت ، دائما ، بالسحر ولم تكن قط خالصة اذ كانت تشتمل على قانون المشاركة الذي اكتشفه (ليفي برول) في القرن العشرين عند « البدائيين » ، فالطب القديم مثلا ، يحتوي ، اساسا ، على فرعين : الجراحة ، والعلاج بواسطة صيغ سحرية .. فكان لزاما بذل مجهودات جبارة ، عبر العصور المختلفة ، قبل التوصل الى مبادىء الموضوعية واستخلاص القوانين . فعند الاغريق، كان الطب ، اول الامر ، اما مرادفا للسحر ، واما مرادفا للتأمل : فالاطباء ، باستثناء اتباع (هيبو قراط) ، عندما لا يستعملون اساليب الغيبيات والروحانية، ينقلبون الى وعاظ ودعاة للاخلاق ، يقول (افلاطون) : المعرفة للارواح مثل الادوية للجسد . ان الشعور بالروعة يغمر كل الاهتمامات بالفعالية ..

* * *

ان هذه الاستشهادات بحوادث تاريخية معاشة ، يؤكد ان اللاعقلانية والمعتقدات السحرية ليست وقفا على الشعوب المسماة بالمتاخرة او المتوحشة ، بل هو الفكر الانساني ، في عمومه ، الذي يحمل ظلالا من المتناقضات والخرافيات ، واللاعقلانية ، والاعتباط .

* * *

قد يوجه هذا الاعتراض : ان الامم التي لها ماض حافل هي ، بحكم منطق الاشياء والتاريخ ، اكثر عقلانية ، ومن ثمة يتحتم ان توكل لها قيادة الانسانية ، ويعطاها حق سن الاساليب ، والانماط لسير العالم.

بوسعنا ان نورد اربعة اعتراضات مضادة :

اولا — ان لجميع الشعوب تاريخا ، وحتى الشعوب المسماة متوحشة ، او بدائية ، او غير منطقية ، لها ايضا ماض ذو قيمة من بعض جوانبه .

ثانيا — كيف يمكن اختيار ما يجب ان يفرض على الشعوب ؟ ان الحضارة لا تقوم على مقياس واحد مطلق ، ولا على مبدأ واحد ومطلق ، بل هي نتاج تركيب حي لمبادىء شتى ، ومثل عليا متباينة من حيث المعايير والاهداف .

ثالثا — يمكننا ، بالنسبة لثقافة ما ، ان نصف الرقعة المنتشرة فيها ، واشكالها ، ومختلف الاحداث المكونة لتنظيماتها المادية والعقلية والسياسية ، لكن :

ا) هذا الوصف لن يعطينا سوى خطوط موضحة ، لانه يهتم فقط بما هو متغير وعارض ، اذ كل ثقافة تحيى وتتغير ، وهذا التغير ملحوظ في جميع المجالات : فرقعة ثقافة ما يمكن ان تتسع او تضيق ، لان « الامبراطوريات ايضا معرضة للاندثار » .

ب) اما ما يتصل بالزمان ، فيمكننا ان نتساءل : في اية مرحلة من مراحل التطور ، او الانحطاط ، يجب اعتبار الثقافة القومية ، لمجتمع ما ، ثقافة نموذجية بالنسبة لمجتمعات اخرى ؟؟

رابعا — الاعتراض الاخير يتمثل في السؤال : لاية امة من بين الامم التي ترشح نفسها للاضطلاع برئاسة توجيه الشعوب ، يجب ان تعطى الاسبقية ؟ ذلك ان لكل الامم بدائييها ، مهما بلغت درجة حضارتها.

فاذا كانت شعوب لا تتوفر على نفس العمر التاريخي، رغم تعاصرها ، فمن الطبيعي الا يكون افراد المجتمع الواحد متوفرين على نفس العمر العقلي ، ونفس المستوى الثقافي والحضاري .

* * *

ان لكل جماعة ، جنسية او جغرافية او دينية ، حيزا تاريخيا واضحا يتميز بملامح معينة تمايز بين هذه الجماعة وبقية الجماعات البشرية . بيد ان هذا التغاير يتجلى في مظاهر البنيات الفوقية للثقافة وللمجتمع فحسب ، لا في البنيات العمقية بدرجة تسمح بتصنيف اختلافات نوعية من شأنها ان تبرر الدعوة المسمومة لتعارض جنس مع جنس ، ولوجود عقلية سليمة واخرى مشوهة .

* * *

ان عجلة التاريخ لا تدور في مكانها ، ولا تظل حبيسة ماض خالد . فالمقياس الصحيح للحكم على ماضي شعب ما ، هو قدرة هذا الماضي على تقبل مقاييس كونية وانسانية ، اي قدرته على تخطي الاطار القومي الخاص . ان زمن التاريخ هو التفتح على عالم زاخر بالنماذج والآمال . فالتطور الحضاري مرادف للمغامرات ، اما زمن التاريخ الجامد ، فزمن الموت ، اذ يظل متجمدا بكليته في الماضي .

* * *

يجب ان نحقق قفزات ، لنتجاوز ، قبل كل شيء ، ذاتنا ، وان نكون عارفين الهدف الذي نقصده ان بامكان الماضي ان يصبح بمثابة نقطة ايضاح تمدنا بالاضواء اللازمة ، لا ملجأ نأوي اليه لنستقر في ارتخاء ، علينا ان نفعل مثل السباح الذي يتقهقر قليلا ليتحفز للانطلاق . فالزحف يتجه نحو المستقبل ، والمستقبل ليس ملكا لاحد . ان المستقبل ، ان الحضارة ، ان التاريخ ليس ملكا لاحد ، على الخصوص ، انه لكل الذين يعملون في الحاضر لمطابقة مشاريعهم ونزوعاتهم الخاصة ، مع مطامح الانسانية ، بعيدين عن الحدود الجغرافية ، والاختلافات الجنسية والدينية والمجتمعية .

الرباط : محمد عزيز الحبابي



لغة الشعر بين المنتج والمتلقي

للأستاذ عبد العلي الوزاني

استقر الباحثون على ان الانسان عرف الرؤية الشعرية قبل ان يعرف (الشعر) ، عرفها منذ اخذ يتسامى على ضروراته اليومية ، فرفع راسه ليتامل مهرجان السماء فى الليالي الساجية الصافية ، وقطف الزهور ليضعها اكليلا على مفرق حبيبته الغالية ، واخذ بروعة قطرة الندى حائرة على ورقة الورد ، وخفة الغزال وانيا بين احراش الغابات ، واشعة الشمس تتسلل من بين اغصان الشجر .

كانت كلماته يومئذ هي كل ما خلق الله فى الطبيعة من حجر ونبت ، ونار ونور ، والوان وعطور ، ورود وزهور ، واغصان واوراق . قاموس طبيعي لا حد لثروته وسعته وجماله ، تعيش فيه مدلولات الكلمات لا الكلمات ، وتمرح فيه حقائق الحياة لا عناوين الحياة. فهو اذا احب عبر عن حبه لمن يهوى بالزهر واللون والعطر ، واذا كره عبر عن كرهه بتهشيم الرؤوس، ودق الاضلاع ، ورفس الاحشاء ، ادواته العضلات والاحجار والعصى . ومن ثم لم يكن من سبيل الى ان يخاتل وينافق ويداجي . لانه ابن الطبيعة البار ، هذه التي لاتعرف غير الصراحة لها مبدأ ، فهي تبتهج فتنعش الجو الحار برقائق النسمات ، وتزين وجه الارض برائق النبات ، وتمسح كآبة الكون باغاريد البلابل ، ثم هي تغضب وتثور فتنفجر بركانا يرمي بالشرر ، وامطارا هاطلة تاتي على الاخضر واليابس، وزلازل تغير معالم الارض وتدك الجبال .

ويوم نظر الى الحياة نظرة الشعر تلك ، كان ميلاده كانسان ، اذ بدأ يتحرر من قيود الضرورة ، ليجعل من حياته فنا بمعنى من معاني الفن الكثيرة ، ليصغي الى وساوس النفس ، ويهفو الى مباهج الاحلام، وترتفع الحجب عن بصيرته لتتجلى الحياة لناظريه في ازيائها الزاهية الجميلة . واضيف عبء جديد الى اعباء الانسان الثقيلة ، واي عبء اعظم واثقل من ان يحس الانسان بالفنان الكامن فيه ، ما يلبث يتلقى اصداء الحياة الآتية من كل ذرة فى هذا الكون ، ليضخمها ويضع لها حكايات طويلة تكلفه كثيرا من متاعب القلب وقوارص الضمير ! وهو عبء ثمين ، قد لاتستطيع ان تنهض به جميع النفوس ، لاختلاف نسبها من قوة الاحساس الفني ، وتفاوت حظوظها من الصلابة والقدرة على الاحتمال ، والاستعداد لحمل المعاني العظيمة والقيم الخالدة .

ومن ثم كانت (الرؤية الشعرية) اما لمسة خفيفة يتركها الانسان على بعض الاشياء ، ليهبها شيئا من مسحة الجمال ، ويبعث اليها طائفا من الفن يرقق منها الحواشي ، وهذه رؤية الجمهرة الكبيرة من الناس لما يحيطها من مظاهر الحياة ، واما خلقا للقيم الجميلة، وابداعا لآيات الفن ، تضاهي فن الطبيعة وتتفوق عليه وتصل به الى مثله الاعلى ، وهذه رؤية الخاصة من البشر ، الذين اصطفاهم الله من بين خلقه ، لاداء رسالة الفن فى هذه الحياة . اولئك تكون لهم نظرات شعرية فى قليل من اوقات حياتهم التي تستهلكها مشاغلهم الدنيوية الكثيرة ، وهؤلاء تشغل النظرات الشعرية من حياتهم مكانا بارزا ، وتاخذ عليهم كل سبيل ، وتحيطهم بايحاءاتها من كل جانب ، حتى لتنقلب الحياة امام اعينهم قصيدة جميلة من ابداع فنان عظيم . وهؤلاء هم الذين تحققت عندهم النظرة الشعرية العميقة التي ينبع منها الشعر ، وتتفجر منها آيات الفن الرفيع ، وهي نظرة ليست خاصة بمن نسميهم شعراء ، فجميع اهل الفن لهم هذه النظرة ، لانها قبل كل شيء اسلوب فى الشعور ، وطريقة فى الاستجابة .

وهناك آلاف الاشخاص الذين حرموا نعمة الانتاج الفني ، فلا طاقة لهم بالمساهمة فيه ، ومع ذلك لهم نظراتهم الشعرية العميقة الفنية بالمعاني ، تكيف استجاباتهم للفن ، وتصوغ احساسهم بالجمال . ولو تاملنا لوجدناهم يبثون نظراتهم الشعرية فى كثير من اقوالهم وافعالهم ، فهم يترجمونها عملا من اعمال الخير،

او تضحية من رائع التضحيات ، او رقة فى احاديثهم وسموا فى معاشرتهم . فكثيرا ما تكون هذه الامور تعويضا عن عدم القدرة على الانتاج الفني ، وتنفيسا عن الطاقة الشعرية التي لا تجد متنفسا لها فى مجالها الطبيعي ، مجال الفنون الجميلة . فالانسان فى هذا شبيه بالعاشق الذي لايحسن ان يعبر لفاتنته عن لواعج هواه ، فيحمل اليها نفائس الحرير ، وغوالي الجواهر ، او يضحي من اجلها تضحية كبرى ، ليعبر لها بلغة العمل ، عما عجز عن صياغته بلغة الكلمات . وما اخال المتصوفة المنقطعين لعبادة الله ، والزاهدين المعرضين عن زخرف الدنيا وزينتها ، والعابابين المتهجدين القائمين الليل ، والرهبان المنكبين على صلواتهم المعتكفين فى صوامعهم فى الفيافي والقفار، ما اخالهم الا معبرين عن شعورهم العالي بجمال مبدع الكون وخالقه ، مفتونين بجلاله وعظمته .

فاذا استطاع الانسان ان يستخدم الكلمة في التعبير عن نظرته الشعرية ، فليس معنى ذلك ان نظرته هاته بقيت مجردة عن كل لون من الوان التعبير، منتظرة تمكن صاحبها من الاداة اللغوية ، فهي قبل ذلك بحثت عن طرق اخرى للاعلان عن نفسها ، ولكن معناه انها عثرت على احسن الادوات واقواها واشدها وضوحا عندما تساق الى الآخرين ، فتطالعهم فى لغة يحصل بها التفاهم والتجاوب بين الناس ، على حين انها اذ تبقى مجردة من التعبير الفني قد تبقى مجهولة الا عند صاحبها ، بل حتى هذا لايتبينها فى وضوح ، ما دام غير قادر على ضبطها واستخلاصها مما يلابسها من عوامل الفوضى والاضطراب . فمن شأن النسق الشعري أن يعمد الى عواطفنا المشوشة المضطربة : فيهبها شيئا غير قليل من التناسق والنظام : لتكون مقبولة من طرف الآخرين ، اذ يفهمونها ويتجاوبون معها . بل ان مجرد قبول صاحب النظرة الشعرية استعمال الكلمة ، يدل على انه مبدئيا قد استعد لاخضاع عواطفه المختلفة المتداخلة لما للكلمة من نظام يقتضيه منشأها وتطورها ، وما استقر لها من مفاهيم داخل الهيكل اللغوي العام وفى عرف الامة الناطقة بها. وباستعماله للكلمة على هذا النحو ، يكون قد اخذ بشيء مشاع بين جميع الناس ، فليس الشاعر هو الذي خلق كلماته والفاظه ، وانما وجدها كائنة مفروغا من ايجادها ، وقد استعملتها اجيال واجيال قبله ، وهذا الشيوع قد يتنافى مع ما قد يكون لنظراته الشعرية من امتياز وتفرد وخصوصية . فهو يريد لمفاهيمه وعواطفه ان تبقى ملكا له وحده ، على حين ان الكلمة تحاول ان تخرج بها من حدود هذه الملكية لتشيعها بين اكبر عدد من الناس ، لان الكلمة فى شيوعها ان هي الا احدى الظواهر الطبيعية والاجتماعية الاخرى الشائعة بين الناس . فلم يثبت ان وجدت الكلمة التي يحظر على احد استعمالها اساسا ، لانها تراث انساني عام . وهنا لايبقى امام الشاعر الا ان يقبل على لغته الشعرية تلك ، الشائعة بين الناس اساسا ، لياخذها بلمساته الفنية ، ويحتال عليها ضروبا من الاحتيال الفني ، كي يخفف من شيوعها ، ويهبها شيئا ليس متداولا . وقد ينجح فى ذلك نجاحا كبيرا ليكون له قاموسه الخاص ، وهذا شاو بعيد ، لم يكتب النجاح فيه الا لاقلية من عظماء شعراء الانسانية . انه لصعب جدا ان تجعل من الشيء العام المشاع شيئا خاصا . والشاعر الذي يترك الاداة اللغوية على شيوعها ، يكون فى الحقيقة غير مالك لعواطفه ومفاهيمه ونظراته ، لانه لم يعرف كيف يكتب وثيقة تملكها ، فضاعت منه كما تضيع الحقوق من اصحابها عندما يفقدون الحجة على تملكها . وما حجة الشاعر فى ملكيته ، الا استطاعته ان يكون له طابع خاص فى طريقة تناوله لنظراته الشعرية.

ولكن مهما بذل الشاعر من جهد ، لايستطيع ان ينفي عن اللغة كل صفة من صفات الشيوع ، فكل كلمة يلفظها او يكتبها يستعملها فى الوقت نفسه ملايين الاشخاص ، فى عدد كبير من المناسبات ، وفى اغراض متفاوتة سموا وانحطاطا . وهي ــ اي الكلمة ــ سبق لها ان حملت عواطف أجيال ماضية وادت عنها ما تريد ان تبثه الناس من شؤون العقل والوجدان ، وبذلك فهي قد اكتسبت شخصية مستقلة ، وتكون لها رصيد من المعاني والظلال . فاذا استعملها الشاعر لم تؤد ما حملها اياه من الخواطر والانفعالات فحسب ، ولكنها تؤدي ايضا ما استقر فى طبيعتها من ارثها النفيس . وعلى هذا فالشاعر اذ يترجم نظرته الشعرية الى كلمات ، لايستطيع ان يقصرها على اشيائه وحدها ، لانه لم ياخذ مادة ميتة فنفخ فيها روح الحياة ، وانما اخذ مادة كانت حية قبله ، وستبقى حية بعده ، تحمل رسالة الانسان الى الانسان . والقاريء الفذ هو الذي يستطيع ان يستخلص من الكلمات نظرة الشاعر الخاصة من العدد الكبير من الصور والظلال التي تزخر بها ، بحكم انها كائنات حية ، تأثرت بمعطيات الارواح والعقول فى ازمنة وامكنة مختلفة . ومن يدري ! ؟ فلعل فى ذلك خيرا للشاعر وللناس فلو انه استطاع ان ياخذ تلك الكلمات

القديمة فيمحو المعاني والصور الدالة عليها محوا ، ليصب فيها ما يريد هو من المعاني والخواطر ، لما كان هناك تجاوب بينه وبين قرائه ، ولكان غناؤه او حديثه مقصورا عليه ، يردده فيما بينه وبين نفسه ، وفي هذه الحالة قد لايحتاج الى لغة موصلة ، فعادة لا يتفاهم الناس الا في حدود الاشياء التي يشتركون فيها ، وترتبط بمداركهم ومفاهيمهم المتشابهة . ولعل الدفء الانساني الذي تحمله الكلمة يعتبر احد المقومات الاساسية لعمل الشاعر ، فهو اذ يلمسها لمساته السحرية ، تفيض وتشع وتتكشف عن ذخرها الانساني الجميل ، حتى لتقيمنا وتدفعنا وتخرجنا عن طورنا وحالتنا العادية ، متى تلقيناها في لحظة من لحظات صفائنا الروحي

وهذه الدلالة الواسعة للكلمات بين كيفية استعمالها عند الشاعر ، وبين استعمالاتها المختلفة عبر تاريخها الطويل الحافل ، هو الذي فتح ابواب الظنون والتاويلات الفنية على مصاريعها ، فترى نقاد الشعر — مثلا — ياخذون قصيدة لشاعر ما ، فما يلبثون يتاولون معاني كلماتها واشاراتها ورموزها ، حتى ليتادى بهم ذلك احيانا كثيرة الى ان يحملوها اكثر مما اراد بها صاحبها . وكم شاعر سئل عما قاله النقاد في نقد شعره واستخراج مضامينه ، فنفى ان يكون لاكثر ما قيل من ذلك علاقة بعمله الشعري وبنواياه ومقاصده الحقيقية .

واذا كانت الكلمات بهذه المثابة ، كان معنى ذلك ان الاصالة الحقيقية بمعناها الكامل ، لايمكن ان تتحقق لاي شاعر ، لانه يصب عواطفه في مادة قديمة صارت هي بنفسها معبرة ، ولو لم تستعمل في سياق خاص . فنحن اذ نسمع — مثلا — كلمة (وطن) او (جمال) او (حب) تقفز الى اخيلتنا صور من الحياة ، والوان من العيش ، وعدد من الارتسامات التي تعود بنا القهقرى الى ماض بعيد ، وتنتقل بنا بين ذكريات كاد ان يعفى عليها مر السنين ، وتحرك في اعماقنا ما ركد من العواطف فاذا هي انتظمت في سياق شعري جميل ، لم تتنازل عن مآتيها المبدعة ، وانما تعطاها الفرصة كي تتكشف عنها ، تماما كما يحدث لقارورة العطر ، عندما تزال سدادتها ، فتملأ الجو باريجها العاطر الاخاذ .

وقياسا على ذلك ، فالشاعر لاينقل الينا رؤيته الشعرية الا بقدر ما تستطيع الكلمة التعبير عنها . فقد يجد الكلمة اوسع مما يريد ، او اضيق مما يريد . قد يريدها باسمة ولكنها تطلق ضحكة في غفلة منه ، وقد يريدها هادئة فاذا هي تسرع قليلا فتفسد عليه شيئا من مقاصده . انها قيثارة شدت أوتارها ، وتكونت من مادة خاصة ، لترسل اصواتا من نوع خاص ، وما على الاصابع الموقعة عليها الا ان تتفنن في تكييف اصواتها ، اما ان تبدل من طبيعتها فذلك ضرب من المستحيل . وقد يتعاقب عليها مئات العازفين ، فيبدعون في استغلال اصواتها الطبيعية ، ليصنعوا منها فنونا من الالحان ، ولكن الاصوات لاتفقد شيئا من اصولها ، وهذا هو الاسر الذي يقع فيه الشاعر ، ولا يستطيع الفكاك منه . والامر ليس قاصرا على هذه الناحية ، فهناك المعاني التي تستعمل فيها الالفاظ ، هذه التي استقرت في اذهان الناس ، ونقشت على صفحات عقولهم وقلوبهم . فما اشد ضيق الشاعر بها ! وكم يبذل من جهود لاعطاء كلماته مدلولات خاصة ، ولكنه اخيرا قد يبوء بالفشل الجزئي ، فاذا بكلماته تبقى عالقة بها بعض معانيها السابقة التي ربما تفسد على الشاعر متعة مآتيه الروحية تنقل الى الناس بكل امانة وشفوف وصدق . ولعل هذا هو السر في كوننا نجد بعض الشعراء لايستودعون اللغة عواطفهم الا بعد أن يختزلوها اختزالا ، ويجيلوا يد الحذف والبتر في حواشيها ، حتى لا يبقى منها الا كلمات مبهمة غامضة المعنى ، وهؤلاء هم الشعراء الرمزيون .

افلا تكون اللغة في استعمال الشاعر لها خدعة فنية كبرى ، وكذبا على النفس الشاعرة الملهمة ؟ هل استطاعت أن تكون هي نفس المشاعر التي حاولت التعبير عنها ؟ سيلح احد الناس ويلحف في السؤال : وهل نسيت الصدق الفني ؟ هل اهملت من حسابك القدرة الفائقة التي يتوفر عليها بعض الشعراء في استغلال الكلمة الى ابعد ما يسر لها من سمو واشراق وشفوف ؟ هل نسيت شكسبير والبحتري والمتنبي؟ ولكن مهلا ، فانا لست اجهل كل هذا ، وطالما قراته في الكتب ، وقلته للطلبة ، وتحمست له ودافعت عنه في محاورة الصديق ومناقشة التلميذ ، ولكن تبين لي ان ما كنت اسميه صدقا ، قد يكون نية طيبة عند الشاعر ، ولكنه عندما يعمد الى اللغة يجد لها كيانا خاصا ، ومفاهيم ودلالات تتجدد دائما وتمتص كل ما يصل اليها من طريق الافراد والجماعات ، الامر الذي يجعلها لا تنقل الينا الاحساس نفسه الذي احسه الشاعر ، بكل ملابساته ، وانما تعطينا بعض جوانبه ، وتمزج بينه وبين ما استقر فيها من ظلال انسانية عامة

فابو القاسم الشابي ـ مثلا ـ عندما يقول مخاطبا من يحب :

عذبة انت كالطفولة كالاحلام

كاللحن كالصباح الجديد!

نشعر بحيرة كبيرة بين الصور العديدة التي تتداعى الى اخيلتنا عندما نسمع الشاعر يترنم بكلمة (العذوبة) اهي عذوبة الشكل الظاهر ام الباطن الخفي؟ عذوبة الماء النمير بعد الظما القاتل ؟ أم عذوبة النعمة السابغة والعيش الرخي ؟ عذوبة الالم الشعري الذي تنتعش به الارواح ؟ ام عذوبة اللذة التي تستغرق الحواس وتخدر الاعصاب ؟ عذوبة الشيء تتمناه ، ولا شيء لك منه الا التمني ولهفة الانتظار ؟ ام عذوبة الشيء تعايشه وتصل سببا منك بأسباب منه ، في مأمن من مكر الايام ؟ ام هي عذوبة من نوع آخر مما لايكاد يحصى من معطيات هذا اللفظ ، بين الفاظنا العديدة التي نستودعها اسرار نفوسنا قصد ايصالها الى الآخرين؟ ان الشابي اراد ان يصف لنا موقع هذه المراة الفاتنة من نفسه ، فلم يجد انسب لذلك من لفظ (العذوبة) ولكن هل استطاع هذا اللفظ ان يعطينا احساس الشابي نفسه بكل ملابساته ، وهو داخل نسقه الشعري ؟ طبعا لا ، والا فلماذا نجد الشاعر يتصيد بعض مظاهر الحياة يستعين بها على تحديد العذوبة التي يريدها ويحسها ، فاتانا بـ (الطفولة) و (الاحلام) و (اللحن) و (الصباح الجديد) وهل استطاعت هذه الاشياء ان تجعلنا نتصور هذه العذوبة كما انفعلت بها نفس الشاعر بعد تجريدها من الصور الانسانية الاخرى التي تلابسها؟ اني اشك في ذلك الى ابعد حدود الشك ، وهكذا يمكننا ان نقول بالنسبة الى كل من (الطفولة) و (الاحلام) و (اللحن) و (الصباح الجديد) بل حتى لو تتبعنا قصيدة الشاعر الى آخرها. وليس هذا صادقا بالنسبة لاوساط الشعراء وصغارهم فحسب ، ولكنه صادق ايضا حتى بالقياس الى كبارهم وعظمائهم ، فلم يسلم شاعر مهما علا شأنه من احابيل اللغة ومراوغاتها الكثيرة .

ونتيجة هذا ان كل ما انتجه الانسان من روائع الشعر ، لايمثل من النفس الانسانية الا ابسط جوانبها شأنا ، فكل شاعر عظيم او فنان كبير ، نفسه اغنى من فنه ، واحفل واثرى واوسع مجالا . فكل قصيدة قراتها لشاعر مبدع ، او قطعة فنية شاهدتها او سمعتها لفنان كبير ، اعتبرها نقطة من بحر ، ونوارة من زهر ، على حد تعبير الاديب العربي . ولو كانت كلمات الشاعر تنمو نمو عواطفه ، وتتشعب تشعب انفعالاته ، وتسايرها في شتى مالها من انحناءات وانعطافات وتموجات ، لكان له من كل كلمة دولة ، ومن كل حرف صولة ، وبالتالي لما انتهى من ان يقول شيئا ، ولكن الشاعر المبدع لا يجد محيدا عن القناعة من أشيائه الروحية بنفس من انفاسها ، وقبس من نورها .

واللغة تقتطع جزءا من انفس الشعراء في حالة من حالاتهم النفسية المتنوعة المتطورة ، حتى ان الشاعر عندما ينتهي من عمله الشعري ربما يلفيه لايصور حالته النفسية فور انتهائه منه ، وانما يصور شعورا ولى ولم يترك الا اطيافا وذكريات . فينظر اليه حينئذ كما ينظر الانسان الى فلتة لسان في حالة من حالات الشرود . انها رواية لانشاهد منها دائما الا فصلا بين فصولها السابقة وفصولها اللاحقة .

اما عندما ينتقل الشاعر في ادوار العمر ، من الشباب الى الكهولة الى الشيخوخة ، فقد نقارن بين قصائده المنتمية الى عهود من حياته ، فنجد بينها من التفاوت الكبير ما يخيل الينا معه انها ليست لشاعر واحد . ورب شاعر ينظر الى شعره الماضي ضيقا به نادما عليه ، ولولا انه ذاع بين الناس ، واخذ مكانه في التاريخ الادبي ، لمحاه محوا . والامر ليس قاصرا على ما قد يكون فيه من ضعف الصياغة ، بل هو يتجاوز ذلك الى كونه ممثلا لحالة نفسية اصبح الشاعر يحسب انها غريبة عنه ، ومصورا لطور من اطوار حياته صار غير راض عنه .

فاللحظة في الشعر هي كل شيء ، قد تطول وقد تقصر ، وهي على كل حال منفصلة عما قبلها وما بعدها ، ومعزولة عن عدد من الانفعالات التي تلابسها ، مع ماقد يبذله الشاعر من جهد لاستنفاذها . وهي ـ اي اللحظة ـ تمر بها النفس الشاعرة فتفرغ من محتوياتها لتمتليء بمحتويات لحظة اخرى او لحظات قد تختلف عن الاولى وقد تشبهها في بعض ملامحها . اما في العمل الشعري فهي ثابتة تقراها في تضاعيفه وتعاود قراءتها مرات ومرات ، واللحظة هي هي ، بالرغم مما تتركه في القاريء او السامع من انفعالات تختلف باختلاف الاجواء النفسية التي يتلقى فيها العمل الشعري . وقد تمر عقود من السنين على العمل الشعري يقرا خلالها ملايين المرات ، دون ان تفارقه اللحظة التي يعبر عنها . فكم مر على سينية البحتري من سنين :

(صنت نفسي عما يدنس نفسي

وترفعت عن جدا كل جبس)

ومع ذلك فنحن عندما نقراها اليوم ، نستحضر الظروف النفسية للشاعر ، تلك التي اطلقت لسانه

بتمجيد الفرس والتغني بمآثرهم الخالدة . قد تكون القصيدة معبرة عن نزوة موقتة استبدت بالبحتري، ثم زايلته بعد قليل ، ولكن ما صوره في سينيته لا يمكن ان يزول مهما تعاقبت السنون . وهكذا تكون خطيرة هذه المحاولات الفنية التي يقوم بها الشعراء ، اذ يسجلون على نفوسهم ، ويسجل عليهم التاريخ الادبي مواقف من حياتهم الروحية تنتصب كالاعلام لتدل عليهم ، ويعتمدها الدارسون في تصوير شخصياتهم ، مع انها لا تمثل منهم الا شيئا يسيرا بالنسبة لآفاقهم الروحية الواسعة ، ولا تنبع الا من بعض لحظاتهم التي لايمهلهم مالها عليهم من سلطان ، فيندفعون الى صياغتها في كلمات ، ومتى كان الشاعر الكبير يخضع تجاربه لمنطق العقل ليختار منها ويصطفي ما ينسجم معه ؟ فهو انسان صاحب حماقات ، لو خيل له وهمه انه من سلالة الملائكة لا من سلالة البشر ، لراح يعبر عن ذلك شعرا، ومن يدري ! ؟ فلربما حملنا نحن الآخرين على تصديقه، فالقارىء قد يفتنه الشعر الرائع عن بعض شخصيته ومعاييره الخاصة ، ليصنع به ما يشاء .

واذن يكون تاريخ الشعر الانساني هو تاريخ هذه اللحظات النفسية التي جاء هبة من هباتها ، وكل ما فيه انما يحمل على هذه اللحظات ويقصر عليها ، ولا يصح اتخاذه اساسا تقاس عليه حياة الشعراء بجميع جوانبها، والا كان ذلك ظلما لهم ، وافتراء عليهم ، وما اشبه من يخالف هذه القاعدة التي اقرها النقد الادبي الحديث بذلك الذي يرى شخصا في حالة سكر فيتخذ اقواله وافعاله في حالته هذه ، كنموذج لجميع اقواله وافعاله في ظروفه العادية . واللحظة الشعرية هي لحظة سكر، واي سكر اقوى واشد فعالية من الثورة على مواضعات العقل والاستسلام للاحلام ، والهيام المطلق بمداعبات الآمال والاعيب الظنون ؟

وبناء على ذلك ، فهؤلاء الشعراء الذين نقرا لهم ونؤخذ بروائعهم ، ليسوا هم اولئك الذين يضطربون فيما نضطرب فيه من شؤون الحياة اذا كانوا احياء ، ولا اولئك الذين مضوا وخاضوا فيما خاض فيه اهل زمانهم من شؤون العيش ، فهؤلاء جميعا لايصدر الشعر عنهم مباشرة . فليس المتنبي الذي اعرفه من خلال شعره هو ذلك الشخص الذي آوته حلب ، وطاردته مصر ، وانما هو انسان آخر اعرفه في هذه النصوص الشعرية الجميلة التي انتجها في لحظات خاصة ، تهيأ له فيها من بواعث التفتح والاشراق الروحي ما سما بالمتنبي الفنان ، على المتنبي الرجل ، وهذا الذي نقوله لايمنع من الاستعانة بحياة الشعراء في تفسير شعرهم كما لا احتاج ان اقول .

فحتى اقرب الناس الى الشاعر من اهله وذويه واصدقائه قد لايعرفون عنه كشاعر فوق ما يعرفه البعداء عنه ، لان الجميع يتساوى في الاعتماد على ما صدر عنه من اعمال فنية ، لتصور شخصيته الشعرية . اما نومه ويقظته وطعامه وشرابه ، وعاداته الخاصة واحاديثه العادية ، فهي في مجموعها لاتدل الا على شخصيته العادية المألوفة . وهذا هو السر في كوننا نرى الكثيرين يختلطون بشاعر او اديب ، فيجدونه عاديا في علاقته بهم ، قد لايرتفع عن مستواهم ، فيما ياخذون به من شؤون الحياة المشتركة ، ثم فجاة يطلع عليهم برائعة من روائعه ، يستغربون صدورها عنه ، وقد يظلمونه فيظنون به الظنون ، ويرفعونه او يخفضونه على حسب ما كونوا عنه من فكرة باعتباره شخصيا عاديا لا باعتباره فنانا . والمواطنة والمعاصرة والزمالة طالما كانت علة ظلم الشعراء والكتاب والفنانين ، فاذا ماتوا وجاء قوم آخرون لايعرفونهم الا بآثارهم ، يرتفعون في اعينهم ، وقد يصبحون من الخالدين . ويعجبني الاستاذ احمد الشايب في كتابه (اصول النقد الادبي) اذ يعلل كون حسان بن ثابت كان جبانا في واقع حياته، شجاعا في شعره ، بكون الشعر وليد حالة من حالات التسامي ، بعدها يعود الشاعر الى حالته العادية ، او بشيء من هذا القبيل .

لقد راينا الى الآن ما تستطيع اللغة ان تمثله منا ، اذا كنا شعراء ، وبقي ان نعرف ما تصير اليه لغتنا الشعرية بعد انتقالها الى القارىء او السامع . فالشاعر اذ يلقي بعمله الشعري الى الطرف المتلقي ، يجعله عرضة للتاثر بعوامل ربما كانت اجنبية عنه ، هي ذوق القارىء او السامع وخياله واستعداده الخاص واسلوب استجابته لفن القول . قد يكون فرحا مستبشرا ، فيعني النص الشعري عنده غير ما يعنيه اذا كان متبرما بالحياة عزوفا عنها . وقد يكون خصب التجربة حاد الذكاء سريع الخاطر ، فيعني لديه غير ما يعنيه اذا افتقر الى هذه الامور . ولهذا فالنص الشعري الواحد يقرؤه قارئان ، فيهز احدهما هزا عنيفا ، بينما قد يتيح نوعا من الخدر اللذيذ المخدر للاعصاب بالنسبة للآخر، مع ان النص هو هو في الحالتين .

وهذا يرجع بنا الى ما قلنا آنفا من ان مادة اللغة مستودع كبير لمآتي النفس الانسانية ، وانها قابلة للانفعال بسائر المؤثرات التي تحيط بها ، وانها تمتص كل ما استودعها اياه الافراد والجماعات . وبالرغم من ان القاريء قد يحاول التجرد من مقاييسه الخاصة، ليندمج مع الشاعر في جوه الخاص ، فهو غير قادر على ان يمحو شخصيته محوا ، ويلغي وجوده الغاء ، لان هذا فوق طاقته كانسان من لحم ودم واعصاب ، ولان ايحاء لغة الشعر نفسها ينبهه الى شخصيته ان هو حاول تجاهلها . والقاريء انسان له اهتماماته الفكرية ، وشؤونه الروحية ، التي قد يعاني منها كثيرا ، فاذا هو صادف متنفسا له في قصيدة الشاعر ، اطلق العنان لكل هاتيك الاهتمامات والشؤون لتكون لها جولات في العمل الشعري . لنفرض ــ مثلا ــ انه يحب ، ولا قدرة له على التعبير الشعري الجميل عن حبه ، ثم وقع على قصيدة لشاعر مبدع يتغنى فيها هواه ، فهاهنا نجده يتقمصها بكل ما قد يكون في حبه من قوة عنف ، حتى لربما تستحيل كلمات الشاعر انعكاسا لهذا القاريء ، اكثر مما هي انعكاس لصاحبها . فالشعر مشجب يعلق عليه كل قاريء ما عنده من هموم ومشاغل روحية . ومن حسن حظ القاريء ان لغة الشعر مطواع ذات مرونة وسرعة تكيف ، حسب جميع الامزجة والطبائع وانواع الاستعداد ، كل واحد يجد فيها ما يمكنه من ان يجور على مضامينها واشاراتها ، لتتفق مع منازعه العاطفية . وليست هي باللغة المحدودة المدلول الواضحة الغرض، كلغة العلم التي لا مجال فيها لشيء من هذا .

وقد قيل كلام كثير حول هذه الفضيلة التي تتمتع بها لغة الشعر هذه ، فضيلة المرونة والطواعية والتلقائية ، لانحب ان نعيده هنا ، ولكن احب ان اقف وقفة قصيرة عند هذه الفضيلة لاتبين هل تشوبها شائبة من نقص او عيب ، او هي الخير كل الخير ، والعصمة من جميع العيوب والآفات .

والآن لنعد الى القضية من اساسها : ان قابلية لغة الشعر للتكيف حسب اذواق الناس المختلفة ، الميول والاستعدادات الفنية ، يعتبر مزية من مزاياها العديدة ، اذ انها بذلك تحقق نوعا من الثراء الفني والنفسي ، وتجعل من النص الشعري عالما من الصور والظلال والالوان . حسن هذا ، ولكن يجدر بنا أن نرى في مقابل ذلك انها تميع وتتداخل مفاهيمها ومضامينها، وتصبح معبرة عن جميع الناس ، في الوقت الذي تعبر فيه عن انسان معين ، وبهذا قد لاتكون معبرة عن اي واحد منهم .

وقد انخدع كثيرون من الشعراء بفضيلة مرونة اللغة ، فلم يدققوا في اختيار كلماتهم ، ووضعها في مواضع لا تصلح لها الا هي ، ولم يتجنبوا مزالق الميع اللفظي ، فتركوا الفاظهم على شيوعها واطلاقاتها العامة ، في حين ان المنطق يقضي بان يكون العكس هو الصحيح، فمرونة لغة الشعر تفرض كثيرا من الاحتياط في الاستعمال اللغوي ، حتى يستطيع الشاعر ان يحافظ للغته على طواعيتها وشفوفها ورقة حساسيتها ، ولكن في الوقت نفسه يجنبها مغبة التفسخ الى حد ان تميع وتفقد الجو الخاص ، جو الشاعر المنتج . فاذا كانت الفضيلة وسطا بين رذيلتين ، كما قرر ذلك الفيلسوف اليوناني القديم ، ففضيلة لغة الشعر في وقوفها بين الجمود وفقدان المائية ، وبين الميوعة التي تفقدها الظلال الخاصة ، هذه التي هي المبرر الوحيد او الاساسي على الاقل لوجود قصيدة الشاعر .

والدقة لاتطلب من العالم وحده ، بل هي تطلب حتى من الاديب والشاعر ، نقول هذا لان هناك عددا كبيرا من الناس ، درجوا على ان ينظروا الى الشعر نظرة بعيدة عن الجدية ، فهو عندهم عبارة عن احلام وعواطف واخيلة صيغت في قالب جميل كيفما اتفق، على حين انهم ينظرون الى العلم نظرة كلها اكبار، ويطالبون العالم بالدقة في استعمال الكلمات . ومن قال ان الشعر معفى من هذا ؟ اليس تعبيرا عن موقف من المواقف الروحية للانسان في علاقته بالعالم المحيط به ؟ اليس لكل موقف روحي طبيعته الخاصة ؟ اليست الميوعة اللغوية تخل بالكشف عن الموقف ؟ الم تضع علينا مئات اللحظات النفسية ، لان بعض الشعراء لم تكن لغتهم من الدقة بحيث تكون كفاء لها ولو بكيفية تقريبية ؟ ودونك دواوين الشعر ، افتحها لترى ان التلاعب بالالفاظ والاستهانة بما بينها من فروق دقيقة، اكبر مأساة مني بها الشعر على الاطلاق ، لانها اهدرت كرامة الفن ، واساءت الى رسالته الخالدة .

ولغة الشعر هي في الحقيقة ابداع للحياة الجميلة، والوجود الامثل الذي يود الشاعر أن يكونه ، انها تجاوز للواقع ، ورفض للرتابة واطراد اساليب العيش وانماط السلوك . كما انها حوار بين الشاعر وبين ذاته المثلى، واندماج في عالمه الخيالي الذي لايتسع له واقعه المحسوس المشهود ، لانه قائم على منطق الحياة وناموسها القاضي بالخضوع لشتى الاوضاع والعادات

والقواعد ، فكل ما في لغة الشعر من اخيلة مجنحة، وصور فنية رائعة القسمات ، وتموج بالاطياف والاحلام، ان هو الا تعبير عن ضيق الشاعر بمحدودية الواقع الذي يعيش فيه ، وقنوطه من نظام الحياة الشامل. فهو اينما تحرك يجد (القواعد) فللعمل قواعد، وللاجتماع بالناس قواعد ، ولتبادل المنافع والمصالح قواعد . حتى اللعب وضعت له قواعد ، على حين ان الشاعر بمقتضى انه انسان ممتاز ، وله منظاره الخاص الذي ينظر به الى الحياة والاشياء ، يود الانطلاق والتحرر والخروج احيانا عن تقاليد الحياة ونواميسها ومنطقها الصارم ، ليعيش وجوده الخاص ، المنبثق من كيانه الروحي . فهو قد يضع للاشياء اسماء غير التي اصطلح عليها الناس ، وقد يجرد كلماتهم التي يلوكونها من بعض معانيها ليصب فيها معنى جديدا ، وقد يحب الناس شيئا فيفدونه بالغالي والنفيس ، على حين انه يكاد لايشعر بوجوده ، ويكرهون شيئا آخر فيزهدون فيه ، بينما يحتل عنده مكانة المقدسات ، وقس على ذلك . فهو حينئذ يجنح الى لغة الشعر الكريمة المعطاء، يبني بها عالمه الخاص ، ليعيش فيه على هواه . لاسلطان فوق سلطانه ، ويطلق العنان لحماقاته الجميلة التي هي اثمن من معقولات كثير من الناس . في هذا العالم يحقق المستحيل ، واي مستحيل يستعصي على شاعر مبدع؟ فكلمة منه تطلع العرائس من اعماق البحر ، وتستنزل الارواح من اعلى عليين ، وتوزع الضوء على بقاع الكون بنسب اين منها نسب الواقع المحسوس ، وتصعد باصغر الاشياء الى سماء العز ومشارف الخلود ، وتنزل باشياء كبيرة عند الناس الى الدرك الاسفل ، حيث تكون النفايات . وليس لنا الحق في ان نناقش الشاعر في جدوى عمله هذا ، ولا ان نطالبه بالدليل على صحته، لانه لايعترف مقدما بالاسس التي نقيم عليها مناقشتنا بصفته شاعرا ، ولاننا نكون قد تدخلنا فيما لايعنينا. ولو ان الشاعر رضي بمنطقنا لما جشم نفسه مشقة الانتاج الشعري مطلقا . كل ما نملك حق التدخل فيه هو سؤالنا عن مدى توفيقه في التعبير عن نفسه .

وقد يتقارب عالم الشاعر وعالم الناس ، وقد يتباعدان تباعدا كبيرا يجعل الشاعر يشعر بانه غريب عن الواقع الذي يعيش فيه ، وياخذ بحظه منه بطريقة او باخرى ، بحكم وجوده داخل هيئة اجتماعية ، تضغط عليه تحت تاثير ظروف عيشه المختلفة . ويزيد في شعوره بالغربة ان يكون مجهولا عند الجماعة التي يعيش فيها ، بحيث لاتعرفه ولا تصل اسبابها باسبابه ، فيبقى فيها يعاني غصص الهموم ، ويقع فريسة الصراع بين مثاليته وواقعه . وقد تستطيع الجماعة ان تتجاوب معه وتاخذ عنه ، متخطية باب عالمه الخاص ، وحينئذ لايشعر بهذه الغربة ، وانما يشعر بانه يعيش وسط عائلة تكن له كل عطف ومحبة وتقدير ، فيجد العزاء عما يكابده من اجل الخلق والابتكار . وقد يود الشاعر ان يبقى عالمه مغلقا على جمهرة كبيرة من القراء ، فيعمد الى انتاجه الشعري يدبره على معاني ومقاصد ملتوية، ويكثف صوره ويضغط اسلوبه ، حتى يتحول الى ضرب من الرمز والايماء ، الامر الذي لايجعله مفهوما الا عند الخاصة من القراء ، وهذا يعد تعاليا من الشاعر ، اذ يظن بشعره الابتذال والاسفاف ، اذا هو وصل الى الجمهور الاعظم ، وصار اغنية تتردد في المجامع والمنتديات .

والشاعر يبني عالمه بمادة حساسة مرهفة الحساسية ، تنفعل بحالة الطقس الادبي العام ، وترتفع درجة حرارتها او تنخفض ، تبعا لاختلاف حالات الزمان والمكان ، وتتاثر باي لمسة تصادفها ، الامر الذي ربما ادى الى انهيار العالم الشعري ، بالنسبة الى القاريء الذي يفوته ادراك المنطق العاطفي للشاعر ، فيعبث ببنائه الفني ما شاء له العبث . فرب قاريء يغير على العمل الشعري فينقض بناءه ، ويشوه جماله ، لانه بعثر اجزاءه ، او قلب مفاهيمه راسا على عقب ، فافقده بذلك روحه الاصيل . وكل هذا ناشيء عن كون لغة العمل الشعري ليست لها مناعة او حصانة ضد العوامل الخارجية ، وانما هي عرضة لان يؤثر فيها كل ما يحيط بها ، ما دامت قيمتها متصلة بنوع الاستجابة التي تصادفها عند الطرف المتلقي ، على حين ان لغة العلم تملك نوعا من الحصانة ياتيها من دقتها واعتمادها على العقل المجرد ، وهذا يتشابه الناس في احكامه ومقاييسه الى حد بعيد . ولست اقصد طبعا ان لغة العلم لها الحصانة التامة التي تقف في مواجهة جميع عوامل التشويه ، وانما اقصد فقط الى انها تعصمها موضوعيتها احيانا وتحد من التلاعب بها او الشطط في استيعابها، اما لغة الشعر فهي ذاتية ، وتثير في الآخرين مشاعر ذاتية تكيف مفهومها وتحدد طبيعتها ، والاستجابات الذاتية بلغت من التنوع حدا بعيدا يكاد يكون بعدد القراء ، على حين ان الحقائق الفكرية التي تصورها لغة العلم ، يلتقي عليها جل الناس .

واذن فعوالم الشعراء هشة مرنة تضيق حدودها وتتسع ، وترتفع سماواتها وتنخفض ، وقد تضيف

عددا كبيرا من الناس ، لان مائدتها ممدودة الاطـراف، طافحة الجوانب ، فيعيثون فيهـا فسادا ، ويحولـون افراحها الى مآتم ، ومآتمها الى افراح .

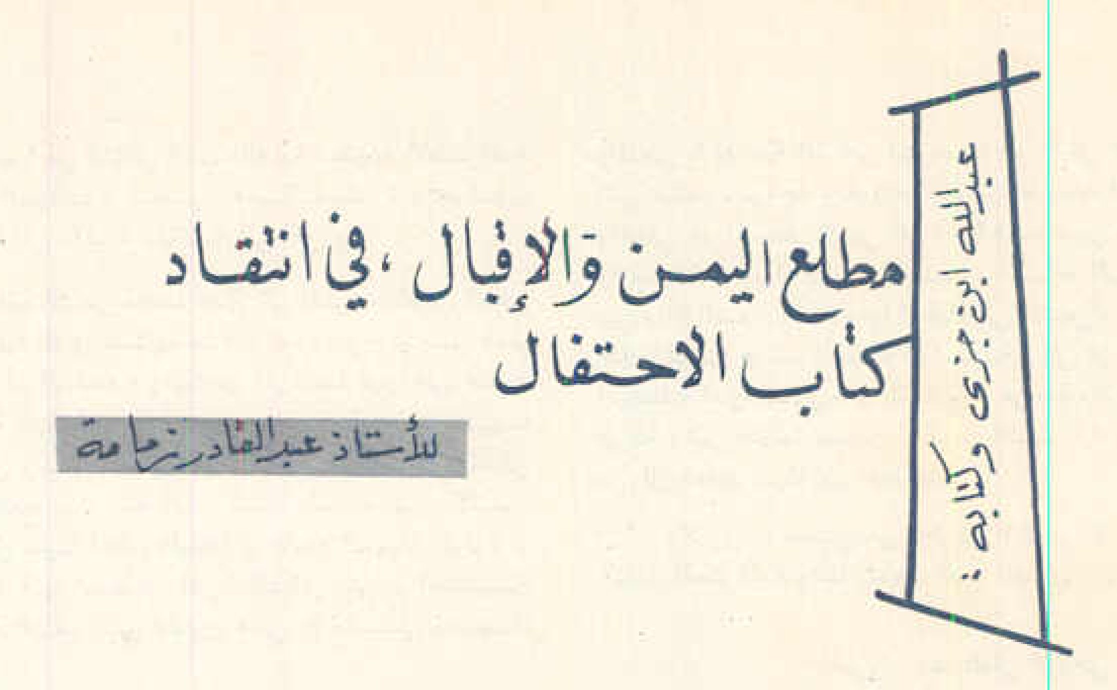
فلغة الشعر عندما تصل الى الطرف المتلقي لاتبقى على حالها الذي تسلمها عليه ، كما خرجت من فم الشاعر او اصابعه ، وانما هو يترجمها فورا الى لغتـه الخاصة بكيفية غريزية . وهي ترجمـة تعمـل فيهـا الحواس وسائر القوى العقلية ، ويرفدها العقل الباطن الذي تطفح بعض مخبآته ، عندما تأخذنا نشوه الشعر، وتشتمل علينا احلام اليقظة فى دنياه الجميلة المؤثرة . فالمسالة فيها تسلسل اذن : الشاعر يترجم احاسيسه الى لغة الشعر التي لاتكون هـي الاحاسيس نفسهـا، والمتلقي ياخذ لغة الشاعر ليترجمها هو الآخر الى لغته التي تتلاءم ومزاجه وتكوينه الفكري وطبيعته الفنية . والمتلقي هو الوسط الادبي كله ، بما فيـه مـن مشارب واتجاهات . وبهذا يمكننا ان نتصور المسافة التي توجد بين مادة الشعر كما تقدمها الحياة الى الشعراء ، وبينها عندما تنتقل هـذه النقلـة الواسعـة ، الى ان تصير استجابة لدى القاريء او السامع . فرحلة مادة الشعر طويلة ، تمر خلالها بمعادن النفوس البشرية ، فتاخـذ من كل معدن شيئا من خصائصه .

واذكر بأن حديثي عن الطرف المتلقـي لا يشمـل الناقد المحترف ، وانما يشمل فقط القاريء الهاوي .

فاس : **عبد العلي الوزاني**

— الـوادي الكريـم —

وقانـا لفحـة الرمضـاء واد
سقاه مضاعـف الغيث العميـم
نزلـنا دوحـه ، فحنـا علينـا
حنـو الوالـدات على الفطيـم
يصـد الشمـس انـى قابلتـه
فيحجبهـا ، ويـاذن للنسيـم
يروع حصـاه حاليـة العذارى
فتلمـس جانـب العقـد النظيم



عنـدمـا التقت الامصار الاسلامية بالاندلسية بعلمائها وادبائها الى غرناطة . بعد أن طاردهم زحـف الغزاة . من الشرق ، والغرب ، والشمال ، اصبح بلاط بني الاحمر فيها حافلا بالوان من العلوم ، والفنـون ، وضروب من المعارف . والثقافات . طيلة النصف الاخير من القرن السابع الهجري والقرنين : الثامن والتاسع ..

ونظرة واعية فى معاجم الاعلام ، تعطينا قائمة طويلة الذيل ، بفحول تالقت اسماؤهم ، واتسعت آفاقهم الفكرية فى علوم : الاصول ، والفقه ، والتفسير ، والفلسفة ، واللغة ، والادب .

وكان المستوى الفكري لهؤلاء ذا ابعاد وانعكاسات نلمسها عند الوزراء ، والكتاب ، والقضاة ، والاساتذة ، والمؤلفين ، والشعراء ، كما نلمسها فى ظاهرة التسلسل الثقافي فى اسر ، وبيوتات غرناطة ، حملت خلفا عن سلف ، لواء النبوغ فى الادب ، والتضلع من العلم ، والتمسك بزمام الجاه ، والحظوة عند الملوك والامراء ..

ولنا فى بيت بني جزي مثال حي ، لاسرة مجيدة. اشتهرت بكرم محتدها العربي ، منذ الفتح الاسلامي ، لصلتها الوثيقة بالقائد حسام بن حزار الكلبي ... وانتسابها بعد ذلك الى ابن جزي القائم بجيان بعد انهيار دولة المرابطين (1) ...

واشتهرت هذه الاسرة بغرناطة بما انجبته من علماء وكتاب نالوا عند الخاصة والعامة مكانا مرموقا .. حتى خصت سيرتهم واسرتهم بالتاليف ..!

وعميد هذه الاسرة فى ايام بني الاحمر هو — ولا شك — الامام ابو القاسم محمد بن احمد بن جزي الكلبي العلم الشهير ، وكان يمثل فى عصره جلال العلم ، ومتانة الدين ، ونبل الخلق ، وسعة المعرفة ، وفصاحة المنطق ، وجودة التاليف .

وقد الف عدة كتب ما زالت ناطقة بفضله وعلمه وحسن ذوقه فى التصنيف ، والتبويب ، والشرح .. واشهرها تفسيره القيم المفيد المسمى : « التسهيل لعلوم التنزيل » (2) وكتاب « القوانين الفقهية » وكتاب « الانوار السنية فى الالفاظ السنية » (3) كما الف كتبا اخرى ذكرت فى ترجمته ..

واشتهر الى جانب جودة تاليفه بفصاحة منطقه حيث كان خطيب المسجد الاعظم بغرناطة .. ومدرسا قديرا جلس لافادة طلبة العلم ، وتخرج على يديه عدة نبغاء اشادوا بفضله وعلمه ..

واختتم حياته الحافلة بشهادة لقي بها ربه يوم معركة « طريف » سنة 741 هـ وقد اشاد المؤرخون بابي القاسم بن جزي حيا وميتا .. وفى مقدمتهم

---

1) انظر ازهار الرياض ج 3 ص 185 .
2) طبع مقتطف من مقدمته بعنوان « القاموس الوجيز للقرءان العزيز » بالمطبعة الجديدة بفاس سنة 1348 هـ .
3) طبع كتاب « القوانين » عدة مرات . اما كتاب « الانوار » فقد طبع بمطبعة السعادة بالقاهرة سنة 1347 هـ .

تلميذه عبقري غرناطة ووزيرها : لسان الدين ابن الخطيب .. فقد قال عنه : « كان جماعة للكتب ملوكي الخزانة » .

ونجد في التراجم الاخرى التي كتبها مؤرخون آخرون مادة خصبة تعطينا طابع شخصيته ونوع معارفه كما تعطينا شيئا من بنات اقلامه .. (4)

وكان لابي القاسم هذا ثلاثة ابناء هم :

1) محمد بن ابي القاسم وهو المكنى بابي عبد الله ..
2) احمد بن ابي القاسم وهو المكنى بابي بكر وبابي جعفر .
3) عبد الله بن ابي القاسم وهو المكنى بابي محمد ..

وقد طارت شهرة هؤلاء الابناء الاعلام في الاندلس لانهم ساروا على نهج والدهم . في سعة العلم ، ومتانة الخلق ، واستقامة السلوك ، وانفرد اولهم وهو ابو عبد الله محمد بن ابي القاسم بالهجرة الى المغرب الاقصى والحظوة عند السلطان ابي عنان المريني في مدينة فاس .. بعد محنة عاناها على يد السلطان ابي الحجاج يوسف ابن الاحمر .. وهو كاتب رحلة ابن بطوطة كما هو معلوم (5) .. وقد اتصل به ابو الوليد ابن الاحمر في مدينة فاس وترجم له في كتابه « نثير الجمان » كما اتصل به لسان الدين ابن الخطيب في نفس المدينة سنة 755 هـ واطلعه على ما كتبه من تاريخ غرناطة .. واعجب ابن الخطيب بما رآه عند ابي عبد الله ابن جزي من هذا التاريخ ... وسجل ذلك في الترجمة التي افردها له في الاحاطة .. واخترمت المنية ابا عبد الله بن جزي شابا لم يبلغ سن الاربعين سنة 757 هـ واقبر بفاس ..! ومن اجل ذلك يذكره المؤرخون في اعلام هذه المدينة

اما اخوه الاول ابو بكر احمد بن ابي القاسم فقد تولى الكتابة في بلاط بني الاحمر ، كما تولى القضاء والخطابة ، وكان شاعرا فحلا مجيدا .. وله الف والده ابو القاسم ابن جزي كتابه اللطيف الممتع المسمى : « الانوار السنية » وقد قال في مقدمته :

« ولما يسر الله على ابني احمد المكنى ابا بكر ابلغ الله فيه الامل . وجعله من اهل العلم والعمل ، حفظ القرآن العظيم . احببت ان يقوم بحظ من حفظ حديث المصطفى الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم .. فجمعت له في هذا الكتاب جملة صالحة من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وقد تأخرت وفاة احمد هذا الى سنة 785 هـ ومن الجدير بالملاحظة ان ابن الخطيب يكنيه في كتابه « الكتيبة » بابي جعفر ... بينما يكنيه ابوه كما قدمنا بابي بكر ، وكذلك المقري في نفح الطيب ، وازهار الرياض (6) ..

واما الاخ الثاني فهو ابو محمد عبد الله بن ابي القاسم (7) فقد اشتهر بمعرفته اللغوية الواسعة وحذقه صناعة التدريس . ونظم الشعر . وتولى خطة القضاء بعدة جهات ... وقد ترجم له كل من الشيخ احمد بابا السوداني في « نيل الابتهاج » والمقري في نفح الطيب ، والترجمتان معا ماخوذتان مما كتبه لسان الدين ابن الخطيب عنه في الاحاطة والكتيبة الكامنة .. والغريب اننا لا نجد لعبد الله هذا تاريخا للميلاد ، ولا تاريخا للوفاة .. وانما نجد ابن الخطيب في الكتيبة الكامنة يختم ترجمته لعبد الله بقوله : « وهو الآن فتى .. بقيد الحياة .. يتولى ما ذكر .. » ومعلوم ان ابن الخطيب كان يكتب الكتيبة سنة 744 هـ على ما يرجح ناشرها .. وتوفي ابن الخطيب سنة 776 هـ .

ويشير ابن الخطيب بقوله : يتولى ما ذكر الى ما كتبه في الترجمة عن صاحبنا هذا ..

« وهو الان بمدرسة الحضرة . يعرب فيغرب فيباهى به على المشرق والمغرب » .

ويلفت نظرنا ما في الترجمتين اللتين سطرهما كل من الشيخ بابا السوداني .. وابي العباس المقري من نعت عبد الله ابن جزي بالمعمر .. كما يلفت نظرنا قائمة شيوخه التي نجد فيها اباه ابا القاسم ، وابا

---

4) انظر « الكتيبة الكامنة » لابن الخطيب ص 46 .. وازهار الرياض ج 3 ص 184 .. وفهرس الفهارس ج 1 ص 224 .. ونفح الطيب ج 3 ص 270 من الطبعة الازهرية . والديباج لابن فرحون ص 295 ؛ وانظر بهامشه نيل الابتهاج ص 238 .
5) انظر ترجمته في ازهار الرياض ج 3 ص 189 .. والاحاطة ج 2 ص 186 .. والكتيبة ص 223 . والنفح ج 3 ص 283 .
6) انظر الدرر الكامنة لابن حجر ج 1 ص 293 . وازهار الرياض ج 3 ص 184 .. ونفح الطيب ج 3 ص 273 . والاحاطة ج 1 ص 163 . والكتيبة ص 138 والمراقبة العليا للنباهي ص 177 .
7) نيل الابتهاج ص 154 . والنفح ج 3 ص 298 والكتيبة ص 96 .

البركات ابن الحاج ، والشريف السبتي ، وابا سعيد ابن لب ، والمقري ، وابن شبرين ، وابن الجياب وكلهم من اعلام ذلك العصر الذين تجاوزت شهرتهم الاندلس الى اقطار المغرب والمشرق ..

وقد حاولنا ان نعثر على معلومات اخرى عن عبد الله ابن جزي عند ابي الوليد ابن الاحمر فى نثر الجمان .. فوجدناه لم يعرج عليه ، فى حين ترجم لكل من اخويه : ابي عبد الله محمد وابي بكر احمد .. وكذلك القاضي ابو الحسن النباهي لم يعرج على صاحبنا هذا وانما ذكر اخاه ابا جعفر وابا بكر — ايضا — عرضا ..

اما ابن القاضي فى (درة الحجال) فقد ذكر خمسة من بني جزي ليس فيهم عبد الله ..!! مع شيء من التخليط والايهام ..!!

بعد هذه الجولات فى المعاجم نرجع الى مخطوطة :

مطلع اليمن واقبال فى انتقاء كتاب

« الاحتفـــال »

هذه مخطوطة طريفة الموضوع ، انيقة الاسلوب ، من تراث الفردوس المفقود ، الفت فى القرن الثامن الهجري ، بقلم علم من اعلام اللغة والبيان فى دولة بني الاحمر بغرناطة ..

والموضوع الذي تتناوله هذه المخطوطة ، هو موضوع الخيل وما اليها ، من اوصاف ، وشيات ، ومحاسن ، ومعايب ، وما قيل فيها من شعر عند الجاهليين والاسلاميين وبعض الاندلسيين ..

واهمية الموضوع عند مؤلفنا هذا وغيره من المؤلفين الشرقيين والاندلسيين ، ترجع الى ان الخيل كانت هي الوسيلة والاداة فى ميادين الغزو والجهاد والذب عن الحمى والدفاع عن الحوزة ..

وهذا الموضوع تتجاذبه: البيطرة ، واللغة ، والادب والفروسية ، والتاريخ ، ولهذا نجد فى مخطوطتنا هذه، وفى كتب اخرى مثل كتاب ابي الحسن علي بن عبد الرحمن ابن هذيل الاندلسي الغرناطي اشياء كثيرة من هذا القبيل هنا وهناك ... بالاضافة الى ما يسمى « بالخصائص » وهي مجموعة من العادات والتجارب فيها بعض الحقائق العلمية ، والخرافات الاسطورية المتوارثة جيلا عن جيل ...

ومخطوطتنا كما يبدو من اسمها ليست الا « انتقاد » من كتاب آخر هو الاصل الذي انتقى منه مؤلفنا كتابه : « مطلع اليمن والاقبال » وقد ذكر ذلك فى هذه السطور : « واقول اولا . ان مؤلف كتاب (الاحتفال) هو الفقيه الاديب اللغوي ابو عبد الله محمد ابن رضوان ابن ارقم من وجوه وادي آش واعيانها ، الفه وجمعه للمقام العلي الظاهر السني مقام السلطان الكبير الشهير ، عز الاسلام ، وفخر الليالي والايام امير المسلمين الغالب » .

والغالب بالله هذا هو مؤسس دولة بني الاحمر فى غرناطة وهو جد ملوكها ..

اما ابن ارقم مؤلف كتاب « الاحتفال » فقد ترجم له لسان الدين ابن الخطيب فى الاحاطة .. وقال عن كتابه هذا : « الف كتابا سماه : الاحتفال فى استفاد ما للخيل من الاحوال — وهو كتاب ضخم وقفت عليه» (8) ثم ذكر وفاته سنة 657 ه .

ولم يقدم صاحب مخطوطتنا لهذه على انتقاد كتاب الاحتفال الا بامر ورغبة من امير المسلمين ابي عبد الله محمد بن ابي الحجاج الغني بالله الذي تولى عرش غرناطة اولا من سنة 755 ه الى سنة 760 ه . وثانيا من سنة 763 الى سنة 793 ه .. ويقول فى المقدمة :

« فرأى — ايده الله — برايه السديد ونظره الرشيد ان انتقى له من الكتاب ما يخف فى المطالعة ، ويحسن عند المذاكرة والمراجعة » .

ولكن من هو مؤلف كتابنا هذا ...؟

فالمخطوطة تنسبه لابن جزي .. وقد رأينا فى عرضنا السابق اربعة اعلام كلهم مؤلف ، وكلهم اتصل ببني الاحمر وكلهم اشتهر بابن جزي : الاب والابناء الثلاثة .. فى عصرهم وبعد عصرهم ... والمصادر التي ترجمت لهم لم تعرج على اسم هذا الكتاب ولم تنسبه لاحد ..!

فلم يبق امامنا الا الرجوع الى قراءة المخطوطة نفسها علنا نجد فيها ما يلقي على مؤلفها بعض الاضواء تجلو الحقيقة .. وتفصح عن المراد ...

وبعد قراءة المخطوطة تبين لنا ان المؤلف هو عبد الله بن ابي القاسم ابن جزي . الذي نجهل تاريخ وفاته . كما نجهل تاريخ ميلاده كما قدمنا ..

8) الاحاطة ج 2 ص 100 من الطبعة الاولى

والدليل على ذلك ان لسان الدين ابن الخطيب يذكر ترجمة عبد الله ابن جزي في الكتيبة الكامنة قطعا شعرية منها هذان البيتان في التورية بالعدد :

ياناصبا علم الحساب حبالة
لقنص ظبي ساحر الالباب

ان كنت ترزق بالحساب وصاله
فالله يرزقنا بغير حساب

ونجد البيتين المذكورين مرويين في كتاب مطلع اليمن والاقبال . يذكرهما المؤلف على انهما من نظمه الذي يمثل به التلميح .. مع ذكر المناسبة التي قيلا فيها ..

والناحية اللغوية في الكتاب تدل على ان مؤلفه جدير بسجعات ابن الخطيب ..

«ان ذكر النحو ازرى بحفاظ بصرته .. وسل على كافة الكوفيين صوارم نصرته .. او ذكر البيان انسى الخبر العيان » .

ومن مقدمة الكتاب ندرك ان عبد الله ابن جزي كان من خدام دولة بني الاحمر .. ومن المقربين الى ثامن ملوكهم محمد بن يوسف الملقب بالغني بالله .. الذي رفع لمقامه هذا الكتاب تنويها بمكانته في الغزو والجهاد .!

ونحن نعلم ان الغني هو مخدوم ابن الخطيب وقد اشرنا سلفا الى المدة التي جلس فيها على عرش غرناطة في فترتين تفصل بينهما ايام النفي في المغرب التي استمرت ما يقرب من ثلاث سنوات ...

والكتاب الف في الفترة الثانية بعد الفتك بابن الخطيب سنة 776 هـ ودليلنا على ذلك ان المؤلف ينوه بالغني بالله ويقول في حقه :

« الم تر الى ملوك المغرب على ضخامة ملكهم .. واتساع اقطارهم ، وتكاثر جنودهم .. انما هم في كنف رادايته وفي حمى ايالته . ومن انخلع عنه فبمقتضى حكم العزيز واشارته ، فهم لطاعته الواجبة مذعنون وبايادبه الكريمة معترفون .. »

وهذا بالضبط ما وقع قبيل مقتل ابن الخطيب وبعده ، من الاحداث السياسية التي جعلت ابن الاحمر يتدخل في السياسة المرينية تدخلا سافرا مكشوفا ..!

وقد ذكر المؤلف عبد الله ابن جزي في مقدمة كتابه هذا فذلكة تاريخية عن ملوك بني الاحمر واعمالهم وذكر الى جانب كل ملك منهم وزيره وكاتبه ، حتى اذا وصل الى الغني بالله سكت ! ولم يعرج لا على ابن الخطيب ولا على غيره ..! لئلا يثير الضغائن والدفائن.!

وفي خاتمة الكتاب نجد عبد الله ابن جزي يحل لنا طرفا من العقدة المتعلقة بمؤلف كتاب « حلية الفرسان وشعار الشجعان (9) » وهو علي بن عبد الرحمن ابن هذيل ، وهذا المؤلف لا نعلم له لحد الآن ترجمة مفصلة ... غير ان مؤلفنا هذا يعطينا عند هذه المعلومات التي ننقلها في هذه السطور :

« واما ما يرجع الى دواء الخيل وعلاجها ، اخلاطها ومزاجها ، فذلك امر خارج عن مقصدنا نازح عن معتمدنا ... انما محل ذلك علم البيطرة وهو علم طب الخيل كما ان البيزرة علم طب البزاة .. وقد وقد وقفت في البيطرة على تاليف نبيل رفعه للمقام العلي المحمدي النصري اسماه الله تعالى صنيعة احسانه الفقيه الاديب الحسيب ابو الحسن علي ابن هذيل .. وهو من اقبل من قرا العلم علي واستفاد الادب بين يدي . من وجوه الحضرة واعيان البلدة » .

فابو الحسن ابن هذيل من تلاميذ ابن جزي ومن المقربين الى الغني بالله ابن الاحمر وله الف كتاب البيطرة .. ويقول مخرج كتاب حلية الفرسان ، ان هذا الكتاب يسمى : « الفوائد المسطرة في علم البيطرة » وانه طبع بمدريد سنة 1935 م (10) ..!!

ولكن مخرج الكتاب يزيدنا معلومات عن الملك الذي الف له ابن هذيل كتابه حلية الفرسان فيصحح انه هو ابو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد وهو الملك الحادي عشر ... من ملوك بني الاحمر .!.!

وهذا لا يصح لان ابا الحسن ابن هذيل يصرح في مقدمة كتابه انه الفه للغني بالله ... وهو الملك الثامن ... من ملوك بني الاحمر ..

(9) طبع في سلسلة ذخائر العرب بدار المعارف بمصر رقم 6 وعني باخراجه محمد عبد الغني حسن .
(10) انظر ص 17 .

ولقد افادنا ابن جزي فى النص الذي نقلنا عنه آنفا معلومات لا باس بها فى الكشف عن شخصية ابن هذيل وعن الملك الذي الف له كتابه فى البيطرة . . .

وبذلك لا يبقى مجال للفروض التي افترضها الاستاذ محمد عبد الغني حسن الذي كتب مقدمة (حلية الفرسان) . اما بخصوص وصف هذه المخطوطة وما تشتمل عليه ابوابها وفصولها من اوصاف الخيل وشياتها ومحاسنها ومساوئها .. فهو ما نجمله فيما ياتي :

هذه المخطوطة اتحفني بالاطلاع عليها الاخ الباحث السيد حماد بوعياد .. وهي مكتوبة بخط مغربي جميل ملون مسطرتها 20 ومقياسها 300 — 220 وقع الفراغ من كتابتها فى الحادي عشر من ربيع الثاني سنة 1182 هـ .

وتشمل على ما يقرب من مائة صفحة وعشرين بابا مع مقدمة تاريخية ، وخاتمة ادبية تاريخية . . .

وقد شحن المؤلف ابواب الكتاب بشرح كل ما يتعلق باسماء الخيل وصفاتها وما قيل فى ذلك من شعر ونثر ولا يفتأ يناقش ائمة اللغة فى كل دقيقة وجليلة كما يناقش ابن ارقم مؤلف كتاب الاحتفال مما يدل على ان المؤلف لم يكن ملخصا ولا منتقيا فقط بل كان ايضا باحثا ضليعا . . .

ولعلنا سنتمكن من تقديم بعض الفصول من هذه المخطوطة مع دراسة نقدية فى مناسبة اخرى . . .

فاس : **عبد القادر زمامة .**

— خطر النميمة والكذب على المجتمع —

قال ابن حزم : « ما هلكت الدول ، ولا انتقضت الممالك ، ولا سفكت الدماء ظلما ، ولا هتكت الاستار ، بغير النمائم والكذب ، ولا اكدت البغضاء الا بهما ، ثم لا يحظى صاحبهما الا بالمقت والخزي والذل ! . »

ابن الازرق : بدائع السلك

نظرات في ديوان أبي حيان الغرناطي

للأستاذ سعيد أعراب

منذ مدة ، زرت مكتبة وزان ، الحافلة بالاعلاق والنفائس . هذه المكتبة التاريخية التي انفق في تأسيسها المولى عبد الله الشريف ، كل غال ونفيس ، والتي سلخ بين احضانها الشيخ الرهوني ، شطرا كبيرا من حياته ، فطلع على الناس بمؤلفات ، بعد العهد بمثلها في التحرير والتحقيق ، وارجاع النصوص الى اصولها .. وكان الشاعر الرقيق ابو حامد المساري يتردد اليها ويكرع من مناهلها ، وله فيها قصائد رائعة :

قال يصف بعض ذخائرها :

رأت مقلتي ابهى الحلى والقلائد

ووسم تهود في غوان خرائد

وازهى رياض واختلاف صنوفه

وكل كمال في جميع المشاهد

ولا مثل قاموس ونسخة متنه

بوزان ...

هذه المكتبة التي تعيش اليوم في غربة ووحشة ، وقد تراكم الغبار عليها ، وعملت الرطوبة فيها عملها ، وهي عبارة عن مستودع ، لا نوافذ ولا هواء ، ولا انارة ولا مناضد ، ولا رفوف منتظمة ولا مقاعد ، ولا ولا ...

ومع ذلك فلا انسى ما غمرني به سدنة هذا البيت من لطف ، وما قدموه الي من عون ومساعدة ، مما كان يخفف علي كثيرا من العناء ، وكم شاركوني الاسى والحسرة ، على الحالة التي تعيشها مكتباتنا في المساجد والزوايا ! .. وارجو ان تتاح لي الفرصة للحديث عن الاصول والنوادر التي توجد مبعثرة بين زوايا هذه المكتبة : « وفي الزوايا خبايا » .

ومن هذه النوادر – ديوان ابي حيان الغرناطي ، وهي نسخة فريدة ، لا نعلم لها ثانية في مكتبات العالم . سجلت تحت عدد 492 ، وهي مكتوبة بخط شرقي واضح ، كثير التصحيف والتحريف ، تقع في 180 صفحة من القطع المتوسط .

ويضم هذا الديوان نحو الفين وثمانمائة وخمسة وثلاثين بيتا ، في موضوعات شتى ، ما بين وصف ومدح ، وفخر وهجو ، وغزل ورثاء ، واول ملاحظة نسجلها في مقدمة الحديث عن هذا الديوان – ان النسخة التي بين ايدينا الان لا تضم من شعر ابي حيان ، الا ما نظمه وهو في بلاد الشرق ، اذا استثنينا قصيدة او قصيدتين . واكثر هذا الشعر لا يرتفع الى درجة الجيد .

على ان جامع هذا الديوان – وهو بعض تلاميذ ابي حيان – قد فاته الكثير من الشعر الذي قاله ابو حيان وهو بالمشرق ، ومن ذلك موشحته التي عارض بها موشح ابن التلمساني ، على ما سنذكره بعد .

وابو حيان – كما نعلم – ولد بغرناطة (1) ، وبها نشأ وترعرع . سلخ شطرا من حياته في ربوع الاندلس – وهو في شبابه الغض – يتنقل بين بساتينها الفيحاء ، وجناتها الغناء ، وينعم بقصورها الشماء ، وكان لطبيعة الاندلس ، الزاخرة بمفاتن الحياة – اثر واضح في طبع ابنائها على حب الادب ، والتغني بأهازيج الشعر ، حتى انك لا تكاد تجد اديبا منهم لم يقل شعرا

---

1) كتبت بحثا عن حياة ابي حيان ، نشر بمجلة البحث العلمي ص 241 العدد الثالث السنة الاولى .

وابو حيان الى كونه عالما موسوعيا : نحويا لغويا مفسرا محدثا ، مقرئا مؤرخا ـ اديب مقتدر ، وشاعر مكثر . قال الشعر منذ الحداثة ، وشعره فيه الجيد وغير الجيد ، ولعل ذلك يرجع الى اختلاف الظروف والمناسبات ، التي عاشها ابو حيان ، وعالج فيها القريض فالشعر الذي قاله زمن الصبا وايام الفتوة ، غير الذي قاله ايام الكهولة والشيخوخة .

ولذلك نستطيع ان نجعل حياته حسب شعره ـ ثلاثة اطوار : احدها طور الصبا ، وينتهي سنة 677 هـ ـ وهي السنة التي غادر فيها الاندلس الى المشرق .

والثاني طور الشبية ، وينتهي في حدود سنة 691 هـ . وفي هذا الطور زار الحبشة ، وبعض اقطار العجم ، واكثر البلاد العربية ، وانتهى به المطاف الى القاهرة .

والثالث طور الكهولة والشيخوخة ، وينتهي بموته سنة (745 هـ) قضى هذا الطور ، او جله في مصر .

اما شعره في الطور الاول فأكثره قد ضاع ، ولعل من اوائل شعره قوله :

لأكل الشعير واقتناء المعارف
الذ من السلوى ولبس المطارف
واني لمستغن بعلم جمعته
وهيهات ما يغني تليد وطارف

ويجب ان لا ننسى ـ ونحن نتحدث عن ابي حيان في طور صباه ـ نبوغه المبكر ، الذي لفت نظر معاصريه، واضطر الشيوخ الى الاخذ عنه على صغر سنه ، وقد حاول بعض منافسيه النيل منه ، وكانهم استصغروا شانه ، فدخل معهم في حرب كلامية ، بساعد اقوى ، وسلاح احد ! قال يصور بعض جوانب هذه المعركة :

ما لليراعة لا ربعت بحادثة
استعجمت ولحبري الان قد جمسا
وللقوافي قفت مالي فلا ادب
يملي ولا نشب يريح مبتئسا
فصفحة الطرس من دري معطلة
ووسم جودى اذا قلت قد درسا
وقد ذوت زهرات الشعر وا اسفا
لما غدا ماء فكري غائرا يبسا
كأنني لم اعمر منتدى ادب
ولم اجل للصبا في حلبة فرسا

* * *

اعجب به من خطيب ماهر ندس
ان قست قسا به تخاله ودسا
بل العجاب مقامي بين ذي وحر
وحاسد بسوى الاعراض ما نبسا
قوم اذا غبت قالوا ما يليق بهم
وان حضرت تراهم خشعا نكسا
ما كان ضرهم لو انصفوا رجلا
ما قام وهنا على هجر ولا هجسا
اما دروا انني لو شئت افضحهم
بمفضحات وان ابصرتها خرسا
من كل شاذرة عذراء ناهدة
يكون اعداؤها لهم لها عرسا
وكل فاضحة للظهر قاصمة
ترد من كان جذلانا حليف اسى !

ومن اول شعره في الغزل قوله :

لا تعذلاه فما ذو الحب معذول
والعقل مختبل والقلب متبول
هزت له اسمرا من خوط قامتها
فما انثنى القلب الا وهو مقتول
جميلة فصل الحسن البديع لها
فكم لها جمل منه وتفصيل
فالنحر مرمرة والنشر عنبرة
والثغر جوهرة والريق معسول
والطرف ذو غنج والعرف ذو ارج
والخصر مختطف والمتن مجدول ...

وشعره في هذا الطور واضح التقليد ، بادي التكلف ، تنقصه متانة اللفظ ، وصقالة الاسلوب ، على انه لا تخلو بعض قصائده من الجودة ، كما نجد ذلك في القصيدة التي مدح بها صاحب غرناطة وطائفة من

اشياخه ، وقد استهلها بمدح النحو والخليل ، وسيبويه . يقول في مطلعها :

هو العلم لا كالعلم شيء تراوده
لقد فاز باغيه وانجح قاصده

اما شعره في الطور الثاني والثالث – فتبدو فيه الصنعة ، وقد هذبته الدربة ، وصقلته الحنكة والتجربة . واكثر شعر ابي حيان في الطور الثاني – الغزل ، وشاعرنا كان منذ صباه ميالا الى اشعار الغزل ، تستبد بعواطفه ، وتملك عليه حواسه ومشاعره ! . كما يقول هو عن نفسه .

اذن فلا عجب ان يقول ابو حيان في الغزل ، او يكثر من شعر الغزل ، وربما شغل نحو النصف من ديوانه .

ومن اروع ما له في هذا الباب ، موشح عارض به ابن التلمساني ، وهذه صورته كما اوردها المقري في النفح (1) :

عاذلي في الاهيف الآنس
لو رءاه الآن قد عذرا

رشأ قد زانه الحور
غصن من فوقه قمر
قمر من سجبه الشعر
ثغر من فيه ام درر

حال بين الدر واللعس
خمرة من ذاقها سكرا

رجة بالردف ام كسل
ريقة بالثغر ام عسل
وردة بالخد ام خجل
كحل بالعين ام كحل

يا لها من اعين نعس
جلبت للناظر السهرا

مذ نأى عن مقلتي سني
ما اذيقا لذة الوسن

طال ما القاه من شجن
عجبا ضدان في بدن

بفؤادي جذوة القبس
وبعيني الماء منفجرا

قد اتاني الله بالفرج
اذ دنا مني ابو الفرج
قمر قد حل في المهج
كيف لا يخشى من الوهج

غيره لو صابه نفسي
ظنه من حره شررا

نصب العينين لي شركا
فاتني والقلب قد ملكا
قمر اضحى له فلكا

قال لي يوما وقد ضحكا :

اتجي من ارض اندلس
نحو مصر تعشق القمرا

* * *

وهذا القفل الاخير (الخرجة) – معرب بنفسه على انه مما قاله ابو حيان وهو بمصر .

ومعلوم ان ما جاء من الموشحات على اوزان العرب ، يعتبره ارباب الصنعة مرذولا . وموشح شاعرنا من بحر الرمل ، ولعل اختلاف قوافي قفله مما يشفع له . كما في قول ابن زهر :

ايها الساقي اليك المشتكى
قد دعوناك وان لم تسمع

وقول ابن بقي القرطبي :

عبث الشوق بقلبي فاشتكى
الم الوجد فلبت ادمعي

ومن هذا القبيل موشح ابن الخطيب المشهور :

جادك الغيث اذا الغيث همى
يا زمان الوصل بالاندلس

(1) ج 3 ص 310 .

كما يستحسن عندهم اللحن في الخرجة ، وليس هو شرطا كما زعم سنا الملك في كتابه « دار الطراز » .
وابو حيان الذي لا يعرف اللحن ، وكان ـ كما قيل ـ لا يلحن احدا ـ ربما اكتفى بكلمة غزلية خلابة، بينها وبين الصبابة قرابة ، مثل قول القائل :

ليـــل طويـــل ومـــا معيـــن
يا قلب بعض الناس اما تليـن ؟

وكما في قول شاعرنا :

اتجي مـــن ارض اندلـــس
نحـو مصـر تعشـق القمـــرا

وقد قيل : من اراد ان يقول هكذا فليعرب ، والا فليغـــرب .

وابو حيان فنان مبدع في صناعة الموشحات ، وله في ذلك شعر كثير .

والغريب ان الديوان الذي بين ايدينا خال بالمرة من شعر الموشحات ولذا اوردنا هذا الموشح كنموذج لهذا اللون من شعره الرفيع .

وبنظرة عابرة عن ديوان ابـي حيـان ، نجـد ان شاعرنا فتن بحب السود ، وقد افتتن في وصف محاسنهن، وفضلهن على الغواني البيض، وله فلسفة غريبة في ذلك:

لنا غرام شديـد في هـوى الســود
نختارهن على بيض الطلا الغيـد
لون به اشرقت ابصارنـا وحكـى
في اللون والعرف نفح المسك والعود
لا شيء احسن مـن عـاج تركبـه
في ابنـوس ولا اشفـى لمبـرود
لا تهـو بيضـاء واسم الـى
سوداء حسناء لون الاعيـن السـود
في جيدهـا غيـد في قدهـا ميـد
في خدهـا صيـد من سادة صيـد
من ءال حام حمت قلبي بنار جوى
من هجرها وابتلت عيني بتسهيـد !

* * *

علقتـه سبجـي اللـون فاحمـه
ما ابيض منه سوى ثغر حكى الدررا
قد صاغه من ســواد العيـن خالقـه
فكـل عين اليـه تدمـن النظـــرا
كأنمـــا هـــو مـــرءاة تقابلـــه
من الورى نفس قد اودعت صـورا
تلك التي لو غدت في الحسن مشرقة
لفاقت النيرين الشمـس والقمـــرا
تقسمـت لونـه الابصـار والهـة
في حسنـه فـاذا انسانهـا بصـــرا
لولا ســواد بها منـه لمـا نظـــرت
ولم يكن عاشق بالعين قـد سحـــرا

* * *

جننت بهـا ســوداء لـون وناظـــر
وبا طالما كان الجنـون بســوداء
وشاهدت معنى الحسن فيها مجسدا
فاعجب لمعنى صار جوهـر اشيـاء
اطاعنـــة من قدهـــا بمثقـــف
اصابت وما اغنى الفتى بسر حصداء
لقد طعنت والقلب ساه ومـــا درى
ابا لقد منها ام بصعدة سمـــراء (1)

وقد يتناقض الشاعر مـع نفسه ، فيـذم الســواد ، ويهجو السـود :

اذا مــال الفتـى للســود يومـــا
فـــلا رأي لديـــه ولا رشـــاد
أتهـوى خنفســـاء كـأن زفتـا
كسا جلدا لهـا وهـو الســـواد
وما البيضـاء الا الشمـس لاحـت
تـيـر العيـن منهـا والفـــؤاد
سبيكـة فضـة حشيت بـــورد
يلـذ الـهـد معهـا والرقـــاد
وجنـة المومنيـن بهـا ابيضــاض
ووجه الكافريـن بـه اســوداد .

وذلك من تفننه وتلاعبه بالالفاظ ، واقتداره على توليد المعاني والصور ..

---

1) وهذه القصيدة لا وجود لها في الديوان . انظر النفـح ج 3 ص 325 .

« مدح وذم وعين الشيء واحدة »

كما نجد ان شاعرنا مغرم بجمال الترك ، ماخوذ بمحاسنه ومفاتنه ، وليس في الدنيا حسن يضاهيه او يدانيه :

هو الحسن حسن الترك يسبي الورى لطفا
ويعطف سالي القلب نحو الهوى لطفا

* * *

كنت قدما عاشقا في عرب
وانا اليوم محب في اسن

* * *

وصورة حسن لو تبدت لراهب
لأنسته ما في هيكل ومصاحف

غريبة حسن بدعة في جمالها
لطيفة معنى منه كل اللطائف

وما كنت ادري ان للشمس ضرة
الى ان رأيت الشمس ذات السوالف

واذا كان من عيب في حسان الترك ، فهو صغر اعينهن . ولكن شاعرنا يرى ان ذلك مما يزيد في جمالهن ، ويرمز الى تمنعهن وبخلهن :

بروحي التي زارت بليل واقبلت
تجر على آثارها العصب والوشيا

هداها سناها نحو طاو ضلوعه
على سلوة ماتت ووجد بها حيا

تحلت ببدر فوق لبات نحرها
فكان لذاك الدر لباتها حليا

من الترك ضاق العين منها لبخلها
وليست من العين التي تشبه الظبيا .

* * *

قد سباني من بني الترك رشا
جوهري الثغر مسكي النفس

قد حكى غصنا وبدرا ونقا
في ارتجاج وابلاج وميس

ضيق العينين تركيهما
واسع الوجنة جزي المجس .

وقد نعجب اذ نراه تعاوده ذكريات هذ الحب ، وهو في شيخوخته وهرمه، وقد شاب فؤده، ويبس عوده!

وبي من الترك ما لو كنت اذكره
لأصبح الدهر من ذكراه مختالا

كان هذا وريعان الشباب لنا
غض وطرف الصبا في حلبة جالا

* * *

يا صبوة قد اتتني آخر العمر
تذكر القلب ما قد كان في الصغر !

ونجد لابي حيان شعرا كثيرا في التغزل بالغلمان، وخصوصا ذوي الحرف منهم .

قال في نوتي :

كلفت بنوتي كأن قوامه
اذا ينثني خوط من البان ناعم

مجاذفه في كل قلب مجاذب
وهزاته للعاشقين هزائم

وقال في نشابي :

فتنت بنشابي اختار شغله
بصنعته خوف العيون النواظر

نظرت اليه وهو ينحت اسهما
فخفت كأن قلبي له قلب طائر

وقد كنت لا اقوى لسهم لحاظه
فكيف لنشاب وسهم المحاجر .

والتغزل بالمذكر طريقة معروفة عند اهل الاندلس ، ولكن ليس الغرض منها الميل الى الغلمان، وانما هي معرض للنقل والتصوير ، واختراع المعاني والتعليل .. والا فابو حيان ، من الصيانة والدين بمكان، لا يرتقى اليه الشك والارتياب ! .

واما شعره في الطور الثالث ـ فهو لون آخر من الوان شعره ، وصفحة جديدة من حياته ، وباب مهم في ديوانه . نترك الحديث عنه الى عدد آخر بحول الله

تطوان : سعيد اعراب

من الأعلام المغمورين

شيخ الرواة والعلماء أبو عمرو بن العلاء 70 - 154 هـ

للأستاذ محمد عبد الملك الكتاني

تناولت اقلام الكتاب من الباحثين والادباء ، في عصرنا ، جل اعلام الفكر الاسلامي ورجال الحركات العلمية والادبية والاصلاحية ، ولا سيما اعلام الصدر الاول من عصور الاسلام ، اما بالدراسات الموسعة واما بالترجمة والتعريف ، بحيث اصبح ما يكتب عن بعضها احيانا حديثا معادا وكلاما مكررا ، بينما بعض اولئك الاعلام البارزين في حياتنا العلمية مغمورا هملا لا تكاد تلتفت اليه اقلام هؤلاء الباحثين .

وعلى راس هؤلاء الاعلام المغمورين الذين لا يعرف عنهم الناس اكثر من اسمائهم المدوية امام القراء والرواية واللغة والادب ابو عمرو بن العلاء . وفي البحث التالي ما يشبه ازاحة الستار عن هذه الشخصية القوية والعبقرية المنسية (1) .

1 — الرجل

كان ابو عمرو بن العلاء احد القراء السبعة ورواة الادب واللغة . وكان استاذ جيل من العلماء يعتبرون ائمة العصر العباسي الاول في الادب واللغة والنحو ، وكان بمثابة بحيرة انتهت اليها روافد كثيرة تفاضت على ما حولها خصبا وريعا . واجمل ما تحلى به الرجل انه كان صاحب سنة وراوية ثقة ، وعلى الرغم مما قيل في ذلك العصر ورجاله من الوان التجريح ، وما ساده من خلط وانتحال وتحريف ظل ابو عمرو ارجح وزنا وازكى ضميرا واشرق تاريخا في اطار الرواية .

2 — عصره

عاش ابو عمرو بن العلاء في الربع الاخير من القرن الاول الهجري ، والنصف الاول من القرن الثاني ، وهي فترة من تاريخ العرب والاسلام ملأتها الاحداث والتقلبات من الناحية السياسية كما شهدت البواكير الاولى للاتصال بين العرب وغيرهم من الاعاجم ، هذه البواكير التي تمثلت في نشأة كثير من العلوم وتطور كثير من المفاهيم ، وظهور عدد من التيارات الادبية المختلفة .

ومن واجب الباحث في حياة ابي عمرو وبيان ما له من فضل على الادب العربي بالنسبة لتلك الفترة

---

1) لا نعلم ان ابا عمرو حظي من اقلام المترجمين والكتاب في القديم والحديث بكتاب او دراسة غير ما كتبه ابو بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة 335هـ وهو كتاب « اخبار ابي عمرو بن العلاء » « كشف الظنون » .

ان ينظر الى الرجل من خلال عصره وبيئته ليرى الى اي حد استجاب الرجل لرسالة عظيمة كان يضطلع بها ذلك العصر ، وينهض بها لخير اللغة العربية وحفظ تراثها علماؤه ورجاله ، وكيف كان ابو عمرو بن العلاء رائدا عظيما من روادها .

3 ـ في الحياة السياسية

ولد ابو عمرو بن العلاء في الوقت الذي كان فيه الزبيريون يوسعون نفوذهم في العراق بعد استيلائهم على الحجاز اذا اخذنا بالرواية التي تجعل ولادته سنة 65 هجرية ، وكان الخليفة عبد الملك بن مروان ينفخ في دولة بني مروان روحا جديدة بعد ان كان بنيانها يتداعى تحت ضربات الثورات الداخلية وانقسام العرب على انفسهم . ولكن الخلافة الاموية استعادت كل قوتها بفضل الخليفة عبد الملك الذي ترك لابنائه الوليد وسليمان ويزيد وهشام دولة قوية موطدة الاركان .

كل هذه الاحداث بين الدولة وخصومها في الداخل اي بين العرب فيما بينهم على مسرح الحجاز والشام والعراق لم تؤثر في حياة الرجل بشكل مباشر ، لانه لم يكن رجل دولة او سياسة او مغامرة ، وانما كانت تعكس على حياة بيئته المحلية احداثا خاصة ولاسيما البصرة التي عاش فيها . ففي البصرة كانت الجماهير الكادحة من الاعاجم اي الفرس والنبط وغيرهم تؤلف قوة تقاوم السلطان العربي يقودها ابن الاشعث الى ان جاء الحجاج ابن يوسف سنة 75 هـ فاخضعهم لسلطان بني امية .

وفي مستهل القرن الثاني الهجري تبدا الدعوة السرية الهاشمية ، فتصبح الكوفة في العراق وكرا لنشاط الدعوة . وبما ان بني تميم كانوا ظهيرا لبني امية في البصرة ، وكانت البصرة تنافس الكوفة ، ورات ظهور امر العباسيين فان التميميين انقلبوا حزبا معارضا للعباسيين بعد ان كانوا قوة يخشى جانبها من طرف بني امية . هذا الصراع بين بني امية وبين بعض القبائل والاحزاب من جهة ، وبين دعوة العباسيين من جهة ثانية ، ثم قضاء هؤلاء على دولة المروانيين ، وقيام الخلافة العباسية في الكوفة ، ثم بناؤهم عاصمة بغداد وتحول الدولة اليها ، كل تلك الاحداث عاشها ابو عمرو بن العلا كاي فرد عربي او تميمي من البصرة ، تلفحه بنارها بالرغم من كونه لم يكن من الذين يخوضون غمار السياسة ويجدون وراء سرابها . وقد ذكر الزبيدي ، ان الحجاج اخافه ، فكان يستتر ، وخرج في الغلس يريد التنقل من الموضع الذي كان فيه الى غيره (1) . ولاشك انه كان يتجاوز العشرين من عمره، لانه روي عنه في هذه الحادثة بالذات انه سمع امراة عجوزا تقول مات الحجاج ، والحجاج مات سنة 95 هـ

4 ـ في الحياة الاجتماعية

نحصر الحديث عن الحياة الاجتماعية في النطاق الذي عاش فيه ابو عمرو بن العلاء لانه وحده يتصل بموضوعنا . وهذا النطاق هو الحجاز والعراق ، ولاسيما البصرة ، هذه المدينة التي قضى بها معظم حياته .

لقد شهد المجتمع الاسلامي في اواخر القرن الاول الهجري واوائل القرن الثاني تطورا عظيما تغيرت بسببه اوضاع الحياة العربية ، وازدادت تعقيدا ؛ واهم مظهر لهذا التطور انتقال المجتمع الاسلامي من طور اشبه بالبداوة الى طور اعلق باسباب الحضارة، وفيه قامت الخلافة العباسية ، فازداد العنصر العربي التحاما بالعنصر الفارسي ، واغراقا في الحضارة . وفي البصرة كان يتجلى ذلك اكثر مما في اي مصر آخر . فكان فيها العرب وهم الذين يمثلون الطبقة الحاكمة المترفة . وكان فيها الانباط والفرس والزط الذين جاءوها من الهند والسند وفارس ، وكان هؤلاء يمثلون الجماهير الشعبية او القطاع الوطني القديم (2) وكان هؤلاء واولئك يعيشون حياة معقدة فيها من مظاهر الحياة القديمة ومظاهر الحياة الجديدة اشكال متداخلة شديدة التعقيد . ولم يستطع المسلمون الذين عمروها

---

1) طبقات النحاة واللغويين ص 28—29 ـ وانظر ايضا : الوفيات ج 3—137 .

2) ناخذ بالراي الذي يذهب الى ان البصرة كانت بلدا قديما تعاقبت عليه الغزوات والاسماء من (باصرا) الكلدانية الى (بيسي راه) الفارسية الى (البصرة) العربية ، وان تمصيرها على يد عتبة ابن غزوان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب انما كان يعني تركيز السلطة الاسلامية بها باعتبارها مركزا هاما في ملتقى طرق العراق ، وصبغها بالصبغة العربية . ويقول لويس ماسينيون : « ان التمصير انتقال من حالة المعسكر الى التوزع في احياء حضرية » على ان اللغويين لم يتفقوا على مدلول فعل « مصر » وراي المقدسي اوجه ، لانه يعني تركيز سلطة الحكومة في المصر . انظر كتاب الجاحظ لشارل بيلا تعريب الدكتور كيلاني ص 24 — 25 .

بما في ذلك السلطة المحلية ازالة تلك الفروق بين السادة اصحاب الارض والاجراء العاملين في ارضه ، كما لم يستطيعوا التخفيف من غلواء الفاتحين وغير الفاتحين في الحرص على التوسع والكسب والترف على حساب الطبقة المستضعفة ، بالرغم مما بشر به الاسلام من مبادىء العدالة وحمل عليه الناس من تحقيق تلك العدالة . فأما العرب فقد دخلت قبائل منهم مدينة البصرة ولاسيما قبيلة تميم ، وجعلت خطط المدينة قبلية ، فسكنت كل قبيلة ناحية من نواحيها، وكانت هناك مبررات عديدة وشخصية طبعا دفعت العرب الى احتجان كثير من المصالح واقتطاع كثير من الاقطاعات ، والعيش في بذخ ونعيم .

اما القطاع الوطني فكان يمثله النبط والفرس والهنود وغيرهم من الموالي ، وكان جلهم من الاكرة والفلاحين وصغار التجار . وقد لقي هؤلاء في ظل الحكم الاموي كثيرا من مظاهر الاهانة ، وكما سبق القول . عرف هذا المجتمع المختلط النامي المتعدد الاجناس صراعا قويا رغم ما كان يقوم عليه الاسلام من مبادىء اقرار المساواة وتحقيق العدالة الاجتماعية، عرف ذلك الصراع مجتمع الحاكمين اي طبقة العرب من مضريين ويمنيين ، وعرف مجتمع الموالي . وكان التميميون — وهم قبيلة ابي عمرو — يمثلون اصلب تلك العناصر عودا في مدينة البصرة ، ولكنهم كانوا دائما في صف الدولة لما وراء ذلك من حماية الارستقراطية العربية المتمثلة في وضعهم من خصومها من الموالي واهل الذمة .

4 — في الحياة العقلية

اتصل العرب بغيرهم من الفرس والروم والبربر واليونان والهنود اتصالا عسكريا اول الامر، فاخضعوهم لدولة الاسلام اخضاعا عسكريا ، فكان اتصالهم بهم اول الامر اتصالا عسكريا وسياسيا ، وطبيعي ان يعقب هذا الاتصال تبادل التاثر والتاثير في المجالات الاجتماعية والعقلية . فأما العرب فكانوا يحملون للمغلوبين رسالة دينية سامية ولغة قوية ، غير ان السلطان العسكري دائما كان يسبق الدعوة الدينية والاقتناع بها . كما كان التاثير الديني يسبق التعريب ، وانتشار اللغة العربية في الاقطار المفتوحة انما تم ببطء متفاوت بين قطر وآخر . والمهم ان العراق اخذ يستعرب تدريجيا ، وكان الشعراء الاوائل من الموالي يمزجون في شعرهم بين العربية الفصحى والفارسية ، بل كان هؤلاء الموالي ينطقون بالعربية على غير اصواتها ولحونها (1) .

وأمر صراع عرفته اللغة العربية الفصحى هو الذي عرفته مع الفارسية بسبب طغيان الحضارة الفارسية ولاسيما في الكوفة والبصرة لمتاخمتها بلاد فارس ثم بغداد فيما بعد ذلك . هذا الصراع اللغوي بين العربية ولغات الامم المفتوحة وما اعقبه من ظهور اللحن ، وظهور الالفاظ المولدة ، وتحريف اصوات العربية ، وانحراف سلائق العرب اوحى شكل انذار قوي لنابهين من العلماء بضرورة حفظ اللغة وصونها تحت تاثير عوامل محتملة ابرزها العامل الديني ، وكون اللغة العربية هي لغة القرآن ، وان المحافظة عليها وعلى ادائها صحيحة جزء من الحفاظ على كتاب الله .

تحت تاثير هذا الوازع الديني القوي والوازع القومي المتمثل في لغة الغالب ؛ وفي ظل صراع حضاري ولغوي لم تتكافأ فيه القيم والمقاييس والاراء يوجد ابو عمرو بن العلاء وغيره من العلماء ورواة الادب ليقوموا برسالة لغوية اقتضتها مراحل التاريخ العربي التي كانوا يحيونها ، وهذا الصراع نفسه يدفع بالعرب في سبيل تقضيها طبيعة الغالب من فرض للغته وحمايتها ، ويدفع بالمغلوبين في سبيل تقتضيها طبيعة المغلوب من حيث كونه مولعا دائما بتقليد الغالب والاندماج معه ، فهؤلاء الموالي من الفرس يسعون للارتفاع الى مستوى العرب فتمتلأ نفوسهم برغبة علمية قوية ، وينكبون على علوم اللغة العربية والدين الاسلامي فينبغ منهم عدد كبير من النحاة والشعراء واللغويين والادباء والفقهاء والمحدثين .

واما الثقافة العامة فيقول عنها الاستاذ احمد امين بعد ان يحدد طبيعة كل ثقافة اتصل بها العرب في صدر الاسلام والاثر الذي كان في خضم الحركة العلمية والادبية : « هذه الثقافات التي ذكرنا من فارسية وهندية ويونانية وعربية ويهودية ونصرانية التقت كلها في العراق في عصرنا الذي نؤرخ له ، ولكن كل ثقافة في اول امرها كانت تشق لنفسها جدولا خاصا يمتاز بلونه وطعمه ، ثم لم تلبث الا قليلا حتى تلاقت وكونت نهرا عظيما تصب فيه جداول مختلفة الالوان والطعوم ... » (2) .

---

1) البيان والتبيين ج 2\18 — 19 .
2) ضحى الاسلام ج 1 \ 173 .

واذا نحن نظرنا الى البيئة العقلية في البصرة ، لانها البيئة المحلية لابي عمرو بن العلاء ، وحاولنا ان نلم بخصائص الحياة العقلية فيها على ضوء النشاط الفكري والثقافي الذي كانت تنهض به مختلف العناصر، وما كانت تعرفه من تيارات ثقافية لاحظنا بالاجمال ان النزعة العقلية التحررية مع ما يصاحبها من نقد وتمحيص ، وما تصطبغ به من نظرة واقعية ، كانت الطابع العام لكل نشاط فكري نشأ في البصرة ، والصفة البارزة التي يتميز بها كل عالم من علمائها ففي البصرة نشأ علم الكلام ، وهو تطور بالعقيدة وارتفاع بها عن مجرد الايمان السلبي الى الحجاج والجدل والمناظرة دفاعا عنها مع شيء من التفلسف ، وذلك ضد الدهرية والمجسمة والمشبهة . وفي البصرة ظهر العلماء الذين رسموا مناهج النقد والشك المنهجي والتمحيص العلمي ، ففيها ظهر اعلام كالنظام والجاحظ وابو عمرو بن العلاء .

وفي البصرة ظهرت النزعة الفردية يشجعها ذلك الصراع المادي والفكري والقومي بين مختلف الاقوام والعناصر والطبقات . فتعددت الفرق والمذاهب والاراء في كل ميدان. وفيها وقع رد الفعل لطغيان النزعة المادية اذ ظهر التيار المعاكس للترف والبذخ ، وهو تيار الزهو والتصوف . فكان الحسن البصري سيد التابعين وكان المتزمتون والنساك والمتصوفون امثال مالك بن دينار (1)

5 — نشأة ابي عمرو

شحت كتب الاخبار والطبقات كثيرا باخبار ابي عمرو بن العلاء فلم تذكره الا في عبارات وجيزة واشارات عابرة. يصدق ذلك على كتب الادب القديمة، وربما اكتفى بعضها بذكر اسانيد تنتهي اليه احيانا ، اما الكتب التي عنيت به فلم تزد في الترجمة له على ذكر بعض اخباره اللغوية والتأكيد على سعة علمه ومعرفته ، كما فعل الزبيدي في «طبقات النحويين واللغويين » وابن خلكان في « وفيات الاعيان » فحياة الرجل مغمورة في حين كان لها ابعد الاثر في تاريخ الرواية ونشأة علوم اللغة العربية .

اما اسمه فهو زبان (2) بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله التميمي ، وقد اختلف في اسمه كما اختلف في نسبه ، فقيل انه من بني العنبر ، وقيل انه من بني حنيفة ، وقيل — وهذا اضعف الاقوال — انه فارسي . ولعل هذه الغمزة في نسبه شاعت في عهده حتى قال فيه الشاعر بشار بن برد :

ارفق بعمرو اذا حركت نسبته
فانه عربي من قوارير (3)

واختلف في اسمه ايضا ما ذكره ابن الجذري على اكثر من عشرين قولا ، لا ريب في ان بعضها يعود الى التصحيف . واكثر الناس على انه كما ذكرنا زبان ، واختلف في تاريخ ولادته فقيل سنة 55هـ وقيل 65هـ و قيل 68هـ وقيل 70هـ (4) . وكانت ولادته بمكة.

ويظهر ان تعاطي الدرس والتعلم منذ حداثته في في مكة ، فقد ذكر الزبيدي ان الاصمعي قال : قال ابو عمرو . اخذت في طلب العلم قبل ان اختتن (5) .

ونشأ في مكة يأخذ عن قرائها وعلمائها ، ولا نستطيع ان نستنتج ممن ترجموا له متى انتقل الى البصرة ، فقد يكون انتقل اليها مع ابيه قبل ان ينتهي القرن الاول او في اوائل القرن الثاني الا ان الذي لا شك فيه انه طلب العلم في حرص وطموح فطاف في مختلف الحواضر والامصار قبل ان يستقر في البصرة ، شأنه في ذلك شأن علماء عصره . نستدل على ذلك من كثرة الشيوخ الذين اخذ عنهم القراءة والعلم بالمشافهة والسماع . فقد ذكر ابن الجزري انه ليس في القراء السبعة من هو اكثرشيوخا من ابي عمرو ابن العلاء(6) وهذا امر طبيعي بالنسبة لابي عمرو وغيره من طلاب العلم ممن كانوا يومئذ يلتمسون التزود من العلم ويترحلون اليه كل مطية مهما شط المكان . فقد ازدهرت اذ ذاك كثير من الامصار ، وعمرها عدد كبير من التابعين ، والعلماء ، وامتدت الافاق امام طالب العلم، ورجل التجارة ، ورجل الرحلة . واذا اضفنا الى ذلك مسالةتفرق التابعين فيالامصار — كماسبق القول—

---

1) الحياة الادبية في البصرة : للدكتور احمد كمال زكي . ص 95 — 105 .
2) زبان كشداد ، ويذكر الفيروزابادي انه لقب لا اسم .
3) الاغاني : ج 3 ص 190 .
4) غاية النهاية في طبقات القراء ص 290 .
5) طبقات النحويين واللغويين ص 31 .
6) غاية النهاية في طبقات القراء ص 289 .

فاستأثر كل مصر براس من رؤوس العلم علمنا مدى اشتداد الحاجة لدى طالب العلم أمثال أبى عمرو بن العلاء الى الضرب فى الارض سعيا وراء مشافهة الرجال .

وقد ذكر ابن الجزري من شيوخه ثمانية عشر رجلا من بينهم الحسن بن أبي الحسن البصري وسعيد بن جبير من التابعين ، وعكرمة مولى عبد الله بن عباس ، ونصر بن عاصم ، وعاصم بن أبي النجود احد القرا ءالسبعة وعبد الله بن كثير من القراء السبعة وعطاء بن رباح . وكان شيوخه من النحاة نصر بن عاصم الذي أخذ عن أبي الاسود الدؤلي وكذلك يحيى بن يعمر البصريان وهما من الطبقة الثانية من نحاة البصرة ، وكذلك عبد الله بن اسحاق الحضرمي البصري الذي قال عنه الزبيدي انه اول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل . وكل شيوخه من الجيل الثاني من النحاة والقراء الذين اخذوا مباشرة عن الصحابة أمثال علي بن أبي طالب وابي بن كعب وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابتوابي موسى الاشعري وعبد الله بن عباس ، وانت تلاحظ كيف جمعت هذه النجوم فى عقد واحد يطوق جيد ذلك العصر وكيف تهيأ لابي عمرو أن يجمع اختصاصها واتساع آفاقها العلمية فى صدره الرحب . وكان الرجل بدوره صلة الوصل بين تلك الطبقة الممتازة وبين طبقة الجيل الخامس من كبار علماء اللغة العربية أمثال الخليل والاصمعي وسيبويه ويونس بن حبيب وابي عبيدة .

6 — أبو عمرو ورواية الادب

واكبت العناية بالقرآن والحديث النبوي والسير والمغازي لدى العلماء عناية فائقة بالشعر الجاهلي لما فيه من شواهد وامثال وتاريخ اجتماعي ونفسي للامة العربية ، وما يتصل بهذا الشعر من اخبار وانساب لما فيها من ضوء لفهم ذلك الشعر . ولم يكن ذلك يعني عندالمهتمين بهذا الجانب الادبي من تراث العرب الجاهلي نزعة ادبية خالصة ، ولا نزعة علمية خالصة ، وانما هو الحرص على فهم الدين الجديد ، وفهم القرآن والحديث بالذات كان يستوجب عند هؤلاء فهم لغة العرب .

يقول الرافعي متحدثا عن رواة اللغة والادب من الطبقة الثانية : « وكانوا جميعا انما يطلبون رواية الادب لقيام به على تفسير ما يشتبه من غريب القرآن والحديث حتى لا تجد فيهم البتة من لا رواية له فى الحديث كثرت او قلت ، والمحدثون يرون انه ليس براو عندهم من لميرو اللغة لان موضوع الحديث اقوال النبي وهو أفصح العرب . ورواة الادب هم الذين جعلوا غريب الحديث علما وخصوه بالتدوين كأبي عبيدة معمر بن المثنى والنضر بن شميل والاصمعي وقطرب الى عهد ابن قتيبة فى القرن الثالث الهجري (1) » .

غير أن العناية باللغة والشعر الجاهلي واخبار العرب أصبحت عند كثير من العلماء الشغل الشاغل بحيث استأثرت بهم دون غيرهما من فنون العلم . ولاسيما بعد أن مست الحاجة فى القرن الثاني الهجري الى تتبع اللغات والسماع عن العرب للاحتجاج بلغتهم بعد أن قامت المناظرات بين العلماء الذين طفقوا يجردون اللغة ويؤلفون فيها الرسائل المعجمية ويستخرجون قواعدها ويقيسون الاشباه بالاشباه ويعللون الظواهر اللغوية ايذانا بوضع النحو (2)

نعم كانت العناية بالادب ورواية الشعر فرعا من الاهتمام باللغة وجمعها وتدوينها فى البداية ، ثم أصبحت العناية بهما موضوعا علميا يقصد لذاته .

ويرى المستشرق الفرنسي بلاشير أن اهتمام اللغويين والنحويين بالشعر الجاهلي انما نشا صدفة فقد كان فهم القرآن والحديث يقتضي الاطلاع على أسرار اللغة ومفرداتها فلجأ المفسرون الاولون والقراء الى الامثلة الشعرية ، وهكذا ربط بين القرآن واللهجة الشعرية فى الدراسة ، وانتقلت الرغبة من مجرد اعتبار هذا الشعر وسيلة الى اعتباره موضوعا جديرا بالدراسة ، وسارت الرغبة المزدوجة عند القراء النحويين (يحيى بن يعمر) والرغبة الموضوعية فى الشعر الجاهلي عند آخرين فى خط واحد فاجتمعتا فى شخصية مقرىء لغوي راوية كأبي عمرو بن العلاء (3) .

ويعود بلاشير لتتبع نشأة حركة جمع الشعر فيرجع الى سيرة أبى عمرو بن العلاء مؤسس مدرسة البصرة . وبدون شك كانت الرغبة عن هذا العالم وأمثاله من كبار القراء تعود الى نزعة دينية

---

1) تاريخ آداب العرب ج 1 ص 296 .
2) تاريخ آداب العرب ج 1 ص 340 .
3) تاريخ الادب العربي بلاشير .

هي خدمة القرآن . وكانت ظروف العراق العقلية وما تضطرم به من منازعات مذهبية ومنافسات اقليمية وقبلية ، وصراع شعوبي تغذي الحركة الادبية العامة . وفي هذه الفترة الخاصة من تاريخ اللغة العربية وآدابها وجد ابو عمرو بن العلاء ليضطلع برسالة الجيل الذي وجد فيه ، وليكون استاذ الجيل الذي يأتي بعده ، وليكون امينا بما عهد فيه من نزاهة العالم — على تبليغ رسالة علمية في فترة شاعت فيها دواعي الانحراف عن الحق ، وتجاذبت نفوس الناس اهواء واهواء .

لقد افاد ابو عمرو رواية الادب من وجوه :

اولها — انه كان من اولئك الذين قاموا بجمع اللغة ورواية الادب تلقيا عن الجيل الشفوي واداء لها بعد ذلك لجيل الكتابي ، ولقد كانت الكتابة قبل ابي عمرو شائعة معروفة ، ولكن صيرورتها وسيلة ميسورة لتدوين العلم لم تتم الا في القرن الثاني. زد على ذلك ان لم يتلق علمه في الاعم الاغلب ، وفيما يتصل باللغة والشعر خاصة الا من اعراب قد ادركوا الجاهلية (1) . قال الجاحظ والرواية عن الاصمعي : « وكانت كتبه التي كتب عن الاعراب الفصحاء قد ملات بيتا له الى قريب من السقف (2) »

ثانيها — انه حاول أن يكون أمينا في نقله وروايته ، ومصححا لما تسرب اليه الخلل والتصحيف والكذب من الروايات الادبية واللغوية حتى عد من الثقات المعدلين ؛ فلقد عرف الشعر الجاهلي كثيرا من التزيد والانتحال منذ العصر الجاهلي نفسه كما يحدث في كل بيئته ادبية حين يسطو بعض الناس على آثار بعضهم فيدعونها او يتزيدون فيها أو ينسبون لواحد من الشعراء ما ليس له لغرض من الاغراض ، بل لقد عرف الحديث النبوي نفسه الوضع والانتحال فكيف بالشعر . والواقع ان دواعي الوضع والانتحال تكاثرت في صدر الاسلام للاغراض التي اقتضتها السياسة والعصبيات . وتصدى لمقاومة هذه الحركة من الوضع في كلا الاثرين علماء توفر لهم التبصر بادراك الصحيح والمنحول ، اما الحديث الشريف فكان الرائد في هذا الباب ، والى العلماء المحدثين يرجع الفضل في وضع مناهج النقد وتحديد شروط القبول والرد . واما علماء الرواية الادبية فقد تاثروا بتلك المناهج في تصحيح الشعر وتمييز صحيحه من زائفه . وكان ابو عمرو بن العلاء ممن تصدى لمقاومة هذه الموجة من الوضع والانتحال في نطاق رواية اللغة والادب ، فضلا عن قيامه بالجمع والتدوين للشعر والاخبار كما سبقت الاشارة الى ذلك . وذلك بما عرف في طبعه من صدق وغيرة على الحق وما اعتاده في بيئة البصرة المتحررة من نزعة علمية تقوم على الشك والنقد والتمحيص .

ولا بأس أن نورد بعض الامثلة تشهد بما ترى :

— ذكر الدكتور ناصر الدين الاسد (3) : ان ابا عمرو بن العلاء كان من الرواة الذين يصلحون الشعر فمن امثلة ذلك انه ذهب الى ان كثيرا مما جاء في قصيدة ذي الاصبع العدواني يرثي قومه هو منحول ، وان القصيدة المنسوبة لامرىء القيس والتي مطلعها :

لا وابيك ابنة العامري ‍ ‍ ‍ ‍ لا يدعي القوم اني امر

هي لرجل من اولاد النمر بن قاسط ، واولها عنده :

احار بن عمرو كابي خمر ‍ ‍ ‍ ‍ ويعدو على المرء ما يأتمر

— كان ابو عمرو لا ياخذ بروايات الاعراب الذين يفدون الى الامصار ! والذين يذهب اليهم العلماء في كبد البادية اخذا اعمى لا يميز بين صحيح وكاذب ، بل كان يقبل ما يقبل على شرطه ، اي بعد النظر والشك والاختبار بالبصر والتجربة . بل كان يستضعف بعض هؤلاء الرواة الكبار ويختبر فصاحتهم ، ويبعدهم عن الريب قبل ان ياخذ عنهم او يدع (4) .

— قال الاصمعي : قرات على خلف شعر جرير ، فلما بلغت قوله :

فيالك يوما خيره قبل شره ‍ ‍ ‍ ‍ تغيب واشيه واقصر عاذله

---

1) البيان والتبيين ج 1 ص 320 .
2) نفس المرجع ج 1 ص 320 .
3) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية . ص 326.
4) كان الرواة عموما اذا وجدوا من الاعراب من يفهم اللحن وعلل الاعراب بهرجوه وطرحوا لغته ، فابو عمرو بن العلاء استضعف فصاحة ابي خيرة العدوي الاعرابي اذ ساله كيف تقول حفرت الاران ؟ فقال : حفرت ارانا والصحيح ارين جمع ارة وهي الحفرة . اما الاران فخشب النعش .

فقال خلف الاحمر : ويله ، وما ينفعه خير يؤول الى شر ! فقال الاصمعي له : هكذا قرائه على ابي عمرو ، فقال صدقت ، وكذا قاله جرير ، وكان قليل التنقيح مشرد الالفاظ ، وما كان ابو عمرو ليقرئك الا كما تسمع (1) .

نعم ، تصطدم في هذه الاخبار المتساوقة التي تزكي الرجل بخبر ينقله ابن جني في الخصائص في باب صدق النقلة وثقة الرواة والحملة يقول فيه : قال ابو عمرو بن العلاء — رحمه الله — ما زدت في شعر العرب الا بيتا واحدا يعني ما يرويه للاعشي من قوله :

وانكرتني وما كان الذي نكرت
من الحوادث الا الشيب والصلعا

ويعقب ابن جني بقوله : افلا ترى الى هذا البدر الطالع الباهر والبحر الزاخر الذي هو ابو العلماء وكهفهم وبدء الرواة وسيفهم كيف تخلصه من تبعات هذا العلم وتحرجه وتراجعه فيه الى الله وتحوبه ، حتى انه لما زاد فيه — على سعته وانبثاثه وترامية وانتشاره — بيتا واحدا ، وفقه الله للاعتراف به (2) .

ما سند هذا الخبر الذي يرويه ابن جني ؟ تجد الجواب عن ذلك في كتاب الاغاني ففيه يذكر ابو الاصفهاني بسند ينتهي الى ابي عبيدة قال : سمعت بشارا وقد انشد هذا البيت في شعر الاعشي فانكره ، وقال : هذا بيت مصنوع ما يشبه كلام الاعشي ، فعجبت منذلك فلما كان بعد هذا بعشر سنين كنت جالسا عند يونس فقال : حدثني ابو عمرو بن العلاء انه صنع هذا البيت وادخله في شعر الاعشي . فجعلت حينئذ ازداد عجبا من فطنة بشار وصحة قريحته وجودة نقده للشعر (3) .

هذا الخبر جملة وتفصيلا يتناقض مع ما يذكر به الرجل من ثقة ونزاهة ، وان كان ابن جني يرى فيه دليلا على تلك الثقة بحيث يورده في مساق الاعتراف والتخرج من تبعات العلم . اما نحن فنرى أن من يجرؤ على وضع بيت من الشعر وينحله غيره ، او قريبا من ذلك ثم يعترف بعد ذلك بوضعه وتزيده يجرؤ على ان يكتم لنفس السبب ما يكون قد وضع او انتحل لغيره ، ثم لا يعترف اذا لم يكن في الامر داع الى الافتضاح

ويستنتج بلاشير من هذا الخبر معطياته الاولى دون تمحيص فيقول (4) :

« ويحسن بنا ان نأخذ على ابي عمرو نفسه اعترافه بالوضع بالتزيد في شعر العرب . واذا سلمنا بأن هذا العمل لم يحدث كما يقول ابو عمرو الا مرة واحدة فنحن نعتقد بأن هذا الرجل الذي تحرج في أواخر حياته عن زيادة بيت واحد لم يظهر مثل هذا التحرج تجاه مخبريه من الاعراب ، فاذا كان ابو عمرو بن العلاء من الذين جمعوا الشعر والاخبار المتعلقة بهذا الشعر اصبح ما جمعه مدعاة للشك حتى ولو اتلف تلك المواد تورعا او اعترافا بوضعها وقد بنى كثير من الباحثين نظرياتهم على اعتبار هذا الخبر من المسلمات . اما نحن فنشك فيه ، بل ينبغي ان نقول اننا نرفضه رفضا باتا قاطعا . فللخبر في صورته كما نراه يزكي بشارا ويؤكد صفات الفطنة وصحة القريحة وجودة النقد عنده ، فكأن شهادة للشاعر بشار من ناحية على قدر ما فيه من طعن على أحد القراء السبعة العظام وعلماء العربية الكبار وقد مر بك بيت بشار الذي يطعن فيه على نسب ابى عمرو . والخبر ينتهي بسنده الى ابى عبيدة الشعوبي الذي يقول فيه المستشرق المجري جولدزيهير : « ان ابا عبيدة مولع بوضع الاخبار والاحاديث التي تظهر خلاف القبائل فيما بينها وتهاجيها وتشاتمها بقبيح الكلام ومقذع الهجاء » (5) ويقول عنه الدكتور محمد نبيه حجاب « وقد بلغ به الأمر ان استغل ثقة الناس في عمله الغزير وعبث بحقائق التاريخ بما وضعه على العرب من اخبار وامثال وقصص فخرية كانت تسير في البلاد طولا وعرضا ، وقلما يفطن الناس الى اختلاقها بل قلما يفطنون الى انها مكيدة مدبرة ونكاية مقصودة (6) .

---

1) مصادر الشعر الجاهلي ص 326 .
2) الخصائص ، ج 3 ص 310 .
3) الاغاني ج 3 ص 143 .
4) تاريخ الادب العربي بلاشير — تعريب الدكتور ابراهيم كيلاني ص 111 .
5) الدراسات المحمدية — جولد زيهير ص 198 — وانظر (مظاهر الشعوبية في الادب العربي) ص 551
6) مظاهر الشعوبية في الادب العربي ، الدكتور محمد نبيه حجاب ص 556 .

فاذا عرفنا موضع بشار من النزعة الشعوبية والتطاول على العرب ، والاباحية المتطرفة لم يعسر علينا ربط ذلك بوضع هذا الخبر الذي يزكيه ويطعن على عالم عربي كبير ، هذا الخبر الذي وضعه ابو عبيدة في هذه الصورة المحكمة « ليضرب عصفورين بحجر واحد » كما يقولون . فيسير في الناس وينطلي على الباحثين والمؤرخين فيريكهم حينا ثم لا يجدون بدا من الاخذ به .

واذا لا يسعنا الا قبول راي الدكتور نجيب البهبيتي من ان هذا الخبر وضعه ابو عبيدة للرفع من شان بشار بن برد والحط من شأن عالم عربي شأن كل الاخبار الموضوعة في شان بشار للرفع من قيمته (1) .

ثالثها — انه عني بالشعر الجاهلي من جميع وجوهه ، بتدوينه وتصحيحه ونقده ، والسماع عن الاعراب لفهم غريبه ، وانه كان معنيا بتقييده وتدوينه فضلا عن حفظه وروايته ولم تكن لتصرفه العوائق الطارئة او القائمة عن متابعة البحث عنه والسؤال عن فهمه فكان من اثر ذلك انه ملا تدر بيت له بالكتب والدفاتر التي دونها (2) . وكان من اثر ذلك انه لازم الشعراء . ونقل عنهم ما يحفظون ، وسالهم عن مقاصدهم . فقد ذكر صاحب الاغاني انه كان اذا لم يحج الى البيت الحرام استبضع اخاه معاذا بعض الحروف يسال عنها امير مكة يومئذ الحارث بن خالد الشاعر المشهور (3) .

وذكر الاصمعي انه جلس الى ابى عمرو بن العلاء عشر حجج ما سمعه يحتج ببيت اسلامي (4) وقال الاصمعي جئت ابا عمرو فقال لي من اين اقبلت يا اصمعي ؟ فقلت من المربد . قال : هات ما معك ، فقرات عليه ما كتبت ، فمرت به ستة احرف لم يعرفها فخرج يعدو ، وقال : شمرت في الغريب (5) ويحتفظ لنا كتاب الاغاني والعقد الفريد بكثير من الروايات والتحقيقات التي تنتهي بسندها الى ابي عمرو ، كلها يتصل بموضوع رواية الشعر الجاهلي وشرحه .

رابعها — انه من اوائل من عنوا بجمع اللغة واستنباط قواعدها وتوحيد فصيحها في ذلك الخضم الهائل الذي كان يعرفه من اللهجات القبلية . وقد لاحظ ما كان يجري على الاطراد منها فسماه قياسا ، ولاحظ ما يشذ عنه . وربما كان قد وضع من ذلك شيئا لم يبلغنا الا على ايدي تلاميذه الذين اصلوا الاصول ، وفرعوا الفروع . « قال رجل لابي عمرو : اخبرني عما وضعت مما سميت عربيته ، ايدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال : لا ، فقلت : كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ فقال : احمل على الاكثر واسمي ما خالفني لغات » (6) ، وهذا سر ما نجده في كتب الادب من روايات عن أبي عمرو تدور حول تصحيح مفهومات او الفاظ بعض ما يروى من الشعر .

قال يونس بن حبيب : لو كان احد ينبغي أن يؤخذ بقوله كله في شيء واحد لكان ينبغي لقول ابى عمرو ان يؤخذ كله . وقال : وكان أبو عمرو يسلم للعرب ، ولا يطعن عليها . اي يعتبر كلامها حجة . وفي أبي عمرو يقول الفرزدق :

ما زلت افتح ابوابا واغلقها
حتى اتيت ابا عمرو بن عمار (7)

ويكفي أن نذكر بعض الامثلة على مقدرة ابي عمرو في فهم الشعر ، وتصحيح معانيه ، من ذلك ما رواه الاصمعي قال : سالت الخليل بن احمد النحوي عن قول الراجز :

حتى تحاجزن عن الذواد
تحاجز الري ولم تكادي

ثم قال : تكادي ولم يقل : تكد ؟ قال : فطحن يوما اجمع . وقال : وسالت ابا عمرو بن العلاء — وكأنما كان على طرف لسانه — فقال : ولم تكادي ايتها الابل .

---

1) تاريخ الشعر العربي ص 340 — 344 .
2) روي انه احرق كل ذلك عندما تنسك ، ولكن يظهر انه عاد في اواخر حياته الى جمع الشعر الجاهلي
3) الاغاني ج 3 ص 312 .
4) البيان والتبيين ج 1 ص 320 .
5) الحياة الادبية في البصرة .
6) ضحى الاسلام ج 2 ص 259.
7) طبقات النحويين واللغويين للزبيري ص 28 .

خامسها — انه كانت له آراء نقدية بالمعنى المألوف للنقد : ومن مظاهر النقد ان يحكم على قيمة الشعر والشاعر ، ويقيم المعاني وينظر في الالفاظ . وهو عمل كان ضروريا لكل من يقوم بدور الرواية الادبية . وكان ابو عمرو بحكم الفترة التي عاش فيها مؤمنا بالقديم منصرفا له معنيا به مؤثرا له على كل ما يسمعه من يحدث ، ولو ان هذا المحدث كان امتدادا للقديم في شكله ومضمونه الا ما ندر . وهو القائل : « لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت ان آمر فتياننا بروايته » يعني شعر جرير والفرزدق واشباههما (1) . ومن احكامه النقدية انه كان يشبه جريرا بالاعشى والفرزدق بزهير والاخطل بالنابغة (2) ومن آرائه في مثل هذا الباب انه لا بيت شعر اصدق من قول الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

فقيل له : وقول طرفة :

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالاخبار من لا تزود

فقال : من يأتيك بها ممن زودت اكثر . وليس بيت مما قالته الشعراء الا وفيه مطعن الا قول الحطيئة (3) .

سادسها — ان الرجل كان مدرسا للغة والادب في مسجد البصرة خلال عقود من السنين .

فقد كانت البصرة تصطدم يومئذ حياة وثقافة ، وكانت اسواقها ومساجدها ودورها حافلة بالدروس والمناظرات وحلقات العلم والتدريس . وفي مسجد البصرة كان العلماء يتخذون حلقات للتدريس، وهم احرص الناس على اجتذاب الطلاب . بل كان هناك فيما نظن صراع بين علماء العربية . وكان من اروع هذه الحلقات حلقة ابي عمرو ابن العلاء في اللغة والادب . ونستدل على قيمة هذه الحلقة يومذاك بانه كان يختلف اليها عدد من العلماء الذين كانوا ائمة الجيل الذي خلف جيل ابي العلاء .

ويروى عن الخليل بن احمد انه كان معجبا بحلقة ابي عمرو . كما روى عن الاخفش قوله : مر الحسن البصري بأبي عمرو وحلقته متوافرة والناس عكوف فقال : من هذا ؟ قالوا : ابو عمرو ، فقال : لا اله الا الله ، كادت العلماء ان تكون أربابا . كل عز لم يؤكد بعلم فالى ذل يؤول .

6 — شخصية ابي عمرو

لكي ندرك مكانة ابي عمرو في الثقافة الاسلامية ، ودوره في الحركة العلمية الاولى ينبغي أن نحدد مظاهر الحركة الادبية التي كان يتزعمها والمذهب الفكري او الادبي الذي يوجهه . لقد كانت هناك حركة جمع وتدوين الشعر العربي القديم ، واحيائه . وكانت هناك حركة جمع اللغة والسماع عن اعراب البادية ووضع رسائل اللغة الجزئية ، ثم المعاجم الجامعة . وكانت هناك حركة الثقافة الدينية التي تدور حول تفسير القرآن ، وقراءاته والحديث النبوي وجمعه ووضع مسانيده ، واستنباط الاحكام الفقهية منه . وكان ابو عمرو ملتقى هذه التيارات من كل الحركات العلمية .

اما في القرآن وما يتصل به فكان ابو عمرو احد القراء السبعة ، كان مقرىء الناس في مسجد البصرة والحسن البصري حاضر . قال الاصمعي : قال لي ابو عمرو : لو تهيأ لي ان افرغ ما في صدري لفعلت . لقد حفظت في علم القرآن اشياء لو كتبت ما قدر الاعمش على حملها . ولولا ان ليس لي ان اقرأ الا بما قرىء لقرات كذا وكذا حروفا (4) .

واما في اللغة والادب والاخبار فقد كان الرجل امام عصره . قال الجاحظ : حدثني ابو عبيدة قال : كن ابو عمرو اعلم الناس بالغريب والعربية وبالقرآن وبأيام العرب وايام الناس (5) . وفي الوفيات يذكر ابن خلكان انه كان اعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر ، وهو في النحو في الطبقة الرابعة بعد علي بن ابي طالب (6) .

كان ابو عمرو لغويا وراوية ادب قبل كل شيء، ولقد تحولت عنايته باللغة من مجرد عناية مؤقتة لفهم القرآن وشرح غريب الحديث ، والحفاظ على اصوات اللغة ومعرفة القراءات . فاصبحت عناية باللغة وشواهدها من الشعر ، ومعنى ذلك انه استطاع ان يكون في مستوى الجيل العلمي الذي يحس بالدور العلمي الذي عليه ان يضطلع به فتتحول

---

1) البيان والتبيين للجاحظ ج 1 ص 320 .
2) تاريخ الشعر العربي للدكتور البهبيتي ص 187 .
3) الاغاني للاصفهاني ج 2 ص 173 .
4) غاية النهاية ، في طبقات القراء لابن الجزري ص 290 .
5) البيان والتبيين للجاحظ ج 2 ص 321 .
6) الوفيات ج 3 ص 136 .

الوسائل الادبية نفسها وتصير موضوعا وغاية ، لان وضعها موضعها العلمي كفيل بتحقيق الغاية الدينية منها فيما بعد . على أن أبا عمرو بوصفه احد القراء السبعة الكبار ربما الح عليه ايمانه أن يؤثر القرآن بجهده ، فيترك الشعر والادب الى حين . ولكن جانبا من نشاطه العقلي لم يكن ليفتر عن خدمة اللغة ورواية الادب . وبهذا نعلل ما حكاه الرواة من انه كان اذا حل شهر رمضان لا يقرا بيتا واحدا من الشعر . وانه عندما تقرا احرق ما كان قد كتبه من الكتب التي ملات بيتا الى السقف وانه عاد بعد ذلك يملي مما حفظه . ويذكر بروكلمان انه خلف شرحا لبعض الدواوين كما يذكر اليافعي انه عاد بعد ذلك نكتب بعض ما كان قد احرقه (1) .

ومهما تكن تلك الازمة النفسية التي المت بالرجل، وجوهر الدافع الى اتلاف حصيلة جهوده العلمية فاننا لا نشك في انه كان ذا عقلية مولعة برغبة البحث في اللغة والادب والشعر واخباره . ولم تكن عقلية رجل دين او فلسفة في تلك البيئة التي كانت محمومة بعلم الكلام والجدل في قضايا الاعتقاد .

قال ابو حاتم : حدثني الاصمعي قال : حدثني شعبة قال : كنت اختلف الى ابن ابي عقرب فاساله انا عن الفقه ويساله ابو عمرو عن العربية ، فيقوم وانا لا احفظ حرفا مما ساله عنه ولا يحفظ هو حرفا مما سالته عنه » (2) .

وقال ابو الحسن الباهلي : مر ابو عمرو بن العلاء بعمرو بن عبيد (شيخ المعتزلة) وهو يتكلم في الوعد والوعيد ويثبته فقال ابو عمرو : ويلك يا عمرو، انك الكن الفهم ، الم تسمع قول القائل :

واني وان اوعدته او وعدته
لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

انما اراد ان الله تبارك وتعالى قد وعد واوعد ، وهو قادر على ان يعفو عمن اوعده وقادر ان ينجز لمن وعده .

وهذا الكلام من أبي عمرو بن العلاء يدل على سذاجة في معارفه الكلامية — لو صح — وذلك بالنسبة لما يرمي اليه المتكلمون من وراء نظريتهم تلك . ولهذا قالوا : ان ابن عبيد قال لابي عمرو : يا ابا عمرو شغلك الاعراب عن معرفة الصواب (3) .

لقد كان الرجل راوية ادب ولغة في عصر تقاسمه الكلام والدين والادب ، نشهد له بالامانة والرئاسة في القراءة واللغة والادب . وكان معدلا في روايته ، موثوقا به ، مضطلعا برسالة العلم كاحسن ما يكون مؤثرا للحق على راحة نفسه . وهو وان لم يترك آثارا مدونة تناسب قيمته العلمية وتدل على دوره العظيم فيها ، الا انه ترك صدورا من العلماء تروى عنه وتفيض مما نالت من علمه الغزير . وكان احد مؤسسي علم فقه اللغة وواضعي مدرسة البصرة النحوية .

وفي تعزية يونس بن حبيب لابنائه يوم مات سنة 154هـ قال : نعزيكم وانفسنا بمن لا نرى له شبيها آخر الزمان ، والله لو قسم علم ابي عمرو وزهده على مائة انسان لكانوا كلهم علماء زهادا . وانها لتعزية ينبغي ان تظل شاهدة ببعض ما تحلت به تلك الشخصية من مزايا العلم والورع وحسبه بهما ذكرا في التاريخ .

فاس — محمد عبد الملك الكتاني

---

1) مرآة الجنان لليافعي 1\325 وانظر تاريخ الادب العربي لبلاشير ص 111
2) طبقات النحويين واللغويين ص 30 .
3) نفس المرجع ص 34 .

وثائق تاريخية اندلسية حول

العلاقات السياسية بين غرناطه وفاس في منتصف القرن الرابع الميلادي

من إنشاء الوزير لسان الدين ابن الخطيب

بقلم الدكتور محمد كمال شبانة
استاذ التاريخ الاسلامي بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

- 3 -

تقدم اليوم الوثيقة الثالثة من وثائق مخطوطة ابن الخطيب « كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان » ، التي كان قد جمع شتاتها في مدينة سلا بالمغرب ، ابان فترة نفيه الاولى (760 – 763 هـ / 1392 – 1395 م) ، في رعاية السلطان ابى سالم المريني ، الذي اقطعه الاراضي ، ورتب له الرواتب ، فتوفرت له وسائل العيش الرغيد ، فعكف على التحبير والتاليف ، وكان من هذا كتابه « الكناسة » ، احد المصادر التاريخية الرئيسية ، في مجال الوقوف على كنه العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة بني الاحمر ، وبني مرين في فاس بالمغرب (القرن الثامن الهجري / منتصف الرابع عشر الميلادي) ، وحيث كان على الاندلس يومئذ السلطان يوسف الاول ابن الحمر ، وعلى المغرب السلطان ابو عنان فارس المريني .

والوثيقة التي نوردها هنا عبارة عن جواب بعث به ملك غرناطة يوسف الاول الى معاصره ابى عنان المريني ، بعد ان اعلمه هذا الاخير بما كان من امر فتح مدينة تلمسان ، واستيلائه عليها من « بني زيان » في غرب الجزائر ، في وسط ربيع الاول من عام 752 هـ ، حسبما ارخ ابن الخطيب نفسه ذلك في مقدمة الرسالة موضوع التحقيق .

وقد صور ابن الخطيب في هذه الرسالة مدى الفرحة التي عمت الاندلس بهذا الانتصار العظيم ، ومقدار الحزن الذي اصاب اعداء المسلمين لذلك ، ونوه باهمية هذا الفتح لدولة بني مرين ، التي نجحت – الى حد بعيد – في تحقيق وحدة المغرب العربي الكبير، بذلت في سبيل هذا الهدف جهودا حربية واجتماعية مضنية ، وقدمت تضحيات جمة استلزمتها حركات الناهضين للفكرة ، وخاصة في عصر كل من السلطان ابى الحسن ثم ابنه السلطان ابى عنان فارس .

هذا ، ولنترك الباحث والقارىء مع الوثيقة ، ليلمس بنفسه جوانب الموضوع من ثناياها ، ويتبين الاهداف الكبرى من هذا المشروع المريني الكبير ، نحو الوحدة المغربية الشاملة

(الوثيقة)

« (11 : 1) ومن ذلك (1) جوابه للسلطان المذكور « ابى عنان » ، عن كتابه بالهزيمة التي افلج على بني زيان (2) ، بعد ان فرعنه الجيش ، (11 : ب) واقدم بنفسه وحاشيته ، ففتح عليه ، وتملكه مدينة تلمسان . وذلك في وسط ربيع الاول (عام سبعمائة واثنين وخمسين) (3)

1) اسم الاشارة يعود الى ما سطره ابن الخطيب من محتويات مخطوطته « الكناسة »

2) انظر « دعوة الحق » العدد الثاني عشر « وثائق تاريخية اندلسية » بقلم المحقق

3) ما بين القوسين ساقط من نسخ « الكناسة » ولكنه ثابت في نسخ « الريحانة » . والتاريخ المذكور يوافق (اكتوبر 1350 م)

« المقام (4) الذي مقدمة سعده تسلم ولا تمنع ، وحجة مجده لا ترد ولا تدفع ، ونوافل فتوحه المؤيدة بملائكة الله وروحه توتر وتشفع ، والصنائع الالاهية في دولته الفارسية تثني وتجمع ، ويحمل منها ما يقاس على ما يسمع . مقام محل اخينا الذي تبسم النصر في ثغور نصوله ، واحتفل الفخر في تدوين محصوله ، وشهدت مخايلة الظاهرة بكرم اصوله ، وتألقت حدود المجد سالمة من النقد بين اجناسه وخواصه وفصوله السلطان الكذا (ابو عنان فارس) ابن السلطان الكذا (ابى الحسن علي المريني) ، ابقاه الله يورق اعواد المنابر كلما سقتهامن ابناء فتوحه الغيوث ، وتفرق اسود الشرى كلما زأرت من ابطال حماته الليوث ، وتأمن في ظل ايالته(5) العادلة وخلافته الفاضلة السهول من الارض والوعوث ، ويتعاضد بالمكسوب من فخره الموروث ، ويقضي الى استلام ركن يمينه ومشاهدة نور جبينه الركاب المحثوث . معظم مقامه الذي تعظيمه مفترض ، القائم بحق بره الذي لا يقدم عليه غرض ، فلان (السلطان ابو الحجاج يوسف بن ابى الوليد اسماعيل بن نصر ابن الاحمر) (6) . سلام كريم . طيب برعميم ، كما حسر وجه الفجر عن نقابه ، وتقدمت طلائع نسيمه ، وشهب الصبح في اعقابه ، يخص مقامكم الاعلى ، ورحمة الله وبركاته .

(12 : أ) اما بعد حمد الله العليم الفتاح ، مطلع غرر المسرات المستمرات اوضح من فلق الصباح ، وميسر الآمال السنية وفق الامنية وحسب الاقتراح، مورث الارض كما وعد ائمة الهدى والصلاح ، المتكفل لهم بحسن العواقب وفوز القداح ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله نور الهدى الوضاح ، ذي القدر الرفيع والجاه المنيع والمجد الصراح ، المؤيد بالرعب المنصور بهبوب الرياح ، حتى اشرقت انوار دعوته السمحة فوق الربا والبطاح ، والرضا عن آله وصحبه ليوث الباس وغيوث السماح ، الذين راضوا صعاب النصر من بعد الجماح ، ورفعوا اسماء قبة الاسلام على عمد الرماح ، ولم يشغلهم ليل التبتل عن يوم الكفاح ، فكانوا لامته اهدى من القمر اللياح (7)، وعلى اعدائه اعدى من الحين المتاح ، والدعاء لسلطانكم الاعلى بالنصر الذي ترتسم آثاره (في صحف الصفاح) (8) ، وتسطر اخباره في صفحات الحسان الصحاح ، والعز الذي تبدي الخيل له سيماء الخيلاء والمراح ... فانا كتبناه اليكم – كتب الله لكم فتوحا منظومة العقود معقودة النظام ، وآلاء دائمة الاتصال متصلة الدوام ، وسعودا معلومة الوضوح واضحة الاعلام، ونصرا يرتاح به قد القناة ويبتسم له ثغر الحسام ، وصنائع تبهر حلاها (12 : ب) على لبات المنن الجسام، وبروق مجتلاها في غرر النعم الوسام – من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، ولا زايد – بفضل الله جل وتعالى ، ثم بما عود من آلائه التي تترادف وتتوالى – الا الخير الذي انجزت وعوده ، والصنع الذي تألقت في افق الدين الحنيف سعوده ، والفتح الذي تفتح به زهره واورق عوده،جعلنا اللهممن استبشر في مقام الشكر قيامه وقعوده ، فكلما اعتلت قوى ادراكه جاءه الامداد من الله يعوده . ونحن من السرور بما يسنيه الله لكم ، بحيث لا تلبسون حلة صنع الا لبسنا مثالها ، ولا تنالون سبب نعمة الا حمدنا منالها ، ولا تجتلون غرة فتح الا اجتلينا جمالها . نشرب من ذلك فضل شربكم ، ونرده عقب وردكم ، ونمت اليه بمثل متات مجدكم . فكلما امتد لدولتكم العلية ظل عز انفسحت آمالنا وامتدت ، واشتدت لملككم عرا نصر قويت اعضادنا واشتدت

والى هذا – ايدكم الله بنصره ، وحكم لملككم الرفيع باعلاء امره – فانكم جئتمونا بزهرة الفتح الاول

---

4) هذه الرسالة وردت في نسخ مخطوطة « الريحانة» للمؤلف ايضا

5) ايالته : دولته .

6) انظر « دعوة الحق » العدد الثاني عشر « وثائق تاريخية اندلسية »

7) اللياح : المتلألىء ، من لاح الشيء يلوح : بدا ولاح النجم بمعنى تلألأ ، وقيل في قوله تعالى « في لوح محفوظ » انه نور يلوح للملائكة فيظهر لهم ما يؤمرون به فياتمرون . وقيل اللوح المحفوظ : ام الكتاب . كذا في اللسان والقاموس

8) زيادة وجدناها في نسخ مخطوطة « الريحانة »

اظلال فضله ، واتحفنا ملككم ببواكر نصره قريبة العهد باقتطاف نصله ، وعرفتمونا بما كان من الظفور الذي خفقت عليكم رايته ، والنصر الذي انزلت اليكم ايته والفجر الذي (13 : ا) دخرت لملككم غايته ، وان عدوكم - لما ضاقت عليه المسالك ، وفغرت افواهها اليه المهالك - اقدم اقدام من استعجل الحمام ، ولم يمطل به الايام . واول انتهاز فرصة كانت وقاية الله من دونها ، واغتنام غرة كان مدد العزم بغض عيونها . واقبل والمحلات تخيم بيوتها تخييم الحباب ، وتطفو قبابها البيض طفو الحباب . فثاب حاميتها الحرب ، واعمل الطعن والضرب . وسولت له الاطماع خطة ابتها قلوب ضمائرها قد خلصت ، وابطال من بعد الاقدام ما نكصت . واقدام ثبتت في موقف الهول واستقرت ، وقبائل من مرين عاهدت الله فوفت وبرت . وانكم - لما عقدت الحرب حباها ، ورجعت الظنون الكاذبة في عقباها - فديتم من دونكم من الخليقة بالنفس الحرية بالمجد الخليقة ، واقتديتم بانصار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في يوم الحديقة . فانهم - رضي الله عنهم - لما ارتابوا باوشاجهم (9) ، وعولوا على اديانهم واحسابهم . تبوءوا من الصبر حصونا ، ونادى امراؤهم : اخلصونا فخاضت منهم كتيبة كانت الحملات لا تهزها ، والاهوال لا تستفزها . حتى علت ايديها ، وحيعل بالنصر القريب مناديها (10) فما كان الا ان طلعت شمس غرتكم يحملها من الطرف العتيق فلك ، وخفق منصور علمكم يتبعه ملك ويقدمه ملك ، ونهر (13 : ب) موكبكم يهديه من الراي صبح ويحجبه من القتام (11) حلك . وتراكمت من النقع جوز السحايب ، وماجت على الارض بحور الكتايب . وضحكت النصول في اليوم العبوس ، ودارت بين الرجال للا جال الكؤوس . واخفرت عزمات المغافر ، وتجلت رماح الحرب بالحد السافر . واشتبهت الطرق ، ورمدت من الاسنة العيون الزرق . واجرى الله مقامكم من النصر على عادته ، واثبت في درجة ذلك

الاجتماع سهم سعادته . فكذبت من مناويكم العزيمة ، وصدقت عليه الهزيمة ، وادبر ادبار امسه ، ومضى وهمه تجاه نفسه . وانقلب مغلوبا مفلولا ، يرى البرق سيفا مسلولا ، ويحسب الشعاب خيولا ، ويظن حمرة الشفق دما مطلولا ، وخلف انصاره حصيدا ودياره طلولا . وانكم تيتم الاعنة وللنصر لواء بكل ثنيه ، وعلى كل راية عناية ربانية . والوجوه بادية السفور ، والخيل دامية النحور . والسيوف مورودة الخدود ، والرماح مختصرة القدود . ومحابر الكنائن خاوية من اقلامها ، وموارد السوابغ خالية بعد ازدحامها . الفتح قد فتح لكم بابه ، والنصر حولكم كتائبه وفي يدكم كتابه . فلم نكد نعطي السرور بهذا النبأ حقه من الابتهاج والارتياح ، والشكر لله على فوز القداح ، وتاتي الافراح (14 : ا) والاشادة به في النواح ، ونفرغ من مراجعة ذلك المجد الوضاح، حتى اتصل بنا الصنع الذي غمر ما قبله ، وشرح مجمل السعد واوضح سبله ، من انكم ملكتم مدينة تلمسان فاستأثرتم بالسعد الهنى المعجل ، ودخلتموها في اليوم الاغر المحجل ، وحصلتم عليها من غير سلاح اعمل ، ولا حق اهمل ، ولا نفس بريء ريعت ، ولا حرمة للدين اضيعت . وان بناتها من المعاقل الشم الانوف ، والمصانع السافرة عن حواجب القسى المبتسمة عن ثغور السيوف، والمعاقل التي تعد اهلة السماء من الاسورة وجوازها من السقوف . رات راي امها في تعجيل الطاعة ، وحملت الامر على الفوز بجهد الاستطاعة ، وبادرت التوبة النصوح قبل قيام تلك الساعة . فانتظمها سلك الامر السعيد ، واتصل القريب منها بالبعيد ، واحتجت معتزلتها بانجاز الوعد واخلاف الوعيد ، وكان لسابقها حق التكلم للاحقها حق المعيد

فاقمنا فريضة الشكر والحمد لوقتها ، وتلونا في بساط الاعتبار بالنعم « وما نريهم من آية الا وهي اكبر من اختها (12)» وقلنا هذا هو النبأ الذي ارتقبنا طلوع البشائر من ثنايا قلاعه ، واجزنا تلقي الركبان لرخصة

9) ج : وشيجة : الصلة والقربى
(10 اي قال : « حي على النصر »
(11 القتام : الغبار الاسود .
(12 اقتباسا من قوله تعالى : « وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها ، واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون » سورة الزخرف ، آية : 38 .

استطلاعه. هذا هو الصنع السني، والفتح الهني، والنصر المتنى، والعز المتمني، « نصر من الله وفتح (14 : ب) قريب (13) »، وتكييف لملك المغرب غريب. هذا هو السعد الذي لم يجر في وهم، هذا هو الذي اصاب قنيص النصر والفتح بسهم. فتح تلمسان، وما ادراك ما تلمسان ؟؟ !! قاعدة الملك، وواسطة السلك، وقلادة النحر، وحاضرة البر والبحر. امتدت الى الليل ظهراء، وافصحت بالفخر جهرا. واصبحت للغرب بابا، ولركاب الحج ركابا. ولسهام الامال هدفا، ولدور العلماء والصالحين صدفا. حسناء تسبي العقول، بين التمنع والنفور، والاطماع والنفور. شمخت بانف الحصانة والاباية، وتبجحت بوفور العمارة ودرور الجباية. ولبست حلة الجناب الخصيب، وفازت من الاعتدال واوصاف الكمال باوفى نصيب

فيالها من غادة كلما مرت عليها الايام استجد شبابها !!، وابنع جنابها ! وضفا من الحسن جلبابها ! حتى كان عين ام يحيى سقتها من عين الحياة، فنورها الدهر باهر الايات، ومحاسنها رائقة الغرر والشياب. تخدع باللفظ الخلوب، وتقلب على لظى الاشواق افلاذ القلوب. حركت الملوك الصيد وسكنت، فما بذلت من قيادها ولا امكنت. ضاق بعبد المؤمن (14) طوقها فبعد لاي ما مزقه، ورجع منها الى السعيد سهمه الذي فوقه. ولم تزل احوال محبيها من بعد ذلك مختلفة، وقلوبهم بهواها كلفة. فمنهم من حياها على البعد، وقنع من وصلها (15 : ا) بالوعد، واقتصر منها على الالمام، واهداء السلام. ومنهم من جد به الجد وهي تسخر، ولان لها القول منه وهي تأبي وتفخر. ولم يجد متقدما عنها ولا متأخرا حتى غلب الياس، وخاب القياس. ومنهم من باع الكرى بالسهد، ووجد مرارة الصبر احلى من الشهد، وبذل لها في المجال ثار رؤوس الرجال، وسجى عليها حتى بالاعمار والاجال، وصاغ لها من الحقائر امثال الدمالج والحجال، ونازع الحرب حالى الغلاب والسجال. فالحياة يلوى ضلوعها الزفير، والمجانيق يدمى انوفها السجود والتعفير. والجياد تشكو من باب جيادها الى غير راحم، وتظمأ فتسقى من نجيع الملاحم. حتى اذعنت اذعان القهر، ورضيت بما بذل لها من المهر. وجاذب رداها من اردى اوداها، واماط قناعها من غالب بالصبر امتناعها. ثم ضرب الدهر ضرباته، واقام القدر برهانه. فراجعها من كان يهواها وابت في الاكراه دعواها. بعد ان حصلت لها بمقامكم علاقة كامنة بين الضلوع، ورسى بجوانحها رشيش هوى يجل عن الولوع. وتملكها به غرام ظاهر ومستكن، ولسان حالها يتلو قوله :«الا من اكره وقلبه مطمئن (15)» ورب مغلوب سمح بالرغم قياده، وان ملك ظاهره فلم يملك فؤاده. فلما علمت الان من حبيبها الحقيق بقرب الدار، وادنى ركابه منها مساعف (15 : ب) المقدار، همت وهامت وتطارحت وترامت، وتهللت من بعد الاطراق، وضحكت من انس اللقاء كما بكت من السم الفراق. امكنت من وصالها عفوا، واوردت العذب من ظلالها صفوا، والقت اليد طوعا. وخير النعم ما لم يقع عن كد، واسنى المنح ما لم يجر في حساب ولا وعد. فكأنها لقطة استحقها سيفكم من بعد التعريف، ونقطة استدار عليها محيط ذلك الملك الشريف، ونكرة ادخلت عليها اداة التعريف، وقبلة عدلت من بعد التحريف، ولفظةردت الى الاصل الفصيح عند التصريف. وما كان البلد ــ الذي عدلت نصبة ملككم السعيد بمطالعه، واقترت السعود على درجتي عاشره وطالعه ــ ليكذبكم وعده، ولا يخلفكم سعده. فما برحت بروق

---

13) اقتباسا من قوله تعالى : « واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب، وبشر الصابرين » سورة الصف آيـة : 13

14) هو « عبد المومن بن علي الكومي » اوصى لـه المهدي بن تومرت بالخلافة من بعده، وكان هو رجل الدولة المنتظر، فقد تمكن من استكمال دولة الموحدين، حيث قضى على دولة المرابطين باستيلائه على مدينة مراكش العاصمة (541 هـ 1146 م)، وفتح المغربين الاقصى والاوسط. ولما غادر العاصمة (مراكش) قاصدا الاندلس للجهاد عاجلته المنية برباط سلا، في ليلة الجمعة 8 جمادى الثانية 558 هـ

15) اقتباسا من قوله تعالى : « من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان، ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله، ولهم عذاب عظيم » سورة النحل اية 106

السعادة تبدو في خلال ما رمتموه، والتوفيق يشد اواخي العزم الذي ابرمتموه. والحركة التي ازمعتم تضافر عليها الاسباب المتبركات، وتسح على غروسها الزكية سحائب البركات وتجد النفوس لها خفة وحركة الفتح اخف الحركات، فالحمد لله الذي جعل القياس صادقا، والتوفيق مرافقا، والنصر للنصل موافقا، والحمد لله الذي البكم حلتها السيراء لم يوهنها طول المجاذبة والمحاورة، ولا اخلقتها ايدي المساوقة والمساورة، وخولكم وصلها لم يقدح فيه (16 : ا) ملل المحاورة. وليهن - مقامكم الذي اقال العثار، وخلد الاثار، واخذ الثار - ما منحه الله من العز الصادق البرق، والفتح الذي وصل يد الغرب بالشرق. فقد جمع حسامكم الماضي المضرب، من مدينتي تلمسان وفاس بين عقيلتي المغرب، للاولى منها الاصالة والمجادة، وللثانية العلاقة والودادة، وكلاهما الحسنى والزيادة. فان فخرت هذه بنصبة الملك فخرت تلك بنصبة الولادة وبشرى لهذا القطر الغريب الذي يعد الى عزمات جهادكم يد الراغب، ويرتقب ارتفاع الشواغل والشواغب، بما استروحه من صرف الاستعداد الى اعدائه، والاهطاع(16) الى ندائه، والشروع في معالجة دائه. وان هنى بالاقطار من تملكها، وادار على قطب السيادة فلكها، وجب الهنى بالحق لقطر تمكنتموه، وملك قبضتم عنان امره وامسكتموه. فقد جعل الله مقامكم كعبة الامال، وجمع فيكم ما تفرق من اخلاق الكمال. بارك لكم في العطية من وهبها، وراض (17) لكم متن المطية من ذللها واركبهـــا

وانا لما استجلنا غرر هذه الفتوح الضاحكة المباسم، والصنائع التي البست الايام اثواب المواسم، راينا غاية الشكر بعيدة عن ادراك البيان، وان الايجاز فيها والاسهاب سيان. فلو طالبنا بهذه الوظيفة (16 : ب) ابان (18) لما ابان، او دعونا لها سحبان (19) لكان في

---

16) الاهطاع : الاسراع في خوف.

17) راض : ذلـل.

18) هو ابان بن عبد الحميد اللاحقي من الشعراء الساسيين الموالي المنتصرين للفرس على العرب في مداراة. وكان عابثا محبا للجمال. تردد بين البرامكة والخلفاء - ولا سيما الرشيد - يمدحهم، وزاحم على ابوابهم ابا نواس ومروان بن ابي حفصة وسواهما. توفي سنة 300 هـ.
ويمتاز شعره بالسهولة وان لم يكن ممتاز الفن والرواء. وله شعر تعليمي ينظم فيه الحكم والمسائل الدينية وسواها كنظمه كتاب « كليلة ودمنة ».

19) هو سحبان بن زفر بن اياد الوائلي، من قبيلة وائل فرع من ربيعة. خطيب مصقع، ضربت به العرب المثل في البلاغة والبيان. ولد في الجاهلية، ولما ان ظهر الاسلام اسلم، ثم انتسب الى معاوية خليفة المسلمين، وعليه اعتمد معاوية في الملمات والمفاخرات، لقوة عارضته وسرعة خاطره. روي ان معاوية اراد مقاطعته وهو يخطب، فاشار اليه سحبان : لا تقطع على كلامي، ومع ذلك يقول له معاوية بعد انتهاء كلامه انت اخطب العرب ويرد سحبان : والعجم والجن والانس !!!
وكان سحبان اذا خطب تصبب عرقا. مات في خلافة معاوية سنة 54 هـ.

ميدانها الجبان ، ولو استعنا بعبد الحميد (20) لم تجده فيها حميدا ، او نبهنا لها ابن العميد (21) لاضحى عميدا ولو اردنا لبيدا (22) لانقلب بليدا ، ولو اقمنا لها الصاحب (23) لقعد ، او كلفناها ابن هلال لراها

20) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد من اهل الشام وهو من موالى بني عامر . وهو اول من اطال الرسائل ونظم مبتدياتها وختامها ، كل حسب الغرض ، كما اختط مواطن الاطالة والتقصير في كتابة الرسائل . تخرج في البلاغة والكتابة على ختنه ابى العلاء سالم مولى هشام بن عبد الملك ، وكاتب دولته ، واحد بلغاء العالم والنقلة عن اللغة اليونانية . وكان في بداية حياته معلما للصبيان ، حتى فطن اليه مروان بن محمد حين ذهب الى ارمينية لاخماد فتنتها ، فلما نجح في ذلك سجد ومن معه الا عبد الحميد ، فاستفسره فقال له عبد الحميد : ولم اسجد ؟ اعلى انك كنت معنا فطرت عنا ؟ قال مروان : اذا تطير معي . فقال : الان طاب لي السجود ، وسجد . فاتخذه مروان كاتبا لدولته وبقى معه حتى قتلا في عام 132 هـ على يد السفاح العباسي . وبالاجمال فعبد الحميد الرائد الاول لكتاب الرسائل ، ذلك انه اول من مهد سبلها ، وميز فصولها . ويعتبر مبتدىء هذا الفن بحق ، وبفضله ارتقت هذه الصناعة التي كانت من مهن الموالي حتى صارت بعده سلما للكاتب الى مرتبة ليس فوقها الا الخلافة .
وكانت لبلاغة عبد الحميد عمل السحر حتى جذب النفوس واستمالها ، حتى ان ابا مسلم الخراساني حين هب بالدعوة العباسية ، فكتب اليه عبد الحميد كتابا على لسان الخليفة ، فرفض الخراساني قراءته واحرقه ، وكتب على جذاذة منه الى مروان :

محا السيف اسطار البلاغة وانتحى ... عليك ليوث الغاب من كل جانب

21) هو ابو الفضل محمد بن الحسين العميد كاتب الشرق ، وهو فارسي الاصل من اهل مدينة (قم) . كان ابوه كاتبا مترسلا بليغا من كبار كتاب الدولة السامانية ، فنشأ محمد شغوفا بمعرفة العلوم ، وبرع في كافة العلوم ، وبوجه خاص في الادب والكتابة ، حتى اعتبروه قمة الكتابة ، وقالوا : (بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد) . ثم رحل الى ال بويه ، وما زال حتى ولوه وزارة ركن الدولة بفارس سنة 328 هـ ، ومكث بها حتى مات سنة 360 هـ .

22) هو ابو عقيل لبيد بن ربيعة العامري . من بني عامر بن صعصعة ، احدى بطون هوازن من مضر . امه عبسية ، وهو شاعر مصقع ، وفارس معمر ، ورث عن ابيه الملقب بربيعة المعتز بن الجواد ، وعن قبيلته التي انجبت عمه عامر ابن مالك ملاعب الاسنة الشجاعة والفتك . ولبيد شاعر مخضرم ، عاش في الجاهلية وادرك الاسلام فاسلم ، الا انهم زعموا زعما انه هجر الشعر في الاسلام .
وقد ورد في الصحيحين تفضيل الرسول صلى الله عليه وسلم لشعره ، اذ يروى عنه قال : (ان اشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد :

الا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل

ويقال انه قد حسن اسلامه وتنسك وحفظ القرآن كله . وبعد الفتوح ذهب الى الكوفة ايام عمر ومكث بها الى ان مات سنة احدى واربعين من الهجرة في اوائل خلافة معاوية .

23) هو كافي الكفاة ابو القاسم اسماعيل بن عباد ، كاتب المشرق ، ووزير آل بويه وكاتبهم ، توفى عام 385 هـ . لقب « الصاحب » لكثرة ما صاحب ابن العميد ، وعنه اخذ ادبه ، كما اخذه قبله عن احمد بن فارس . وقد قال عنه الثعالبي في اليتيمة : «ليست تحضرني عبارة ارضاها للافصاح عن علو محله في العلم والادب ، وجلاله في الجود والكرم ، وتفرده بالغايات في المحاسن ، وجمعه اشتات المفاخر » . كانت وفاته سنة خمس وثمانين وثلثمائة بمدينة الري التي اغلقت ابوابها يوم وفاته . وله مؤلفات كثيرة منها « المحيط » في اللغة ، وكذا رسالته المسماة « الكشف عن مساوىء المتنبي » لان المتنبي ابى ان يمدحه ، مع انه وزير وابن وزير . كما مدح ابن العميد فحقد عليه ، والقها فيه . هذا ، وبعد الصاحب صنو ابن العميد ، غير انه ــ وان كان ابلغ من سلك طريقته ــ قد اولع بالسجع والجناس

من ابيه ابعد . انما هو عذر بليغ ، واغضاء يسوغ .
ومن المعلـوم ان اوداء ذلـك المقام الكريم ان اخذوا من مسرته بحظ استأثرنا بجملتها ، او تمسكو منها بمذهب قمنا بملتها ، وان هنئوه بصنـع قدمنا هنـاه انفسنا به ، او توسلوا بذمام حب سبقنا في حلبة احبابه . وان حديث نصره الى هذه البلاد الاندلسية عائد ، ومدد سعادته في اقطار هذا القطر متزايد . فكيف لا تهلـل وجوه اهليها ، وتبدو الكآبة على العدو الذي يليهـا . وكيف لا ترتفع بالشكر ايديهـا ، ويقـوم على هضبـة الاستبشار مناديها ، بظهور من يكـف ايدي اعاديهـا ، ويتكفل بري صاديها . وان نبأ هذا الفتح في قلب العدو الكبير وعلى سمعه لأثقل من رضوى وثبير (24) . فمما لا يفتقر الى تمهيد وتقرير ، ان الجهاد لا يزال تجاه ذلك المقام الكريم ونصب عينه ، وان الظهور على اعداء دين الله دين لحامه ، وهو لا ينام عن اقتضاء دينـه . فما هم النفوس الكريمة الا اكتساب المناقب الفاخرة ، ولا بعد تحصيل الدنيا الا الفوز بالآخـرة (17 : 1) ولا وراء تمهيد الامة المسلمة الا قتال الامة الكافرة

وانا وجهنا كتابنا ليخطب في هذا الهناء ، بمبلغ الجهد ووسع الفناء . واخترنا للوفادة به من ينوب عنـا في هذا الغرض ، ويقوم للوقت بواجب المفترض . وهم صدور ايالتنا ، ودرر لباب عمالتنا ، فلان وفلان (25) وصل الله اعزازهم وكرامتهم ، ويمن ظعنهم واقامتهم . واوفدناهم على بابكم المقصود ، وشرعة ملككم المزدحمة بالوفود . وهم يلقون الى ودادكم في تقريـر ودادنا ، والتنبيه على مقدار اعتدادنا — ما نعلم ان قواعده لكـم غير مفتقرة للتقرير ، بما عندكـم من اشراق البصيـرة وشفوف الضمير . فتفضلوا بالقبول المعهود ، واوردهم من بركم اعذب الورود ، ومهدوا لهم جناب الاغضاء فيما قصروا فيه عن الغرض المقصود . والله تعالى يصل لكم اسباب السعود ، ويجعل عزمكم في الجهاد صادق البروق والرعود ، ويبقى منكم على الانام مثابة الجود وبحـر الوجـــود . والسلام .

حققـــه

د. محمد كمـال شبانة

---

24) رضوى ، جبل بالمدينة ، وثبير : جبل بين مكـة ومنى ، يمكن رؤيته من هذه الاخيرة ، وهو على يمين الداخـل مكـــة .

25) لم يفصح عن شخصية الرسولين ، كما لم تكشف بعد مصادر في هذه الفترة عن اسميهما . وهذه عادة لابن الخطيب في معظم رسائله . هنا ، حيث يكتـفي بـ «فلان» او «كذا» ، كما سبق في اول الرسالة «السلطان الكـــذا ...» .

الأدب العربي في مواجهة شبهات التغريب

للأستاذ أنور الجندي

من خلال نافذة الادب العربي حاول التغريب ان يلقي مزيدا من الشبهات ، والحق ان « الادب » قطاع خطير ، واسع الافاق منطلق غير مقيد . ومن هنا استطاعت الشعوبية والتغريب ان تجد فيه مجالا لكثير من الشبهات . ولقد كانت الف ليلة وليلة ، والرباعيات وكتاب الاغاني من ابرز هذه الجوانب .

والواقع ان تحديد دائرة الادب بالنسبة للفكر امر كان مصدر اهتمام كثير من الباحثين وذلك دفعا لما اطلق عليه (فريد وجدي) خطر التداخل بين دوائر النشاط العقلي المختلفة . وكف عدوان بعضها عن بعض . يقول العلامة فريد وجدي في هذا الصدد: «للادب امتياز خطير منحه اياه العرف البشري منذ نشأته ولا يزال يعترف له به الى اليوم ، وهو تركه حرا حيث شاء ويجري وراء الخيال في اية ناحية اراد ، فبينما نرى الناس واقفين بالمرصاد للفلاسفة والعلماء يحاسبونهم على الفتيل والقطمير فيما يقولون ويكتبون تراهم ازاء الادباء على اتم ما يكونون من التسامح فهم يبغون منهم كل المتناقضات جدهم وهزلهم ، تصوفهم وتهتكهم ، اعتدالهم وغلوهم حتى الحادهم وكفرهم ، ولسنا نميل الى الحد من هذه الحرية فان هذا الضرب من الفن لا يمكنه ان يؤتي ثمراته الا في جو من الاطلاق المحض متحللا من جميع القيود الفلسفية والعلمية لان من عناصره الخيال والخيال ان حد بحد ضاقت عليه المناوح ، وفقد اخص مزاياه فارتج على الاديب ولم يعد قادرا على الانتاج .

غير ان التواضع على بذل هذه الحرية للادباء حشر الى زمرتهم كل ثرثارة مغمور ، وكل متكلف مغرور وكل اباحي وممرور ومنهور وعاهر ممن جعلوا الادب مسرحا لاخس الرعونات النفسية وداعيا الى احط الميول الشهوانية ولكن هذه الحرية نفسها كفيلة على مر الايام بتهذيب الادب وتنزيهه وايصاله الى كماله في مقتبل الزمان .

ولما كانت الثمرات الادبية لانها مظهر على ما يتطلبه سحر البيان وفق الخيال .

وحديث الحياة من الثمرات الشهية الخطرة التي يجب ان تتناول بحذر واي شيء من ثمرات الافكار غير الادب تجد نفسك مضطرا لان تقف حياله تنظر ما يسمح به منه لاهلك وولدك واي مؤلفات الخيال غير الادب تستطيع ان تخرج ثلاثة ارباعه بضاعة زائفة ظاهرها انيق وفي باطنها السم الذي لا يبقي ولا يذر ، دفع كاتبيه الى تصيد الرزق بالتملق لاخس شهوات النفس وتناسى التبعة الملقاة على عاتق كل لعوب بالقلم ، واذا كان كلام لا يجوز ان يقرأ الا بشيء من التحفظ ومراعاة جانب الخيال والتلاعب بالالفاظ فيه فهو الادب .

وفي رأي وراي كل غيور ان الادب يجب ان يخضع لقانون الاخلاق القائم على حراسة الاجماع ، ولسنا ننسى ما جره تدخل الادباء في ما ليس من اختصاصهم في السنوات (1) العشر الاخيرة في المباحث الدينية فقد تناولوها على طريقة الماديين واثاروا فيها شكوكا لا محل لها منها ، ولو كانوا عنوا بدراستها دراسة علمية لما كان من اثر ذلك ان هاجوا الناس عليهم هياجا مشروعا ، ان الادب لو تجاوز دائرة اختصاصه كان اداة شر في ايدي محترفيه .

---

1) كتب هذا البحث عام 1932 .

فما للادباء وتحليل عاطفة الدين ، وكيف يرجى من اديب كل همه مصروف الى تحليل عاطفة الهوى ودرس ثارات الجوى وتسوير وقع الوعود الكاذبة وفضول العذال واللاحين وعدوان المنافسين والمعاكسين ان يتناول بالبحث اعلى عواطف النفس وهي عاطفة الدين يمثل اسلوبه الذي مرن عليه واستولى على شعوره وهي تستدعي اسلوبا يجافي ذلك الاسلوب ولا يمت اليه بصلة من درس النفس في حالة عزوفها عن الشهوات وترفعها عن الغرائز ر ا'يناهم يثيرون شكوكا لا تتجه الى الدين الذي بين ايديهم ويجرون في مباحثهم التاريخية والاجتماعية على غير الاسلوب العلمي من التحقيق والتمحيص ولو انهم تركوا هذه المباحث للاخصائيين فيها لكان خيرا لهم هو الذي يورطهم في بحوث لو وجدت نقادا اقوياء لالحقوا بمكانتهم الادبية ضررا بليغا ومن الامثلة القريبة على ذلك ان واحدا (1) من الادباء انتدب لالقاء محاضرات عن الادب في العصر الاموي

فكان مما قاله «ان الخليفة الوليد بن يزيد انما قتل لانه كان يود ان يعيش على ما يقتضيه فن الحضارة فكان جزاو'ه ان لقي حتفه ، فايراد التاريخ على هذا الوجه جناية على التاريخ وعلى حقائق الاجتماع ، ويشين الدين الذي ينتمي هذا الخليفة اليه ويسيء سمعة الشعب الذي ينزل هذا العقاب الوحشي برجل لا جناح عليه الا انه يريد ان يعيش عيشة حضرية ، فالذين لم يدرسوا تاريخ بني امية دراسة علمية يصدقون هذا الحديث ويستنكرون ما حدث له ويحكمون على شعبه بانه وحشي جاهل ، وعلى الدين الذي ياخذ به على انه خشن قاس. والحقيقة ان الوليد كان متجردا للهو والبطالة شغوفا بالفسوق والاباحة مستخفا بالدين مجاهرا بالكفر ، فهل هذه السيرة المعوجة من اهمال الرعية والانقطاع للهو والقصف والفجور تعتبر من مقتضيات الحضارة ، وقد استطرد الى ذكر الامين بن هارون الرشيد فقرنه الى الوليد في انه ذهب هو ايضا شهيدا لا يشاره الحياة الحضرية ، والواقع ان الامين هذا كان على مثال الوليد من التجرد للهو والفجور وتعطيل مهام الخلافة ، فهل في حياة الحضارة ان يهمل الخليفة واجبات الحكومة وينغمس في حماة الرذائل ، ويذهب في الاستخفاف بالامة هذا المذهب . ان التاريخ الاجتماعي لامة كالامة الاسلامية بلغت الى اوج العظمة الاجتماعية في جميع ضروب الحياة الفاضلة ، وحفظت تراث العلم من العلم والحكمة والمدنية قرونا متوالية حتى اصبحت معلمة العالم اجمع ، لا يصح ان يورد على اسلوب قصصي من هذا النوع ، فهذا الكلام ان لم يكن قد سبق به على هذا الوجه بقصد الاساءة لتاريخ المسلمين الاجتماعي فهو يدل على خلو من روح التحقيق العلمي ويقيم دليلا محسوسا على صحة ما نقول من ان الادب لا يجوز له ان يعدو طوره وان يتدخل فيما ليس من اختصاصه من المباحث الاجتماعية والدينية

* * *

وقد حاول كثير من الادباء الدفاع عن الاباحة في الادب بوصفها منهجا من مناهج الادب ، ومن هنا استطاعت الشعوبية والتغريب ان تسلل باسم المذاهب العلمية لترويج الدعوة الى المفاهيم المتصلة بالجنس والمجون والاباحة، وظهرت الوان من القصص تكشف خفايا العورات، وتغض من شأن الخلق والفضيلة وتصفها بانها تورث الكبت ، ومن هنا وجد الادب الهدام طريقه تحت اسم مذاهب فنية او دراسات علمية ، ومن هنا اهتزت مقاييس الخير والشر ودعى الى وصفها بالفردية ، وبدأت نظرة الى اعادة النظر في الحوادث الخلقية والاجتماعية

وقد واجه هذه الشبهات كثير من الكتاب والباحثين من هو'لاء احمد خاكي الذي يقول ان للجماعة اصولا عامة يجب ان يكون الفن احدى دعائمها والفن بجميع نواحيه دعوة عامة للخلق ، وقد ثار تولستوي بآيات الفن التي تحدرت من ثقافة اوربا ، وكل فكرة فنية لا تستقيم مع الشعور الديني فهي عن تولستوى ليست فنا اصلا

الف ليلة وليلة ، الاغاني ، الرباعيات
ـ الف ليلة وليلة ـ

رد المستشرقون كثيرا من الشبهات حول كتاب الف ليلة وليلة وحاولوا اعتباره مثلا لحياة العالم الاسلامي وقد ثبت ان بعض المرسلين الاجانب في بيروت هم الذين عادوا طبعه عام 1888 وحفلوا بنشره وتوالت نشره عن

1) يقصد الدكتور طه حسين

طريق دور النشر الموجهة من الاستعمار والنفوذ الغربي.
ثم جرت ابحاث متعددة محاولة تصوير القصص الذي يضمه الف ليلة وليلة انه يصور حياة العرب والمسلمين بصفة عامة وان اقل مراجعة لمصادر الف ليلة وليلة تكشف ان قصصها ماخوذة من المراجع الايرانية ، وقد نقلت الى العربية للتسلية ، وقد تأثر الايرانيون فيها باساليب الهنود القدماء وانها في الاغلب مجموعة اساطير هندية بدأت بحكايات « السباع الضواري » والمرجع الاول لها « هزار افسانه » بالفارسية ومعناه الف رواية ، وقيل ان الجيهاري هو الذي ترجمها الى العربية ، وقد حكى المؤرخ الكبير المسعودي المتوفى (659) في كتابه « مروج الذهب » عن وجود كتاب قديم بالفارسية او بالبهولية يحكي عن ملك وعن بنت وزيره شهرزاد وخادمتها دين زاد. وكذلك اشار النديم مؤلف الفهرست المتوفى 905 عن كتاب الف ليلة وليلة مجملا. وقال انه كتاب الحماقة والسيئات كما اشار اليه المؤرخ القرطبي وقد كانت كل اشارات الكتاب والمؤرخين العرب والمسلمين اليه اشارات مقبحة وعلى انه مصدر ساقط في انظار البعثات وعلماء العرب على حد عبارة الدكتور « سنيتي كمارجترجي » (1) ومعنى هذا ان كتاب الف ليلة اصلا كان سابقا للاسلام وان مصدره اساطير هندية وفارسية ، وقد ظل العرب يتناقلونه بعد ترجمته كوسيلة من وسائل التسلية ويضيفوا اليه حكايات جديدة ، كما اضيفت اليه في العهود المختلفة وآخرها عهد دولة المماليك مسامرات اهل بغداد والقاهرة فهو مجموعة من اساطير فارسية وتركية وهندية ، ومن هنا يمكن تقدير الموقف حين يراد به ان يكون مرجعا من مراجع دراسة حياة المجتمع الاسلامي ، بل المرجع الوحيد الذي اعتمد عليه كثير من المستشرقين والباحثين في تلاميذهم في محاولة لرسم صورة غير حقيقية وقد اشار الدكتور سنيتي « كما رجترجي » ان الحكايات الاصلية الواردة في كتاب الف ليلة هي التي يكون في منزلتها اساسة هذه الحكايات كانت مستعارة من الهند بواسطة الفرس.

وعندنا انه مهما تكن صورة الحياة التي ترسمها الف ليلة فهي ليست الصورة التي يرسمها المجتمع الاسلامي والمرأة التي تصورها الف ليلة ليست قطعا المرأة العربية او المسلمة ، فقد غير الاسلام نظرة المرأة الى الحياة وواقعها تماما ، فلم تكن اداة جنس ، او مصدر غايات حسية الا في مفاهيم المجتمع الجاهلي او الوثني وحتى بعد ان اضطربت الحياة السياسية في العالم الاسلامي فقد ظل هناك فارق واضح وحاجز كبير بين ما كانوا يسمونه « الغانية » وبنت الاصل.

والواقع ان الادب العربي يحوي عددا من مثل كتاب الف ليلة كالاغاني وكتاب المحاضرات والمسامرات، وهذه كلها كتب لم تكتب اساسا للتاريخ وانما لجمع الاسمار وقصص الظرفاء والندماء.

ولذلك لا يمكن ان تصبح مصدرا تاريخيا بل مصدرا تاريخيا وحيدا كما يحاول الشعوبيون ودعاة التغريب ، ولا مانع من ان تعين الباحث على صورة قطاع من المجتمع هو قطاع المترفين واصحاب القصور وهم طائفة قليلة لا يمثلون المجتمع كله وقد اثيرت حول الرواة والقصاص شبهات كثيرة تتعلق باخلاقهم وضمائرهم وباضافاتهم التي تتجاوز الحد.

واعتقد انه قد صار في اعتبار الباحثين منذ وقت بعيد ان كتب الادب التي يقصد بها عادة الى الفكاهة والسمر وكتب المحاضرات لا يجرؤ باحث او عالم على ان يعتبرها ميزانا يوزن به رجال التاريخ او تؤخذ منه تراجم العظماء ، او ترسم منه صورة الحياة الاجتماعية للامم.

واذا كان كتاب الاغاني يقصر حياة الطرف والمجون على طبقة معينة او مجموعة من الناس فانه اقل خطرا من الف ليلة التي تصور المجتمع كله على هذا النحو من الانحراف والتحلل. وقد كان لالف ليلة اثر جد مرير مع رسم صورة مشوهة عن المجتمع العربي الاسلامي ، وقد اضاف المترجمون الغربيون الى بشاعة الصورة التي يحملها الكتاب اضافات زادته فسادا فقد اشار (غالان) المستشرق الفرنسي الذي ترجم الف ليلة لاول مرة عام 1704 بانه « فرنج » الكتاب ليلائم ذوق قرائه ، وانه ركز صورة على رفاهية الشرق وترفه ، ورسم صورة الشرق الحيواني.

---

1) ثقافة الهند (يناير 1962).

وكان من نتيجة ذلك ان كتب كثيرون وفي مقدمتهم المستشرق (لين) كتابا عن المجتمع الاسلامي اعتمادا على الف ليلة ، واثار ريتشرد بيرتون (الانجليزي) في مقدمة ترجمته انها ترجمة تهدف الى « ان يتعرف اهل وطنه بما فيه الكفاية على طباع المسلمين وعاداتهم واخلاقهم ليكون لديهم الحنكة الضرورية ليحكموا المسلمين الواقعين ضمن امبراطوريتهم » (1)

* * *

وقد تابعت تطور اعادة طبع الف ليلة منذ اوائل هذا القرن فوجدت ان الموسوعين في بيروت هم اول من اعاد طبعها وتابعهم في ذلك الهلال في مصر 1901 ومن عجب ان مجلة الهلال (يونيو 1903) تذكر ان الف ليلة تمثل احوال العصور الاسلامية الوطني وتمثل عادات اهلها على اختلاف طبقاتهم مع بيان اخلاقهم وادبهم في مجالسهم واحاديثهم . ولا شك ان جورجي زيدان كان جاريا في هذه الشبهة مع دعوة التغريب كما عرف عنه في مختلف كتاباته في ادب العرب ، والتمدن الاسلامي .

وقد اشار الدكتور صروف الى مدى اهتمام المرسلين به فقال (يوليو 1888 ـ المقتطف) هذا الكتاب اشهر من نار على علم ، ولذلك طبع في مطابع مصر والشام وراحت بضاعته ولم يدر في خلدنا ان الجزويت يزاحمون ابناء البلاد على طبعه واكتساب ارباحه وهم يدعون انهم انما اتوا البلاد لتنوير اهلها وتحسين احوالهم ، الم يكن الاولى بهم ان يطبعوا لهم كتابا في الطبيعيات او الكيمياء او الصناعة او الفلاحة او نحو ذلك من العلوم والفنون .

ولا يقف الدكتور صروف عند هذا الحد وهو يعلم انه ليس اكتساب الربح وحده هو هدف طبع هذا الكتاب ونشره ، بل يقول « ولولا اننا نحب ان يظن الناس خيرا لقلنا ان هذا الكتاب وامثاله من كتب الادب ما اعتنى اولئك الادباء بنشرها الا ليتزاحموا ابناء البلاد عليها ويسبقوهم الى الربح منها ويلهوا بها القراء من اهل الوطن عن طلب ما ينفعهم نفعا حقيقيا .

* * *

كما اولى المرسلون في بيروت اهتمامهم بالاغاني فقد عني الاب انطون صالحاني في ديسمبر 1909 باستخراج ما في روايات الاغاني وعلق عليها حواشي

* * *

الرباعيـــــات

اما رباعيات الخيام (2) فقد تردد انها مدخوله على عمر الخيام فلقد اعطيت هذه الرباعيات اهمية غير عادية ، وحمل الانجليز لواءها ، فنشروا هذه الرباعيات وترجموها ، وتنافس الادباء في ترجمتها . ولم يعرف في ترجمة الخيام انه شاعر ، بل عرف في تاريخه المدون بانه رجل رياضي عالمي ، برز في الفلك والرياضيات والجبر ، ويبدو ان هذه الرباعيات المنسوبة اليه لم تظهر الا بعد ان انقضى اكثر من قرنين ، بدت قليلة ثم اخذ حجمها يتزايد مع الزمن على حد قول الدكتور محمد عبد الهادي ابو ريده ، الذي قال : انـه ليس لدينا مـا يثبت نسبتها للخيام اثباتا يقينيا

وقال الدكتور ابو ريده انه نظرا لان المؤرخين المعاصرين لم يذكروا للخيام رباعيات فان من العلماء من يشك بحق في نسبة الرباعيات اليه ولا احد منهم اشد غلوا في حكمه من المستشرق الالماني (هـ هـ شيدر) في بحث القاه في مؤتمر المستشرقين بمدينة «بون» بالمانيا 1943 ويعتمد شيدر على راي المعاصرين في الخيام وحملتهم عن امر الرباعيات وعلى التراجم التي كتبت عنه في تابعها التاريخي ، ويستند فوق ذلك الى ما في مؤلفات الخيام العلمية المعروفة من روح اليقين العلمي ، فيرى ذلك معارضا كل المعارضة لما في الرباعيات وينكر بذلك كل علاقة بين الرباعيات وبين الخيام . ويعد الخيام من كبار المتمكنين في العالم الاسلامي ومن ممثلي العلم الحر ، ويلاحظ ان الهجوم على الخيام بدأ من دوائر الصوفية في اوائل القرن الثالث عشر الميلادي والسابع الهجري . وقال ان ما ذكر من وسم الخيام بالالحاد والزندقة ليست من ترجمة الخيام في شيء والى ان الخيام التاريخي ان يمحي اسمه من الشعر الفارسي

---

1) اقرأ فصلا عن الف ليلة في كتابنا (الثقافة العربية المعاصرة في معركة التغريب والتعوبية) .

2) اقرأ فصلا كاملا عنها في كتابنا (الثقافة العربية المعاصــــرة)

بمناسبة ذكرى عيد العرش،

حسن غدوت بكل ارض آية

للشاعر عبد الكريم التواتي

ايام عيدك رونقيت ايابيا   فشدوت اسعادا وصغت قوافيا
واتيت اسمع للزمان حديثها   وابث اروع ما وعت اشعاريا

* * *

لسليل اكرم والد حفلت به   مهج الورى ، لك اخلصت احنائيا
وتطلعت لك اعيني ، وترنمت   بجلال عيدك مهجتي ولسانيا

* * *

في عيد عرشك للحياة روائع   الله اودع بعضها انشاديا
وبسر عيدك بشرت آياته   فتلا الربيع بيانها متباهيا
فعلى الربى ازهاره ووروده   وعلى الوجوه بدا بهاه امانيا
رقصت لمقدمه القلوب تهزها   دنيا الربيع ، نسائما واغانيا
وكسا الرياض رواؤه ، فتناشدت   طير الرياض بشائرا وتهانيا
ضحكت لها رسل النسيم نوازعا   للحب ، تهديه النهير الساجيا
فمضى النهير يسر في همساته   للنيرين سروره المتناهيا
ووعى الخرير حديثه فاذابه   نغما يهدهد شعبك المتفانيا
فاذا شغاف قلوب شعبك فرحة   كبرى ، تبادلك الوداد الصافيا
واذا الحياة امام شعبك جنة   اجريت فيها انهرا وسواقيا
هي انهر العطف المضمخ بالرضى   تزجيه اخلاصا لشعبك وافيا
وبهاء عهدك ، يا لعهدك انه   حب يفيض تعاهدا وتواصيا

* * *

حسن ، وباسمك في المواقف كلها   يدعوك شعبك مطمئنا راضيا
لك في النفوس محبة ومهابة   وهبت لشعبك قوة وتآخيا

ورجال شعبك صفوة سباقة   للمجد تهواه ، وتهوى الساعيا

وراوك تطمح للخلود مناضلا   وراوا نضالك نادرا ومثاليا

وراوا جموحك للعظائم لا يني   فمضوا اليها هادفين هواديا (1)

وهنوا اليك مؤيدين ولاءهم   ومبايعينك باذلين تراقيا

وبك اقتدوا ، وحماة عرشك فتية   وهبوا لعرشك انفسا ونواصيا

وهم البناة لمجده ، فاخبرهم   تجد الاساود مهطعين ضواريا

تخذوا الاباء شمائلا وتسربلـ   وا الاقدام والجلد القوي العاتيا

وكذاك شعبك ، ان شعبك جنة   ورقى لعرش لم يزل لك هاويا

فلو ان شعبك ، والعزائم الفه   رام السماء بك ارتقاها عاليا

ولكان ربك ايدا وقضاؤه   أزرا ، وروحك للعزائم هاديا

بك ادركوا ما املوا ، فاذا العلى   ملك لهم ، يرقون منها مراقيا

وبكل ميدان اتوه ، تربعوا   فيه الذرى ، وتسنموه اعاليا

* * *

حسن ، ابيت ، وفى ابائك ارادة ـ   الا تكون مدى الحياة عصاميا

فجرى القضاء بما تريد مؤمنا   وكسا مقامك سؤددا وتعاليا

وراك تطمح ما تني متطلعا   للمجد تبنيه ، فكان الهاديا

ومضيت ، والشعب الوفي مبارك   خطوات سعيك ـ راشدا متفانيا

تعلي مناثر ما الاوائل اسسوا   وتشيد تالدهم طريفا باقيا

ابدا تروم من العلى آفاقها القصـ   ـوى ، وتنسج فى الحياة مثاليا

وبك المحامد قد سمت آطامها   وعليك تضفي بردها المتراميا

ولانت اصدق من رايت مواقفا   ولانت انبل مقصدا ودواعيا

حسن الاوائل والاواخر مفرد   ظلموا زمانك اذ دعوه الثانيا

ابدا ، فما حلم الزمان بمثل ما   أوتيت توفيقا ورشدا الاهيا

ولقد حبيت من المناقب خيرها   واجلها وبلغت منها مراميا

* * *

يا ابن الرسول ، ابيت الا أن ترى   فى الصالحات لك المقام الراسيا

تحملت اعباء ينوء بثقلها   شم الجبال وقد خلقت عصاميا

انت الخلافة تجتبيك ، وما لها   الا ك ، يحمل عبئها متماديا

واتتك ترفل فى سناء جلالها   وتعشقتك زعيمها والراعيا

---

1) من الهادي بمعنى الاول والمقدم

وبكل طوع اسلست لك امرها ... الله سخرها ، عطاء باقيا
وحملت — اكرم حامل — اعباءها ... وادرت — مقتدرا — مداها الطاميا
وبحنكة الدرب الخبير تسوسها ... ولقد بلغت بها المقام الساميا
ومضيت فى جلد تقود امورها ... لتقيم مجدا او تشيد معاليا

* * *

شهد المهيمن والملائك ، انما ... ايام عيدك ، لم يزلن غواديا
فهما لها الشعب الوفي بريها ... ولها يصفق مستهاما شاديا
وتطلعت لروائها احناؤه ... فتراقصت جذلا ودوت عاليا
فاذا الحناجر بالدعاء جهيرة ... تدعو ، وتهتف : دام عهدك باقيا
هتفوا : تعيش ، وانت رمز وجودهم ... ويعيش عرشك مشمخرا ساميا
امنوا بعهدك ان يدوم رخاؤهم ... وراوا لعهدك امنهم متتاليا
ورجوك ، حين كبا الزمان بامرهم ... فأجبت صرختهم ، وكنت فدائيا
ورايت نجدتهم اجل سعادة ... فراوك اول ، والسعادة ثانيا

* * *

حسن ، سننت مبادئنا يغرى بها ... ورفعت للوطن المفدى ناديا
ووضعت للبلد الحبيب دعائما ... تحذى ، ودستورا له اسلاميا
ودعوت شعبك للبناء ، فرامه ... حبيا ، سواعد تارة وعواليا
ومضى شبابك يسرعون خطاهم ... لمصيرهم متآزرين — رواسيا
وعلى الوفاء تعاقدوا ، يحدوهم ... ان يغمروا الوطن الاثير أياديا

* * *

وراى الظما فى راحتيك ، حياءهم ... فاستمطروك لهم ، وكنت الجاديا (1)
وعطفت ، ترجو من الهك رحمة ... الا له موليكها ، وحمدا داويا
فشرعت — تنشد للبلاد رخاءها — ... خطط السدود ، وخضتها متباريا
وبثثتها طول البلاد وعرضها ... وسقيت اظماها زلالا صافيا
فعلى رمال البيد شيدت (زيزنا) ... واقمته سدا غزيرا طاميا
فاذا المفاوز من جداه جداول ... تروي الروابي والنخيل الصاديا
واقمت « اوريكا » ففاض نعائما ... وسقى الظماء ربى وشايا شافيا
وعلى السهول « بعادل » فجرته ... ثرا دهاقا صيبا متراميا
نهل الجنوب غديقها فافاضه ... صببا تلقفه الشمال عواديا

---

(1) معطي الجدوى

فاذا بنوه من نداك وسيبه ... شهدوا الرخاء : حواضرا وبواديا

* * *

واتمت فى كل الشطوط مواخرا ... ومن الاجاج عصرت عذبا راويا

وبكل صقع قد اتمت معاملا ... ومصانعا ، ومعاهدا ، ونواديا

* * *

وعلى مشارف ارضنا وخدودها ... اسدا اقمت على العداة ضواريا

تخذوا الاباة معاقلا واستلأموا الا ... خلاص والحق الصراح الباديا

* * *

حسن غدوت بكل ارض آية ... تتلى ، فتلهم سامعا او شاديا

فعلى ضفاف القارتين (1) شهادة ... صدعت بها « نيورك » قولا ضافيا

وتحدثت موسكو بأصدق خبرها ... والشرق ايد هديها والراويا

ودعوت تآمل ان يسود محبة ... اضحت شعارك مهديا او هاديا

وغدت لشعبك مبدأ لا ينثني ... يدعو اليه محافلا واناسيا

* * *

ابني العروبة والعروبة فكرة ... قد صاغها « حسن » هدى ومعانيا

الدين وحد بينكم ، فلم الهوى ... والضاد اكسبكم وجودا ذاتيا

فدعوا التفرق والتنابز بالكنى ... والعروة الوثقى اجعلوها الهاديا

* * *

وكذاك ناديت العروبة مخلصا ... ودعوت شعبك فاستجاب الداعيا

* * *

فاذا أفضت بمدح عرشك واجتبى ... قلبي سناءك واصطفاه جنانيا

وشدوت نشوانا بعيدك ناظما ... شدوى فرائد تحتذى وقوافيا

فلقد وجدت بمدح عرشك راحتي ... ووجدت آفاقا تجيش دواعيا

ووجدت عيدك فرحة ونعائما ... الله اسبغها البلاد تهانيا

ورجوت ، يا ملكي — ومثلك يرتجى ... — للشعر عطفا طيبا سلطانيا

* * *

فاليك ارفع مخلصا متواضعا ... شعري ، يترجم ما يكن جنانيا

فرحا بعيدك ان تدوم عهوده ... وبعيد عرشك ان يدوم وراثيا

فتمل بالعيد السعيد مباركا ... واسلم لشعبك مجتبى متعاليا

فاس — عبد الكريم التواتي

(1) اعني أروبا وامريكا .

مآثر وأمجاد ١

إنا بهذا العرش عشنا سادة

للشاعر محمد عرفة الفاسي

يوم اغر على البلاد سعيد فيه علينا قد اطل العيد

يوم لعهد مشرق تزهو به ارجاء شعب مخلص وتميد

تتجاوب الاصداء فى جنباته سهل برتل ما تردد بيد

اوما رايت البشر يغمر ارضنا في كل صقع فرحة ونشيد

اوما رايت الشعب يهتف كله عاش المليك يظله التأييد

دامت الى الملك الهمام المرتضى « حسن » الشمائل عزة وخلود

ورعى الالاه العرش و «الحسن» الذي حسنت به فيما نروم جهود

له يوم باسم اكرم به يوما وحقك انه مشهود

له عرش قد حبانا منة اكرم به عرشا حماه جدود

بنيت على تقوى دعائم صرحه انا له دوما حماة صيد

انا بهذا العرش نحيى امة علم الفخار بجيشنا معقود

انا بهذا العرش عشنا سادة لم يستطع اذلالنا صنديد

انا بهذا العرش اجلينا العدى وغدا لنا فى العالمين وجود

تهنيك مولانا « الشريف » مفاخر لكم يخلص فضلها ويعود

اسست للاسلام اعظم دولة شمل البلاد بفضلها التوحيد

خلفت للابناء احسن منهج في الحكم يهدي للعلى وبشيد

العدل والاحسان صانا عزه والعلم رائد مجده ورشيد

لبيك يا سبط البتول فهذه آثار صنعك كلها تمجيد

خططتها فمشى على منوالها ابناؤك الشم الاباة الصيد

اني لاذكرهم واذكر انهم لم يثنهم عن نصرنا تهديد

ورثوا المفاخر كابرا عن كابر وكذا الاباة يزينهم تشييد

اني لاذكرهم واذكر اننا بالعرش نفخر دائما ونسود

لم تعرف الدنيا سوانا امة حفظت لها من معتدين حدود

لم تعرف الدنيا سوانا امة نزل الرخاء بارضها والجود

يا من سمت شرفا مناقبهم فلم يبلغ بوصف ما اتوه قصيد

ماذا اعد من المحاسن انه بحر وظل وارف ممدود

يكفيكم يا آل بيت المصطفى — عرشا يدافع عن حمى ويذود
يكفيكم « حسن » البلاد المجتبى — من عرشه فوق العروش عتيد

* * *

يا شعب قد وفيت مثل العرش ما — لسن الزمان بحمده ترديد
هذا مليكك قد تحمل صابرا — ما المجد راع ذكره وشهيد
قد خاض معركة الكفاح بقوده — عزم يخر لبأسه الجلمود
عاش المراحل كلها بعزيمة — تبني وتنجز ما ترى وتريد
قاد الشباب الى المدارس عالما — ان الجهالة ذلة وقيود
نادى الى نبذ التفرق والهوى — وسفاسف لجهودنا ستبيد
خطب الجامع شارحا سنن الهدى — وموضحا ما السير فيه يفيد
اكرم به بطلا عظيما انه — شبل ابن يوسف سره المحمود
اسعد به عهدا تفتح زهره — وبدت له بين الغصون ورود

* * *

مولاي يا ملك البلاد ومن له — فضل التحرر والبناء يعود
الله يشهد انك الحامي الحمى — ولانت نعم المصلح الصنديد
الله يشهد اننا بجهودكم — قد حالف استقلالنا التسديد
وتوطدت للشعب نهضته التي — تنمي وترفع شانه وتزيد
وغدت لرايك في الشعوب مكانة — والراي منك على الدوام سديد

* * *

مولاي ان صدح الهزار واطربت — نغماته واستعذب التغريد
فانا بمدحك لا ازال مغردا — لحنا يقدمه اليك قصيد
فاسلم وواصل ما بدات لكي ترى — نور التحرر بالجنوب يسود
ان الصحاري قطعة من ارضكم — لن نطمئن وصقعها مصفود
ولتحي دوما للعظائم انها — دوما ببابك رحلها موجود
ولولي عهدك راعيا ولاسرة — برياض علم تزدهي وتفيد
مولاي عشت مؤيدا ومتوجا — بشرى بيوم حل فيه العيد

الرباط في 3 مارس 1967
محمد عرفة الفاسي الفهري



ابن زيدون

مسرحية شعرية في أربعة فصول

للشاعر علال بن الهاشمي الفيلالي

نفحات من « الفردوس المفقود » تجمع بين التمثيل والشعر والغناء ... وصور حية للنوادي الادبية .. حيث الحب والجمال والغزل والسمر ... وجولة فى قصر « قرطبة » وشوارعها مع نشيد الجند ، وحانات الندمان .

الشخصيات :

ادوار رئيسية :

احمد بن زيدون
ابن عبدوس « الشاعر »
ابو بكر « قاضي قرطبة »
ابن المكري « الوزير »
ابن جهور « عميد الجماعة »
ولادة بنت المستكفي
ابو الوليد ابن عميد الجماعة
عائشة المغربية « العجوز »
«ماري» او مريم الاسبانية

ادوار ثانوية :

محمد بن عباس
عبد العزيز حسن
ابو عبد الاله المغربي
ابن الحناط « الشاعر الكفيف »
منية النفس « المغنية »
ابو خالد « البهلواني »
بعض الحراس

الفصل الاول
(مشهد واحد)

المنظر :

غرفة ذات تاثيث بسيط ، وذات نافذة جانبية تظهر مغلقة . ولها مدخلان : داخلي وخارجي . والغرفة كانها خاصة بابن زيدون الذي يرى فى مكتبه وحيدا . الوقت صباح وابن زيدون ينشد بصوت عال يجمع بين لذع الاسى ، وثورة النفس .

ابن زيدون :

اصبو الى مجد الحياة ، ومهجتي — ولهى ، ومالي فى الحياة نصير
بالامس ملت مع الصبابة والهوى — واليوم دمعي فى الجفون غزير
يا قلب .. هل تندى الظلال وريقة — وتميس فى الغصن الخضير زهور
ام ان نفسي فى الحياة صريعة — ما رف فيها من اساك سرور

«يسكت قليلا ، ثم يتابع وقد اتجه ببصره الى السماء»

اسمعي يا سماء خفق فؤادي — عاش طيرا بين الضلوع سجينا

نسي الفجر في الليالي الدواجي   وقضى عمره الغضير حزينا
كم جرى زورقا الى الشط ، لكن   غمر اليأس شطه المأمونا

« ثم يطرق كمن يتأمل »

كيف اسلو ... ؟ وحب « مريم » في القلـ   ـب ، اقاسيه صبوة وجنونا
حرت ما الحب ؟ ما الهوى ؟ اين مني   من يريني سر الغرام المصونا

« في هذه الاثناء يكون صديقه «ابو بكر القاضي» اتى لزيارته ، فيسمع صوته الثائر ، فيدخل الغرفة شبه مفتون ، فيجده مكبوبا على وجهه ، فيرفع راسه بيده قائلا :

ابو بكر : يا اخي ... ما بك ... اعتدل ...

ابن زيدون : لا تلمني   قد سمعت الصدى للوعة صدري

ابو بكر : اي شيء تشكوه . ؟

ابن زيدون : لا شيء ...

ابو بكر : ما لي   كنت اصغي الى صراخ امر

ابن زيدون : كنت اتلو شعرا حزينا ..

ابو بكر :

فحاذر   كم تكون الردى قصيدة شعر
لا تطع قلبك الحزين من الشجـ   ـو ، وحكم نهاك في كل امر

فابتسم للحياة
طاهر كالصلاة
تائها كالظلال
عابدا للجمال

« يسمع وقع اقدام تقترب .. ويكون اصدقاؤه : ابن عبدوس ـ عبد الله بن المكري ـ ابن الحناط الشاعر الضرير ، قد حضروا كعادتهم لتبادل الرأي ومساجلة الاشعار ..»

الجمع (يدخل) السلام عليكم

ابن زيدون : وعليكم مثلها

« مشيرا الى المقاعد »

تفضلوا ... زرتم صديقا اضرمت   من حزنه في القلب نار عذاب

الجمع : نحن الفدا ...

ابن عبدوس : واي شيء تشتكي ؟

ابن زيدون : قلبي عليل .. يا رفيق شبابي

ابن الحناط «الكفيف» (لابن زيدون) :

مهلا .. اما يكفيك انك شاعر   تعليه قرطبة على الادباء
لك في ربوع الانس شعر .. قد غدا   سلوى الحزين ، وبهجة السعداء
لك في المجون قصائد .. قد اصبحت   شرك الغواني .. او لحون غناء
ابن زيدون

ابن زيدون : ما تقول .. ؟

عبد الله بن المكري « الوزير » اردنا   منك شعرا .. انشدته في النادي

ابن زيدون : اي شعر ... واي ناد .. ؟

ابن المكري : رويدا   هل تناسيت يوم كنت الشادي

ابن عبدوس : هل تنسيك فاتنة النظرة (ما   ري)

ابن زيدون : تذكرت .. يا لغر فؤادي
كنت اتلو بحفل « مريم » من شعر   ي .. مبينا عن لوعتي وسهادي

هو شعري الاخيـــر .. لا غرو .. لكن شئت الا يروى .. فهل نلت عذرك ؟

ابن المكـري : نحن نهوى قريضك الحلو

ابــن زيــدون : شكـــرا بعـــد ان مـــزق النشيـــد سيدرك

ابن عبدوس (في تهكم)

قد سمعنا بأن « مريـــم » في النـــا دي تحب الغنـــاء ان كان شعـــرك
ارغمت « غاية المنى » أن تغنـــي لك شعرا كي ترفع اليوم ذكرك ؟

ابن زيدون «متاثـــرا» :

انا اسمو عـــن ان تشيد الغوانـــي بقريضي .. ويحي متـــى كنت غـــرا
انني يـــا حيـــاة شاعرك اليـــو م ، نفكي عـــن صيحة القلب اسرا
شاعر الحـــب والجمال .. وسيفـــي في الوغى كالمنون يبتـــر بتـــرا

ابـــن عبدوس : امطري يا سماء عفـــوك .. مهـــلا قـــد مزحنـــا .. وانت بالقلب ادرى

ابو بكـــر : « وقد حمل اليه الاثير صدى اصوات آتيـــة من الابعـــاد ، فيصيح وسط الجمع) :
اي شـيء سمعته ؟

ابـــن الحناط : فاصيخـــــــوا في الطريق البعيد رجع نشيـــــــد

ابو بكـــر : افتحوا للنسيـــم نافـــذة البيـــــــت ..

ابـــن زيدون : سمعت الصدى لصوت الجنود

ينصتون جميعا ، واذا بهـــم يسمعون هذا النشيد من فم الجنود الذين سيرونهم من الشبـــاك :

نحـــن ابنـــاء العـــرب (1)
نحـــن جند المجـــد ، ابطـــال الغلـــب
نعشق المجد ونعلـــي كـــل حـــر عـــاش يداب
كـــم بنينـــا مـــن حيـــاة حـــرة بعلوم وفنون وادب

*

بنى الاسلام مجدكمـــو تسامـــى ، ونلتم فوق ما املتمـــو مـــن رجـــاء
نحن في الكون اخـــوة جمعتنـــا وحـــدة الديـــن في ظـــلال الاخـــاء
ومـــا نحـــن الا اخـــوة بيد المنـــى نشيـــد ركنـــا للعروبـــة ممتـــدا
قل للحياة : اذا شاء المعنى عرب ، ضموا الصوف ، وساروا نحوها صعدا
نفديك «اندلـــس» الجمال بانفس حـــرى ، ونرجـــو للقلوب اتحادا
نحن جند البلاد نحمي حماهـــا ونـــرى فينـــا قـــوة وعتـــادا
نغني مـــن علاها لنـــا نشيدا وفي ساح الوغى تفني عداها
ما نرى العيشة الا عـــزة اي روح حرة ليست فداها
نعشـق المجـــد ، ونعلي كل حـــر عـــاش يداب

نحـــن جنـــد المجـــد ابطـــال الغلب
نحـــن ابنـــاء العـــرب

ابـــن عبدوس : انهم راجعـــون من قنص الصيـــد ..

ابـــن زيـــدون : وهم لو يـــدرون اول صيـــد

جهلوا نفسهم .. فساروا على الـــدر ب ، وعاشوا في الكون من غير قصد
اسمعوا .. انني سكبت دموعـــي واثار النشيد كامـــن وجـــدي
ويح نفسي .. هل شعب اندلس اليو م سعيد ، يرمي العدو كفـــرد
ام دعتـــه الاحقـــاد ان يتحـــدى بعضه البعض في يـــد المستبـــد

---

1) اجريت هذا النشيد على عدة بحور شعرية تبعـــا للحركة الصوتية اذ يسمع من البعيد .. قليلا .. قليـــلا .. الى ان يستوي ، ثم يضعف .. قليـــلا .. قليـــلا ..

ان هذا الاسلام اضحى غريبا   فى بلاد احيت به اي مجد
كيف صرنا طوائفا .. أ كيف صرنا   فى اختلاف بعد اتحاد وود
وولاة البلاد اودوا بحب   ضم كل القلوب فـي ظل سعد
كي يشيدوا لنفسهم سلطة المـ   ـلك على ربع قرية ليس يجدي
كيف يغدون فى سبيل هواهم   يندون الامجاد افدح واد
يستعينون بالعدو .. اذا ما   طمعوا .. شاهرين سيف التعدي
لهف نفسي .. تالبوا مع عدو   كي يكونوا لجار اكبر ضد
ايها المسلمون فى كل جيل   وحدوا الراي فى اقتراب وبعد
كي تكونوا على العدو جحيما   اشعلتها ارادة للمجد
يا ابن زيدون ان هذا قضاء   هل يطيق الوجود للحكم ردا .. ؟
كيف يهدي الاله قوما تعاموا   ثم زادوا عن دينه الحق صدا
ليس يكفينا ان نقول : قضاء ،   ثم نغفوا مثل النيام ونهدا
نحن فى ثورة الشباب ، وتلكم   امة المجد ، تنكر اليوم ودا
لو دعونا الى اتحاد متين   كي يعيد الوفاق للناس عهدا
ثم نبني على حياة اخاء   باذخ المجد عاليا مستجدا

ابن الحناط : على شرط ان تنسى النفوس حقودها   وكل امين للجمع مطاع
الا .. ان شعبا فى السلاسل موثق   عليه ولاة قد غواهم طماع
لشعب كسير الروح .. لا يملك المنى   ولا فكره بين الشعوب مشاع

ابن زيدون : اذن « يا ابن الحناط » لم يبق عندنا   سوى ان نرى الاراء كيف تذاع
نجند منا كل فرد ، ونفتدي   جنودا .. هوانا فى الحياة صراع
ليرجع هذا الشعب وحدته التي   مضت بسناها فتنة ونزاع

ابو بكر : حين اصغيت للنشيد شجاني   ما اضعنا من وحدة واخاء
(يردد ما كانت الجنود تقوله) :
« نحن فى الكون اخوة .. جمعتنا   وحدة الدين فى ظلال الولاء »
هكذا نجمع الصفوف ، ونعلي   راية الشعب فى غضارة ظل

ابن عبدوس : (وكأنه اراد ان يحول موضوع الحديث ، لانه وابن المكري وزيران لا يليق بهما ان يخوضا فى مثل هذا الحديث ..)
كل تلك الاراء ـ يا صاح ـ فى النا   دي اثيرت ... فلم تكن غير قول

ابن المكري : ماذا جرى بالامس فى ناديكم
ابن عبدوس : اتراك لم تحضر ؟
ابن المكري : اجل يا صاح
ابن عبدوس : ما كان اروعه ..
ابن المكري : واي شيء زانه
ابن عبدوس : « ولادة » مثل الشذ الفواح
الشعر وحي عيونها .. واللحن نبـ   ـر كلامها كالبلبل الصداح
يسبيك سحر جمالها .. فكأنها   فى ذي الحياة عروسة الافراح
تتلو بصوت ناغم شعرا لها   يصبي كصرف الخمر فى الاقداح
حتى انتهت .. والجمع يسمع ذاهلا   نغماتها تنساب فى الارواح

ابن زيدون : هل تذكر الآن النشيد جميعه
ابن عبدوس : بل بعضه ..
ابن زيدون : نرجوك ما تستحضر
ابن عبدوس : قالت ـ تداعبنا .. وتذكر واصفا   لجمال راقصة سباه المنظر :
يا معشر الشعراء .. اصبح شعركم   لحنا يعاد ، ونغمة تتكرر

ان هـاج روحكم الجمال بسحره — تلتم (هلال) او (غزال احـور)
الحب لـم يفتح امـام جفونكم — دنيا الخيـال .. كأنكم لم تبصـروا
لو صغتم اللحن الجديد مرتـلا — يجلي لنا فكـر الوجـود ويظهـر
وسكبتمـوه في الحيـاة كنغمـة — شعريـة تصبـي الفؤاد وتسحـر
لغدوتمو صوت البـلاد وفخرهـا — وهفا اليكـم ذا الوجـود الاكبـر
حسـن الطبيعـة ساحر بجداول — رقراقـة منهـا البلابـل تسكـر
وتمايل الزهر الزهي علـى الربـى — قد زانـه الغصن الرطيب الاخضر
هذي المناظـر .. لو اردتم وصفهـا — جئتـم بوصـف واحـد يتعثـر
بالامس .. رتـل شاعـر نغماتـه — في وصف راقصة .. تميل .. وتطفر ..
فسمعتـه يتلـو صـلاة .. قالهـا — تلب ذرتـه في التـراب الاعصـر
قد حاكها الشعراء .. حتـى اصبحت — ميتـا .. ولكـن اين منا المقبر .. ؟
ازياؤكم بليت ، واصبـح فكركـم — رهن القيود ، فشيدوا او دمروا ..»؟
والى هنا وصلت .. وكان بكمهـا — شعر لهـا ..

(ثم احس كان ابن زيدون يتأهب لسؤاله فقال :

لا شيء منـه انكـر

فتلتـه معجبـة بانغـام رنـة — فتنت قلوب الحاضريـن فاكبـروا

الخـادم : مولاي (عائشـة) اتت

ابـن زيـدون : اهلا بها

عائشة المغربية : السلام عليكـم

الجميـع : وعليـك السـلام »

عائشة المغربية : انتم هنـا

ابن عبدوس : (وقد استعد ان يجلسها) تفضلـي

عائشة : (التي ركزت نظرها على ابن زيدون ، وهلي‌ترد علـى ابن عبدوس ، وتتملص من الجلوس : لك اشكر

ثـم تتقدم نحو ابن زيدون :

ما لابـن زيـدون الهمام مفزعـا

ابـن زيدون : (وهو جالس وقد رفع راسـه اليها) : اني كما احيـا .. وهل اتغير .. ؟

ابن عبدوس : (وكان موقف عائشة لم يرقه ، فاراد انيفسـد عليهـا جـو المذاكرة مع ابن زيدون ، فتوجه اليه بالخطاب :

دعنا نتم حديثنـا

الجمـع : اتمم لنـا ما كـان

ابـن عبدوس : بعد سكوتكم

عائشة : (لابن عبدوس) بم تخبر .. ؟

ابـن عبدوس : اني لاخبرهـم بنـادي الامـس

عائشـة : اتمم مـا بـدات .. فانهم لم يحضـروا

(عائشة تجلس الآن ، بينما ابن عبدوس يتابع حديثه :

ابن عبدوس :
لمـا انتهت .. سرنـا نتابع بحثنـا — في وجهـة الادب الـذي نتخيـر
حتى سمعنا : ان «راقصة المنى»(1) — حضرت .. فحيت .. والجميع محيـر
ثـم انثنت مثـل الغزال ، وقبلت — « ولادة » وهفـا اليهـا الحضـر
وقفت .. فغنت في التغزل قطعـة

ابـن زيدون : اتراك تذكرها ..

---

(1) المنى متنزهات بقرطبة ، يطلق على كل منها « منيـة » .

ابــن عبدوس :

« تناسيت لقيانا على شاطىء النهر — اجل استحضــر
يظللنــا روض تناغـي زهــوره — ونحن كعصفورين رفا على الزهــر
وتعزف حولنــا الجداول نغمـــة — باحلام روحينا فتهتز مــن سكــر
شكا هجرك القلب الذي ذاب صبوة — فتغدو من التحنان ادمعها تجـري
واسكر روحي ما بعينيك مــن سحر

— (يسكت متأمــلا) —

ابــن زيدون : قد اعجبتني وجهــة الادب التـي — تدعــو اليهــا ...

ابــن الحناط : هل ترانا نقدر ..؟

ابــن زيدون : ماذا تقول .. ؟

ابــن الحناط : اقول : ان قلوبنــا — كجــداول تجــري .. ولا تتخيــر

عائشــة : مــا اكثــر الشعراء حيث خيالهم — لــون ... يقــدم تــارة ويؤخــر

(هنا يسمع صوت مؤثر مرتل ، وتكون «ماري» الاسبانية او « مريم » — كما يحلو لابن زيدون ان يسميها — هي التي اتت من الباب الخارجي ، وقد ظنت بــان ابن زيدون وحده ، وارادت ان يكون مجيئهــا مفاجاة :

ماري : (في بهو الباب الخارجي حيث لا تظهر :

اتينــا الحبيــب علــى موعـــد — وفي النفس شــوق ، ووجد حنيــن

(يسمع الجميع ، ولا يتحرك احد ، سوى ابن المكـري الذي يتقدم نحو الصوت :

ابن المكــري : عرفتــك «ماري»

ماري (تظهر) : انتــم هنـــا — نحييــك يــا قمــر العــاشقيــن

ابن المكري (وهو الى جانبها) :

مــاري : احيي الجميــع ..

الجميــع : نحييك « ماري »

ماري (تتقدم نحو ابن زيدون الــذي تلاحــظ انــه لا يتحــرك)

لماذا السكوت .. ؟ انت حزين .. ؟

لا تقــض عمــرك يائســـا — لا تقــض عمــرك في النحيــب
مـــا انــت الا شــاعـــر — يهــدي السرور الــى القلــوب

ابن زيدون لا ينبس ، وتشعر كانه تضايق من موقف ابن المكري الذي يلاحقها فتقول له لتبعــده عنهــا :

لمـــاذا تضــايقنــي ... هكـــذا ! — اترغمنــي ان احبــك ...
مهــلا

ابــن المكري :

فــانك جــاوزت حــد الصــواب

ابو بكــر : نــراك تلاحقهــا ...

ابــن المكري : لســت نــذلا

ومــاري كراقصــة ... لا تحــب — وفي الحــان ايحــاؤهــا يتنــزل
تغنــي ... وترقــص للمعجبيــن — فهـــذا يعانــق .. هــذا يقبــل
علـــى انهــا غير ذات عفاف — وكــل عليــم باســرارهـــا

ابن عبدوس (في تهكم) :

ولكنهــا مــن زمـــان بعيـــد — تشــع عليـــك بانــوارهـــا

ابو بكر القاضي (وقد استفحش هذا الحديث) :

اراقصـــة تفتــن الادبـــاء — وتشغلهــم عــن شــؤون اخــر

(ثــم يلتفت اليهـــا)

ولــو كنت مــن دمنــا العربـــي

ماري (في ثورة) : اتقذف مسلمة بينكم
احق « للاسبان ان يحتقر
تدين بدين يؤاخي البشر
حرام عليكم ....
ابن المكري (في تشفٍ) : ستدري العقاب
ماري (وقد ارادت ان تتهكم عليه في اسلوب نسوي ماكر) :
احبك .. لا .. مت اسى .. وانفجر
يعافك حتى الذباب القذر
ابن المكري : وانك ماجنة تستباح ..
ماري : اتقذفني .. ؟
ابن المكري : سوف تدري العقاب
نعجل وعيدك .. لا تنتظر ..
ماري : اتخشى السماء نباح الكلاب ؟
تسبينني .. سوف اقضي عليك ..
ابن المكري : — يتقدم نحوها —
ساطعن قلبك ...
ابن عبدوس (وهو يمسكه) : فكر قليلا ...
وماذا ستفعل .. ؟ امسك يديك
ابن المكري : ساقتلها ..
ماري : اي شيء جنيت ؟
قلت احبك ... مهما يكن
ابن زيدون (لابن المكري) :
صديقي .. تراني سكت طويلا ..
افي منزلي تستثار الفتن .. ؟
وما الحب الا نداء القلوب
حبيبي « ابن زيدون » لا غيره
ماري (تقترب من ابن زيدون) :
ابن زيدون : — في تأثر — :
لاول يوم سمعت كلاما
فاثر في مهجتي سحره
— يقبل على ماري —
حبيبي ... تقولينها بينهم
تعالي .. فقلبي بدا سره
ابو بكر القاضي : وكان موقف ابن زيدون لم يعجبه ايضا :
كفاك من الحب .. لا تغترر
ابن المكري : فيوم اليه .. ويوم لنا
دم « الروم » في عرقها ..
ابن زيدون (مدافعا عنها) : لا تزد
ابن المكري : اتينا لدارك .. فاهزا بنا
ساخرج من هاهنا .. لن اعود
ابن عبدوس : تصبر ... حرام مقامي هنا ..
ابن المكري :
— يخرج —
ابن عبدوس — وقد اراد ان يبرهن على صداقته لابن المكري — :
وداعا ايها الاخوان ... (يقف)
ابن الحناط : اين تمضي ..
ابو بكر : اين تمضي ..
ابن عبدوس : (وقد تقدم قليلا) : قصد موعد
هما معا : كذلك نحن نمضي في اجتماع ..

ابن زيدون : وداعا .. « فالرصافة » موعد الغد

ابن الحناط (وهو يمسك بذراع ابي بكر)

(يخرجون ، ويبقى ابن زيدون وعائشة المغربية) .

عائشة : اتدري اي شيء اتى بي اليك

ابن زيدون : بلى

عائشة : حنانك سوف تشهد

بالامس .. كنت لدى « ابن جهور » فاغد ـدى يثني عليك .. وانه بك معجب

لك ..

ثم ارتاى منح الوزارة عاجلا كيف .. لا .. ان الرجاء يخيب

ابن زيدون : ان « العميد » وعوده لا تكذب

ثق بالرجاء .. ولا تكن مستيئسا عبث المجون ، وكن هماما يداب

لكن تامل فى الحياة مجانبا وتصد قلبك دون ما هو يطلب

تسقيك « ماري » كاس خمرة حبها د ، ومهجتي من وجدها تتلهب

ماذا ترين ..؟ وحبها ملك الفؤا ما استطاع قتل الحب .. كيف التجنب

ها .. قد فنيت .. ولو تجمع عالمي

عائشة : اسمع حديثي ..

ابن زيدون : ها انا

عائشة : كن عاقلا كن شعلة النور الذي لا يغرب

جافاك شعب .. من ذهولك يعجب

هل تعلم السر الذي من اجله افديه بالروح التي تتعذب

ابن زيدون : ما شان شعبي فى الغرام ، وانني للشعب .. ماجنة .. ؟

عائشة : لم تدر انك تصطفي ممقوتة هذا اغرب ..

ابن زيدون :

عائشة : ان كنت حرا .. واختبر من تصحب

قول صدوق ، فابتعد من شرها يئست .. وانك للجميع محبب

قد قلت امس الى « العميد » بانها مات الغرام — وغاض ذاك المشرب

ابن زيدون : واحسرتاه ... على فؤادي غرني..

عائشة : ماذا ستفعل .. ؟

ابن زيدون : حار فكري ذاهلا

عائشة : اكتب اليها ..

ابن زيدون : اي شيء اكتب

عائشة : اكتب بانك قد سلوت غرامها واهزا بعزة من اليه تنسب

ابن زيدون : ساكتب ما يحتوي قلبها ويذبحها مثل ذبح الخروف ..

ساكتب فى رقعة رثة عليها من الخز ثوب رهيف

(سلوت هواك تمام السلو بعزم شديد ، وقلب عزوف

واحسب شخصك فى ناظري قروحا عليها ذباب يطوف)

عائشة : علمت بانك جم الشعور عظيم الوفاء ، نبيل ، شريف ..

ابن زيدون : ستدرين صدق الولاء الاكيد وعزم الفؤاد الابي الحصيف

اذا شتت البغض شمل بلادي فاي اتحاد ... يضم الصفوف

واي وئام يؤاخي القلوب وكل فريق ضعيف ضعيف

سوى ان نحب البلاد ، ففي حبـ ـها درء ذاك الوباء المخيف

الخادم : مولاي ....

ابن زيدون : ود اقتبالك فارس ويقول من عند « المليك » اتاك

ابن زيدون : اتركه ..

الخادم : سمعا ...

(يدخل الرسول)

ابن زيدون (بعد رد السلام) : مرحبا برسول سر القصر ...
الرسول : مولانا يريد لقاك
ابن زيدون (مستفهما) :
في قصره ....
الرسول : طبعا ...
ابـن زيدون : اذن . ومتى ؟
الرسول : على حسب الكتاب . تفضلوا
(يتناوله ابن زيدون)
عائشة : بشراك
الرسول : اني مغادركم ...
ابـن زيدون : وداعا
— يخرج الرسول —
ابن زيدون لعائشة : انت ما ذا قلت .. ؟
عائشة (مشيرة الى الكتاب) : اقرا ما اقول هناك
(يفتح ابن زيدون الكتاب ، ويقرا بصوت عال)

« سلام يهيج الروح نفح عبيره ... اليك على مر الزمان بطيب
وبعد ، فانا في انتظارك .. فلتجيء ... سريعا .. وحاذر ان يطول مغيب »

عائشة : اجب دعوة السعد الذي حقق المنى ... ومن يعلم الشيء الذي سيجيب
ابن زيدون (كأنه ما زال متشككا)
عائشة : حنانك .. حاذر ان ترى متشائما ... اما لك من حظ الحياة نصيب ؟
ابـن زيدون : على اي حال .. سوف اذهب مسرعا ... وداعا ...
عائشة (تقف) : وداعا ...
ابـن زيدون :
عائشة (وهي تخرج) : فاللقاء قريب
ابن زيدون يبقى وحده ، وفجاة يظهر عليه اثر الانشراح ، فيقف وهو ينشد :

(1) لا تنتشي .. ان الحياة جميلة ... تندي بعطر ربيعها الفواح
وافتح فؤادك للحياة فانه ... للمجد ، لا لكوارث وجراح

* * *

لا تقض عمرك يائسا ... لا تقض عمرك في النحيب
ما انت الا شاعر ... يهدي السرور الى القلوب

— ستار —

« انتهى الفصل الاول »

(1) من الاحسن ان يصاحب هذه الابيات عزف على الناي ، او نقرات موسيقية التي تستمر حتى اسدال الستار .



في السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة 1385 الموافق 19 يناير 1966 توفيت الى رحمة الله بالحي الجامعي بمدينة فاس الطالبة النجيبة الآنسة نعيمة احمد السلمي من سن لا تتجاوز 19 سنة . وكانت الطالبة المرحومة تتابع دراستها بكلية الآداب بمدينة فاس .

وقد كان لموتها المفاجيء رنة حزن واسى عميقين في الجامعة وفي الحي الجامعي ، وفي اوساط الاساتذة والطلبة والطالبات على السواء ، نظرا لما كانت تتمتع به من اخلاق سامية وجدية متناهية

وقد اقام لها الطلبة والطالبات في الحي الجامعي حفلة تابين في ذكرى الاربعين شاركهم فيها نخبة من رجال العلم والادب من مختلف المدن المغربية . وخصوصا من مدينة الدار البيضاء حيث مقام عائلة الفقيدة .

وبمناسبة مرور سنة على وفاة الآنسة نعيمة احمد السلمي انشد عمها الشاعر الاديب الاستاذ عبد الواحد السلمي القصيدة التالية في رثائها وفي الاشادة بما كانت عليه من خلق حميد ومن نهم في طلب العلم والمعرفة ، جعلاها قدوة حسنة ، ومضربا للامثال بين الطلبة والطالبات .

نام جفن ابنتي نعيمى فاغفى وطواها الردى شبابا ولطفا
وانطوت صفحة الكتاب كانا ما قرانا الكتاب حرفا فحرفا
وخبت شعلة فساد ظلام ضاع قصدي به اماما وخلفا
واختفت بسمة تحوم بثغر حالم بالمنى كبيت مقفى
وغزا نور طرفها شبح المـ ـوت ؛ وربعت له فاغمض حتفا
ارعشته الرؤى فتمتم همسا وعصا نطقه : فاطبق خوفا !
وارى ذلك اللسان الذي ما فاه الا بالحمد لله صرفا
ما اشتكى الدهر ؛ ماسعى بين قوم ما وشى ، ما هجا ، ولا رام خسفا

اخرسته الاقدار والليل فى نـ   ـزع حياة : والصبح جرد سيفا
ومع الفجر ليلة القدر رفـت   هدب جفن مل الحياة فاغفى

* * *

ايه يا طيف نعمة عاش فينا   ثم ولى عنا كمن كان ضيفا
لم نمتع بقرب فوزك حتى   قام ينعيك هاتف المستشفى
ايها الهاتف الجزوع تمهل   اي نعمى ؟ ابنتي ستنجو وتشفى
وطوينا الطريق اسرع من ريـ   ـح ؛ ومن وامض البرق رفا
كان ياسي من السلامة يمحو   املي فى النجاة طيفا فطيفا
وشقيقي يصيح بي : كيف فى غمـ   ـضة جفن تضيع نعمى وتخفى
لا : فداء ابنتي خلاصة جهدي   وكفاحي لها اقدم زلفى ..
انها عدتي ؛ دعامة بيتي   وشعاع في اسرتي : كيف يطفى؟
آه من حسرتي فكيف اصطباري   ما عزائي والهم يعصف عصفا
ضاق صدري ؛ ومزق الياس صبري   ضاع امري : اخي أرى النبع جفا
كلما طاف بي خيال لنعمى   جثم الهم فوق صدري واغفى:
قاوم الياس يا اخي وتجلد   وتفاءل واسال الاهك لطفا
هكذا كان حالنا وهزيم الـ   ـرعد فى الافق راح يقصف قصفا
ودخلنا ارض الاحبة لا كي   نتسلى ونرشف الوصل رشفا
وقصدنا بيت النبوة نستفـ   ـسره والفؤاد يرجف رجفا
فدهينا بالواقع المر ؛ والمـ   ـوت مصاب بلاؤه ليس يخفى
وتجرعت كاسها مع صنوي   كلنا يومها على الموت اشفى
وغدونا نطوف ذات يمين   وشمال : اين الشهيدة تلفى

* * *

ثم كان اللقاء بعد لغوب   في غروب ذقنا به الويل صرفا
وحملنا العروس فوق سرير المـ   ـوت نمشي بها ونزحف زحفا
ونحث المسير في جوف ليل   عابس : والسحاب يشتد وكفا
واجتمعنا اشلاءهم فلو تسـ   ـالهم كيف ؟ ما رووا لك حرفا !
قد احطنا بنعشها وهو ملقى   نتباكى عليه قلبا وطرفا
ودفنا الآمال بين بكاء   ودعاء : والرزء جاد فوفى!
ونداء لوالد ؛ ورثاء   لرفاق ؛ والام تصرخ لهفى!
واختفى السر بعدها : يا ثراها   قد ضممت التي من الصفو اصفى
ونثرنا الاكباد فوق رباها   ثم عدنا : والقلب ينبض الفا !!

* * *

ايه يا دهر ؛ لم تعجلت ماشا   ن فتاتي : وكيف تقصف قصفا
انها ما تزال في ريق العمـ   ـر نجيلا غضا : اتقطف قطفا
انها كتلة الاماني لراج   عندها راحة وقد مل طوفا
انها كتلة الرجاء لسواه   قد قضى عمره حنانا وعطفا
انها زهرة تفوح اريجا   كيف يا دهر قصفها ثم كيفا؟
لم تمتع من الحياة بشيء   اوقفت عمرها على العلم وقفا

ما رجت غيـــره ولا شــربت مـن ... كـأس لذاتهـــا سوى العلم صرفا
ولقد كـان حسبهـا من دنـاهـــا ... اين يكون التحصيـل حظا والفـــا

* * *

تلك روح اراحهـــا اللـه ضـاقت ... بحيـاة تفيض ظلمـــا وخسفـــا
واذا الحـر ســام ذلا على العيــ ... ــش وعسفـا ازرى بـه واستخفـا
ومضـت تنـذب الفضائـل فيهـا ... لا يـرى فيـه للتعاســـة طيفـــا
هكـذا قصــة النبـــوغ الذي فـا ... رق : واللطف والصفـاء المصفـى
وكـذا اسـدل الستـار وفـاضت ... روحهـا انقـى ما تكـون واصفـى
ومضـت تنــذب الفضائـل فيهـا ... مـن جميل الخصال ما عـز وصفـا

* * *

وانطوت صفحـة الكتـاب كـانـا ... ما قـرانـا الكتاب حرفـا فحرفـا
وخبت شعلــة فـساد ظـــلام ... ضـاع قصدي بـه امامـا وخلفـا
واختفت بـسمـة تحـــوم بثغــر ... حالـم بالمنــى كبيـت مقفــى
ومـع الفجـر ليلـة القـدر رفت ... هـدب جفـن مل الحيـاة فاغفـى
ولها اللـه فـي الـذي حـرمتـه ... وجـــزاء الالاه اغنــى واوفـــى

البيضاء : عبد الواحد السلمي





للشاعر عبد الكريم الطبال

الريح تجلدني بآلاف السياط انا الذي امشي على ارض الوحل
معصوبة عيناي . في قدمي ثلوج . في شرايبي واعصابي شلل
اسري كاشباح الظلام . اتيه كالانهار في اعماق الجبل
في زحمة الامطار . في بلل العقور بلا رداء . كالشريد . بلا امل
في ضجة الاشجار . في موت الظلال . كما الكهوف المغلقات من الازل
ارض تميد اذا مشيت . وكل آفاقي تموت اذا انتهيت الى مطل
وبلا انتظار ان يموت الريح . فالدم ينتهي كالنور في شمس الطفل
كالموجة العذراء تشنقها الرمال . فليس يحديها انتظار او ملل
وبلا رجاء ان يحور الماء في قدمي الى دفء . فما نار بطل
وبلا خيال ان اطلسم كل ذاتي . فالسياط هي الطلاسم للحمل
وبلا رفيق غير اسراب النمال تجوس في مفحمي الى رأس الطلل
تقتات اغراسي . وتنحت في صخوري نجم تواء أفل
لكن انا المنفي انتظر انطفائي . ان اعود الى متاهات الازل

شفشاون — عبد الكريم الطبال



قال « انطـوان تشيخوف » على لسان ذلـك الطالب البائس الذي وقف فى بستان الكرز محدثـا صديقته الباكية سونيا بقوله : « ابتسمي يا سونيـا ابتسمـي ، فهنـاك عالـم افضـل سيأتي الينا ... عالم يضحك فيه الناس حقا . ويحبون حقا ويـرون السماء الزرقاء كما نحب أن نراهـا .

ـ لمـــاذا اعيـــش ؟؟ ـ

بكـت فى دمـي قصتـي ونـاحت بأنسكمـوا وحدتـي

* * *

شـددت خطـاي الـى الرابيـه هنـالـك تحـت الشجـر

هنالـك لا خنجـر فى الفـؤاد ولا عـالـم يحتضـر

هنـالـك لا جائـع فى الطـر بـق ولا متخم ، مـن حجـر (1)

هنالـك لا زقـوة لا رضيـع يئـن وفى قلبـه نـاب شـر

* * *

والقيت ظهري الى السنديـان وفى خاطري الـف حلـم عبـر

واطلـق ـ انشـاده بلبـل ـ يغنـت فى مسمعـي الصـور

يغرد يا طيب انشودة   من النغم السائغ المبتكر

نقلت هنا ساجوب المدى   تربر الفؤاد ، تربر النظر

وشيطان شعري ما خطبه   اطل وما باله قد ظهر

وآلهة الشعر : ما بالهن   تراقصن من حول خطوي زمر

وافرغت ....

هذي (ترابيتي)   تموت (وجسميتي) تنصهر

وانساني الفكر ...

لم يبق لي   تخلصن مني رخاء وفر

ولما انقت على طلقة –   ترن على ...

بلبل ينحدر

تصدع فى الاذن لحن يموت   وفى ناظري منقر ينكر

وملت نفسي فى خيبة   اردد‌ها ...

\ يا للؤم البشر \

* * *

الى اين ؟ يا ضائعا فى الحياة   له منه فى كل يوم خبر

الى اين ؟ ...

ماتت الوهيتي   وذاب على السمع لحن الوتر

وافرغت نفسي من واقع –   مرير واسلمتها للقدر

ونكرت وجها كواه الاسى   ونكرت نفسا عراها الكدر

واغمضت عيني عما أرى   كأني اصبحت

اعمى البصر

لماذا اعيش ؟؟

بكت فى دمي قصتي   وناحت باتسكموا وحدتي

سوريا – حسين احمد حيدر

---

1) متخم من حجر : اي قاسي قلبه كالحجر لا يلين .



للدكتور عبد اللطيف السعداني

ورد في العدد الثاني لمجلة دعوة الحق (صفر 1386 – جوان 1966) مقال قيم للمحقق الزميل الاستاذ محمد بن تاويت بعنوان « المغرب وفارس عبر التاريخ » ص 64 – 69 . وقد سبق ان نشرت مقالا في الموضوع في مجلة البحث العلمي . العدد السابع السنة الثالثة رمضان 85 – 86 ابريل 1966 . غير اني اعجبت بلقطات في مقال الاستاذ ابن تاويت اثارت في الاهتمام فاحببت ان اعود اليه مشيرا اشارة خفيفة الى تصحيح بعض الحقائق التي جاءت فيه تتميما للفائدة شاكرا للاستاذ عنايته التي صرفها في هذا الموضوع المهم .

1 – فارس بسكون الثالث ؛ في الاصل بباء شددة « P » Pars عربت فقلبت باؤها فاء . ثم كسرت راؤها لصعوبة النطق العربي بالكلمة التي يجتمع فيها حرفين ساكنين .

وهي ناحية مشرقها كرمان وجنوبها البحر الاعظم وغربها نهر طاب الذي يمر بين فارس وخوزستان وجزءا من حدود اصفهان ؛ وشمالها صحراء فارس من جبل كرجس . عدد مدنها خمس واربعون مدينة . اهمها مدينة شيراز .

هكذا وصفها اقدم مصدر جغرافي في اللغة الفارسية (1) .

لقد جاء هذا الاسم في النقوش الاخمينية (250ق م) « Pârsa » علما على قوم ايرانيين كانوا يقيمون جنوب ايران تسمية لهم باسم موطنهم . اما سبب اطلاق هذا الاسم على هذه الناحية ؛ ومن سمها به ، ومتى عرفت به ، فقد قيل في ذلك :

1 – ان اول من بنى اصطخر (وهي من مدن فارس) اصطخر بن طهمورث ملك فارس ؛ وسميت فارس بن طهمورث واليه ينسب الفرس لانهم من ولده (2) .

2 – واكتفى البعض بالقول ان فارس اسم ابي هذا الجبل اعجمي معرب (3) .

3 – وقال ابو علي في القصريات : فارس اسم البلد وليس اسم الرجل ولا ينصرف لانه غلب عليه التانيث كنعمان ؛ وليس اصله بعربي بل هو فارس معرب اصله بارس (4) .

4 – وقيل هو بمعنى الاسد يوافقه الفارس بارس بمعنى الفهد (5) .

5 – وقد لفت ياقوت النظر في هذا المقام الى مدلول هذه الكلمة في العربية : من الفرس و « الفروسية والفراسة : ركوب الفرس ومن قولهم فارس بين الفراسة اذا كان جيد النظر ، انه لفارس بهذا الامر ،

---

1) تغيرت حدود هذه الناحية تبعا للتغيرات السياسية ولكن الناحية نفسها لم تتغير كما ان اسمها ظل كذلك . وهذا الوصف الذي سقناه هو ما كانت عليه في القرون الاولى للهجرة .
2) معجم البلدان ج 1 ص 221 .
3) المعرب من كلام العجم للجواليقي صفحة 243 .
4) معجم البلدان ج 4 ص 226 .
5) الالفاظ الفارسية المعربة ص 118 .

لعالم به ، الفارس : الحاذق بما بارس » (1) كانما يحاول ايضاحها بهذه المدلولات .

وبارسي هو المنسوب الى بارس واصطلاحا الزردشتي المقيم بالهند . كما يطلق على الفارسية الجديدة عند الاطلاق العام ، وعلى احدى اللغات الفارسية 1 — الفارسية القديمة . 2 — الفارسية الوسطى . 3 — الفارسية الجديدة . عند التقييد (2) اتخذت « فارس » صورتها النهائية فى اوائل القرن العاشر قبل الميلاد ، فاطلقت من طرف اليونان على ايران كلها « Persia » مراعاة لاسم هؤلاء القوم ومن ثم عرفت هذه البلاد فى اللغات الاوربية بـ « Pers » او « Persia » كما عرفت عند العرب بهذا الاسم .

فلم يطلق هذا الاسم على ايران قبيل الاسلام بزمن يسير ولا كان العرب هم من اطلقوا هذا الاطلاق حيث يفهم ذلك من الاشارة الى ان الفرس هم الذين اطلقوا على العرب . طائي ، اذ أن العرب كانوا يعرفون بهذا الاسم « طائي » عند السريان (3) .

2 — **ايران** : عريقة فى القدم بشكلها هذا، فقد كان يطلق على الايرانين فى العصر الاخميني « Airya » ومن ذلك سميت البلاد بـ ايران نسبة الى هؤلاء القوم الآرائيين وهي فى اللغة الفهلوية « êrân » وقد كانت تعرف ايضا زمن الساسانيين « êrân chatr » — ايران شتر — ايران شهر — بلاد ايران .

وقد سميت مرة اخرى فى عهد الاسرة البهلوية الحاكمة اليوم بـ ايران بعد ان عرفت بـ فارس . فـ ايران كما راينا ليست جمعا لـ « ايـر » كما انه لم يرد من الجمع فى الفارسية النسبة ، ولكنها اسم لحقته علامة النسبة فى آخره « ان » كما نلاحظ ذلك فى اسماء الاعياد الايرانية مهرجان منسوب بـ مهر آبان منسوب بـ آب = الماء ..الخ . وكثيرا ما يختلط على الغريب امر الالف والنون فى الفارسية فهي تارة علامة جمع مرد : رجل ، مردان : رجال . واخرى علامة الصفة الفاعلية الحالية : هراسان : خائف ، وتارة اخرى تدل على النسبة كما هي فى ايران . وهي أيضا فى اللغة العربية علامة تثنية وهذا ما يزيد فى اضطراب الراي حولها ، وهو ما وقع لابن بطوطة حين زار ايران ، فقد ظن اسم مدينة « فيروزان » مثنى فيروز (4) .

فلفظ «ايران» منسوب الى الآريين لا الى ايرج واسم ايرج مشتق منه ، اصبح رمزا لايران فى الاسطورة التي تروي أن افريدون وزع ملكه على اولاده الثلاثة : تور ، سرم سلم ، وايرج) وكان ايرج وهو اصغرهم اكثر حظوة لدى والده فكان نصيبه العراق وفارس وكرمان والاهواز وجرجان وطبرستان الى حدود الشام ورغم ان كثيرا من الكتب المعتبرة تناقلتها مثل «غرر اخبار الفرس» للثعالبي (5) وشاهنامة الفردوسي وغيرهما ، فان القصة لا تعدو ان تكون اسطورة قديمة (6) وصلت الى الفرس من الهند اذ نجد اسطورة شبيهة لها فى تقسيم العالم على ابناء كولاخسابوس السكي الثلاث .

على أن ضعف هذه الاسطورة يظهر ايضا من ان ياقوت نسبها فى رواية اخرى الى طهمورث « الذي اقطع الدنيا لاكابر دولته فاقطع اولاد ايران بن سود ابن سام بن نوح عليه السلام وكانوا عشرة وهم خراسان وسجستان وكرمان ومكران واصبهان وجيلان وسندان وجرجان وآذربيجان ودرمنان.. وهذا كله ايران شهر » .

3 — **المغرب** : ليست كلمة المغرب فى اللغة الفارسية من قبيل المشترك (7) بين المغرب والمشرق بل ان الكلمة التي لها هذه الدالة هي الكلمة المقابلة لها

---

1) معجم البلدان ج 4 ص 224 .
2) راجع مقالنا لغة الفرس بين الماضي والحاضر . دعوة الحق .
3) العرب قبل الاسلام جرجي زيدان ص 40 .
4) رحلة ابن بطوطة ص 199 بيروت 1960 .
5) غرر اخبار الفرس للثعالبي ص 41 — 45 — 52
6) انظر مقدمة عبد الوهاب عزام للترجمة العربية للشاهنامة ص 73 ومتن الترجمة العربية للفتح البنداري ص 13 — التعليق .
7) اطلقت فى اللغة العربية على المشرق ايضا من باب التغليب فى قولهم « المغربين » يعني المشرق والمغرب كما اطلق « المشرق » على المغرب من باب التغليب ايضا فى قولهم « المشرقين ».

في الفارسية « خاور » كما ورد في بيت الشاهنامة :

« نخستين به سلم اندرون بنكريد
هم روم وخاور مراورا كزيد »

على ان الاصل في ذلك ان تطلق « خاور » على المشرق و «باختر» على المغرب . وهو الكثير الشائع ، وقد يطلق الاثنان على المعنى الآخر بل ان « باختر » اطلقت في لغة الابستاق على الشمال « apâxtara » كما وردت في اللغة الفهلوية بهذا المعنى أيه apâxtar »

اما المراد بالاشارة الى المغرب في اللغة الفارسية فقد كانت تعني في كثير من الاحيان المغرب الذي نعرفه ونسكنه(افريقيا الشمالية) تدل على ذلك الاشارة المتكررة التي جاءت في الشاهنامة تارة الى « مصر» وتارة الى « الاندلس » وتارة اخرى الى « المغرب » مما يفهم منه ان مفهوم « المغرب » كان واضحا في ذلك العهد . كما ان الاشارات الى القيروان كثرت في الشعر الفارسي بعد ذلك ، واتسع نطاق هذه المعرفة بوسعة الاتصال بين بلدان العالم الاسلامي حيث رحل الى ايران مغاربة اشهرهم ابن بطوطة الذي اطال المقام هناك ، كما عرفت الاوساط الفكرية والعلمية شخصيات مغربية اهمها شيخ العرفاء الشيخ الاكبر محيي الدين ابن العربي الذي لا يزال تأثيره مشهورا الى اليوم . ولم تقتصر الاشارة الى المغرب في اللغة على هذا المعنى بل اشير اليه اشارات مختلفة في تاريخ ايران وادبها قبل الاسلام وبعده . كما ان كلمة « المغرب » اكتست معاني كثيرة في اللغة الفارسية ، واستعملها الفرس اصطلاحا عرفانيا استخرجوا منه اشارات كثيرة .

ويجدر بنا ان نذكر هنا ما جاء عن المغرب والاندلس في كتاب من اهم المصادر الفارسية الادبية والجغرافية .

« حدود العالم من المشرق الى المغرب » فهو اقدم مصدر فارسي ذكر المغرب ومدنه بوضوح وتفصيل يقول :

« الكلام على ناحية المغرب ومدنه »

« هي ناحية شرقها مصر وجنوبها صحراء تنتهي بالسودان وغربها بحر الاقيانوس المغربي وشمالها بحر الروم » .

« تكثر في هذه الناحية الصحارى وتقل الجبال جدا . اهاليها سود وسمر ، وفيها مناطق عديدة ، ومدن وقرى » .

« وفي صحرائها كثير من البربر لا يحصون . وهذا المكان حار ، ويوجد فيه الذهب بكثرة ، وفي رمال هذه الناحية معدن الذهب . واكثر تجارة اهلها الذهب » .

« 1 — طرابلس — هي أول مدينة من افريقية . وهي مدينة كبيرة ، وعامرة ، كثيرة السكان تقع على شاطىء بحر الروم . وهي مركز التجار والاندلس ، وكلما يصدر من بحر الروم يصل اليها » .

« 2 — مهدية — هي مدينة كبيرة تقع على شاطىء بحر الروم وتتصل بحدود القيروان ، بها النعمة الوافرة ، وفيها التجار من مختلف الاماكن .

3 — برقة — هى مدينة كبيرة تتصل اطرافها بحدود مصر . وهي غنية ويكثر فيها التجار ، ويقيم فيها الجيش الكثير .

4 — القيران — مدينة عظيمة ، وليست في المغرب اية مدينة اكبر منها ولا اكثر عمارة وغنى . وهذه المدينة هي مركز المغرب .

5 — زويلة (1) — هي مدينة عظيمة تقع قرب صحراء السودان . وفي اطرافها وناحيتها بربر كثيرون. وهؤلاء البربر في صحارى المغرب كالعرب في البادية ، يملكون الحيوانات والذهب الكثير . ولكن العرب اكثر غنى بالحيوانات ، والبربر اكثر ثروة بالذهب .

6 — تونس — هي مدينة من المغرب تقع على ساحل البحر وهي أول مدينة تقابل الاندلس .

7 — فرسانه (2) — هي مدينة يانعة كثيرة النعم واهلها الفاء واغنياء . وهذه المدينة قريبة من القيروان .

8 — سطيف — هي مدينة كبيرة كثيرة السكان يكثر فيها الذهب وتقل النعمة .

9 — طبرقة — هي مدينة على ساحل بحر الروم ، وبالقرب من هذه المدينة على ساحل البحر معدن المرجان الكثير جدا . ولا يوجد مكان آخر (نثله) في العالم كله . وفيها العقارب الكبيرة القاتلة » .

---

1) في نسخة اخرى « زوبله »
2) في نسخة اخرى « تلشان » .

10 ــ تنش ــ هي مدينة كبيرة على ساحل البحر عامرة وتكثر فيها النعمة والناس والثروة .

11 ــ جزيرة بني رعنـى (1) ــ هي مدينة يحيط بها ماء البحر من جوانبها الثلاث وبالقرب منها بربـر كثيـرون .

12 ــ ناكـور ــ مدينـة تشبـه تنس .

13 ــ تاهرت ــ مدينة عظيمة غنية جدا ولهـا ناحية منفصلة عن حكومة افريقيـة .

14 ــ سجلماسة ــ هي مدينة تقع قرب صحراء السودان وسط الرمال ، وفي هذه الرمال معدن الذهب، وهذه المدينة منفصلة عن سائر النواحي ، قليلة النعم، كثيـرة الذهب .

15 ــ بصيرة ــ هي مدينة على ساحل البحـر تقابل جبل طارق ، وهي كثيرة النعم .

16 ــ ازيلة ــ هي مدينة كبيرة ولها سور محكـم جدا وهي آخر مدينة يوصل منها الى الاندلس .

17 ــ فاس ــ مدينة عظيمة مركز طنجة ومستقر الملوك وهي غنيـة جدا .

18 ــ سوس الاقصى ــ هي مدينة على شاطيء بحر الاقيانوس المغربي وهي آخر مدينة من عمـارة العالم في المغرب ، وهذه المدينة عظيمـة ، يملـك أهلها الذهب بلا حد . وهم غليظو الطبـع . ويقـل ان يطرقها الغريب . وتوجد في اكثر نواحي البربر النمـور التي يصيدها البربر ويأخذون جلودها الى المـدن الاسلاميـة .

الكلام على ناحية الاندلس ومدنهـا :

هي ناحية شرقها حدود الروم وجنوبها خليـج بحر الروم ومغربها بحر الاقيانوس المغربي وشمالهـا ناحية الروم ايضا . وهذه الناحية عامرة ويانعة وفيهـا الجبال والماء السلسبيل والثروة الكثيرة . وفيها معادن جميع الجواهر من فضة وذهب ونحاس ورصـاص وما شابهها . وبناؤها كله بالحجر ، واهلها بيـض البشرة زرق العيـون .

1 ــ قرطبة ــ مركز الاندلس عامرة كثيـرة السكان والنعمة والثروة واقرب الطرق منها الـى البحر ثلاثة ايام . وهي قريبة من الجبـل . ومستقـر السلطان . كانت حكومتها بيد الامويين ، ومساكنهـم مبنية بالحجارة .

2 ــ طليطلة ــ هي مدينة تقـع على الجبل . قريبة من الجبل والنهر يحيط بها نهر تاجة .

3 ــ تطيلة ــ هي مدينة تقع بالقرب من الجبل وفيها سمور كثير بلا حد . يأخذونه لمختلف الاماكن .

4 ــ لاردة ــ سرقص ، سنتمرية ، ريه، استجه جيان . مورود ، قرمونه ، نبلـه غافق ــ مدن الاندلس اماكن كثيرة النعمة والعمارة وكثيرة التجار الـروم والمغاربة والمصريين ، وفيها الثروة الكثيرة ، طقسها معتدل .

5 ــ باجه ــ مدينـة قديمة في الاندلس غنية .

6 ــ توريـة ــ هي مدينة صغيرة قليلة السكان كثيـر الشـراء .

7 ــ ماردة ــ اكبر مدينة في الاندلس لها حصـار وسور وخندق محكم .

8 ــ ترجالة ــ وادي الحجارة ــ هما مدينتان في الاندلس باردتين ، وهما اقدم مكان في هذه الناحية .

9 ــ طرطوشة ــ هي مدينة عامرة على ساحل بحر الروم وعلى حدود غلجسكش وافرنجة . فهـي متصلة من الروم بناحيتين .

10 ــ بلنسية ــ مرسية ــ بجانه ــ هي مـدن تقع على شاطيء خليج بحر الروم ، وهـي كثيـرة النعمة .

11 ــ مالقة ــ هـي مدينـة علـى شاطـيء بحر الروم ، يوجد فيها جلد الضب الذي تجلد بـه مقابض السيوف بكثرة .

12 ــ الجزيرة ــ هي مدينة صغيرة على شاطيء خليج وفي هذه المدينة فتحت الاندلس في بداية الاسلام .

13 ــ سدونـه ، اشبيلية ، اخشنبة ــ هي مدن صغيرة تقع على شاطيء بحر الاقيانوس المغربي وهي اماكن قليلـة النعمة قليلة السكان .

14 ــ شنترين ــ هي آخر مدينة من حـدود الاندلس تقع على شاطيء بحر الاقيانوس ويوجد فيها العنبر الاشهب كثير الجودة وافر جدا .

1) في نسخـة أخـرى « بنـي رغنـة » .

ولا يوجد في حدود المغرب اي مكان آخر (1) .

4 — البربر — ورد في الشاهنامة ذكر « البربر » و « بربرستان » : المنطقة البربرية . اشارة الى احدى قبائل السودان (2) تارة والى بربر شمال افريقيا تارة اخرى . والذي تجدر الاشارة اليه هنا هو ان اسم البربر يتردد في ايران . اذ تجد في احدى نواحيها قبيلة معروفة بهذا الاسم ، كما يعرف نوع جيد من الخبز بـ « نان بربري : الخبز البربري . ويعلق احد المعاجم على هذه الكلمة بانها اعجمية من دون ان يوضح مصدرها (3) . وقد جاء في وصف ياقوت لانواع الحيوانات الموجودة في هذه المنطقة البر (4) والبر في اللغة الفارسية هو النمر وعربت الكلمة بمعنى السبع وجمعت على « ببور » وهذه ايضا اسم قرية من اعمال تونس . ولعل لهذا التشابه اللفظي بين الكلمتين ومعناهما وجه من التقارب !

اما ان يكون البربر بمعنى « برابر » الفارسية فهذا تكلف لا مبرر له ولا دليل يدفع للقول به لو كان قول الشعراء .

5 — القيروان — لقد عرفت هذه الكلمة في اللغة العربية معربة بهذا اللفظ . قبل ان تؤخذ لتسمية المدينة التونسية « القيروان » قال ابن قتيبة : والقيروان اصله بالفارسية « كاروان » « caravanne » فعرب قال امرؤ القيس :

وغارة ذات قيروان ❋ كأن اسرابها الرعال

وهي القافلة . ووردت ايضا في حديث مجاهد : « يغدو الشيطان بقيروانه الى السوق » بل انهم قد تصرفوا في معناها فقيل القيروان لمعظم الجيش ولـ جماعة من الخيل .

لذلك لا يمكن نفي احتمال تسمية العرب مدينة القيروان بهذا الاسم عندما نزلوا بها اذ لولا ذلك لوجب ان يكون اسمها « caravannage » على اصلها الفارسي لا « قيروان » المعربة .

6 — فاس — ذكر الاستاذ ان جماعة من الفرس نزحوا الى فاس في عهد المولى ادريس فانزلهم بمكان يعرف بعين علون بل اثبت ان اسم المدينة هو « فارس » في اصله وان احد ابوابها كان يسمى « باب الفرس » (5) واعتمد في ذلك كله على ما جاء في كتاب «روض القرطاس» اما ان يكون الفرس قد وصلوا فاس فلا يستبعد غير انه لا دليل يثبت وجوده وعبارة صاحب « روض القرطاس » لا تفيد ذلك : « ووفد عليه (المولى ادريس) في تلك الايام جماعة من الناس من بلادالعراق فانزلهمناحية عين علون» واما اسمفاس فقد ذكر ابن ابي زرع في تسميتها خمسة اقوال والقول الذيصححه هو ان المولى ادريس سماها باسم المدينة التي كانت قبلها في موضعها قبل الاسلام وهي «ساف» فقلبت منه « فاس » (6) . واما « باب الفرس » فقد جعلها الاستاذ في كتابه « الادب المغربي » تخليدا لوجودهم القوي الذي كان بتلك العاصمة » (7) وجعلها في مقاله « ذلك ان جدارا من اسوارها سقط على بعضهم فخلدت ذكرى هذه المأساة تسمية احد ابواب المدينة بهم » (8) فلم يقطع باي السببين دعى لهذا الاسم !! على ان صاحب روض القرطاس انما ذكر السبب الثاني وحده ، عند عرض الاقوال التي نقلها في سبب تسمية فاس لا في تسمية احد ابوابها (انظر ص 62) لهذا فان ما اشار اليه الاستاذ في كتابه غير موجود في المصدر الذي اعتمد عليه كما انه استدل بدليل في غير محله .

ولنعد الى عبارة ابن ابي زرع لننظر في الامر : « .. ثم هبط بالسور الى اول اغلان فصنع هنالك بابا سماه باب الفرس (9) فالعبارة صريحة ولكن كلمة « الفرس » يمكن ان تقرا باشكال مختلفة واذا اختار الاستاذ لقراءتها « الفرس » « Fors » فاقترح أن

(1) حدود العالم من المشرق الى المغرب صفحة 177 ، 183 طهران 1962 .
(2) المعرب للجواليقي ص 76 — البربر مدينة في السودان الواقع على ساحل النيل .
(3) المعرب للجواليقي ص 76 .
(4) معجم البلدان ج 1 صفحة 369 — 370 .
(5) انظر ايضا الادب المغربي محمد بن تاويت ومحمدالصادق عفيفي ص 114 .
(6) الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 26 —
(7) الادب المغربي محمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي ص 114 .
(8) دعوة الحق العدد الثاني السنة التاسعة ص 68
(9) روض القرطاس ص 21 .

نقرا « الفرس « Faras » » ويتضاعف هذا الاحتمال عندما نسوق الجملة التالية لما جاء في روض القرطاس: « ثم ادار السور مع اغلان حتى وصل به شفير الوادي الكبير الفاصل بين العدوتين فصنع هناك بابا سماه باب الفصيل » فالفصيل قد تدفعني لان ارى في الكلمة « فرسا » لا فرسا .

على اننا ان اصررنا على ان نحكم الروابط التاريخية بين المغرب وايران بواسطة اسماء المدن واخترنا « فاس » مثالا لذلك ، فلنقل عن طريق « الحدس » ان الف « فسا » وهذه اسم مدينة معروفة بمنطقة فارس في ايران ، وهذا التاويل غير بعيد عما علل به صاحب روض القرطاس تسمية مدينة فاس ونضيف هنا مثالا آخر لمثل هذه الرابطة بواسطة المدن هو اسم « طنجة » فقد قيل عنه انه فارسي (1) .

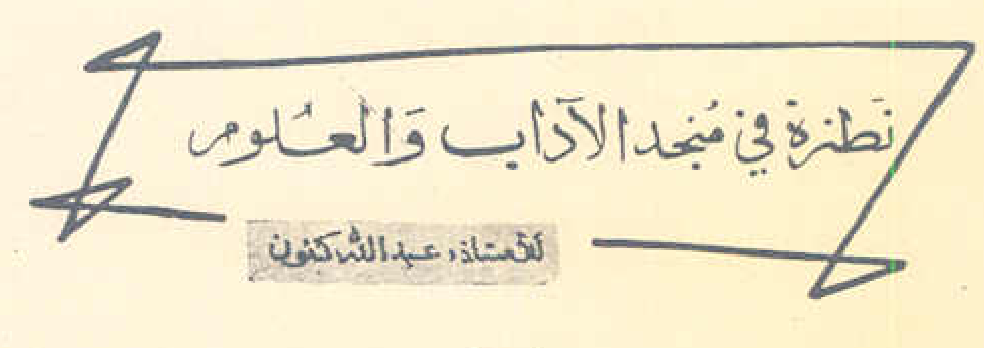
اما البصرة التي توجد في المغرب قرب سوس ومثيلتها في العراق فقد نقل ياقوت في السبب تسميتها خمس معان قبل ان يقول انها معربة « بسي راه » الطرق الكثيرة » وابعد هذا الاحتمال في الاخيرة بقوله ان اسمها « الحربية » وتسمى ايضا البصيرة(2)

7 — كلمات عامية — ان الكلمات الفارسية قد انتقلت الى المغرب عن طرق شتى لا تنحصر في انها « لا تخلو من كونها اتتنا وقد عربت .. او اتتنا وقد تركت » فقد حمل الفرس معهم الى الاندلس عندما جاءوها جميع مرافق حياتهم ومن جملتها اللغة ثم سرت الى المغرب عن طريق اهل الاندلس المهاجرين اليه . كما عرفت اللهجة المغربية هذه الكلمات عن طريق من رحل الى الشرق وبالخصوص العراق وايران من رجال المغرب سائحا في طريق حجه او مغامرا يطلب نادر الاخبار ويرجو المعالي او عارفا يبحث عن الحقيقة . نعرف من بين هؤلاء ابو عثمان المغربي الذي زار ايران في القرن الثالث الهجري وابو هارون الاغماتي الذي زارها في القرن الخامس الهجري وابن بطوطة ومحمد المغربي الافريقي المعروف بالمتيم . بل وصلتنا هذه الكلمات الفارسية عن طريق اللغات الاوربية مثل كلمة (Missa) من الاسبانية التي هي في الفارسية « ميز : طاولة » وقد استخرجنا منها فعل امر « ميزي » اي ضع على الطاولة مقدارا للعب القمار ومثل « Babouche, Bazar » من الفرنسية اللتين اصلهما الفارسي « بازار » سوق وبابوش « حذاء » . اما الامثلة على الكلمات الفارسية في اللهجة المغربية فكثيرة . وقد عد الاستاذ « الخنجر والطرة » منها . والصحيح انهما عربيتين . اما « شوربا » نشان وطربوش وكمنجة وبهلوان » فلم تصل الى اللغة العربية عن طريق التركية ، بل دخلت العربية بلا واسطة . فاننا نجد مثلا ان « شوربا » معربة بشكل « شورباج » والصيغة التركية لهذه الكلمة هي « Tchourbâ »

فاس : الدكتور عبد اللطيف السعداني

1) المعرب للجواليقي ص 223 .
2) معجم البلدان ج 1 ص 430 .





(15)

حرف الغين :

415) في ص 365 ، ع ل ترجمة للعلامة ابن غازي قال فيها : « واعظ في جامع القرويين له بغية الطلاب في شرح منية الحساب » وابن غازي لم يكن واعظا فحسب بل كان عالما كبيرا ومدرسا ومؤلفا ناهزت كتبه العشرين وقد الف في الفقه والحديث والعربية والقراءات والتراجم والتاريخ وغير ذلك وعلى الاجمال فهو شيخ الجماعة في عصره ببلاد المغرب قاطبة .

416) في ع ني من هذه الصفحة وصدر محولها ترجمة لذي الوزارتين ابي عبد الله محمد بن ابي الخصال عنون لها بالغافقي ، يكن هذا العنوان (ابو عبد الله) بين قوسين وقال ولد في برغليط شاقورة ، وصواب الكلمتين فرغليط بالفاء وهي قرية من قرى شقورة بدون الف بعد الشين ، ثم قال بعد اوصاف له وذكر وفاته في ثورة المرابطين: له«ظل الاصحاب» في آل البيت النبوي ، وانا لم اعرف ان هذا الشخص هو ابن ابي الخصال الا بقوله مات في ثورة المرابطين ، والحقيقة انها ثورة الموحدين على المرابطين ، والا فهو غير معروف بالغافقي ابن محمد ، ثم زدت تأكدا انه المراد من الكتاب الذي نسبه له وان كان قد حرف اسمه وهو ظل الغمامة وطوق الحمامة في مناقب بعض صحابة الرسول (ص) فانظر كيف جعله ظل الاصحاب وجعل موضوعه مناقب آل البيت ، ولابن ابي الخصال ايضا « معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب » في نسبه (ص) ومناقب من اتصل به من الصحابة (ض) ، وعلى كل حال فابن ابي الخصال الذي قيل ان وصف كاتب لم يطلق في الاندلس على امثل منه هو اشهر من ان يعرف ولكن اذا ترجم له بالغافقي ابي محمد فان الذين يعرفونه حينئذ قليلون جدا ، وان كان غافقي النسب ، وكنيته ابو محمد .

417) في ص 366 ع ني ترجمة لعبد السلام بن غانم المقدسي المؤلف المعروف صاحب كتاب كشف الاسرار عن حكم الطيور والازهار ، وغيره من المؤلفات الوعظية والادبية ، سماه فيها محمد بن غانم وهو عبد السلام كما ذكرنا ، ثم انه ضبط نسبه المقدسي بضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال مع كسرها وهو بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال مخففا نسبة الى بيت المقدس كما لا يخفى ، وفي العمود شخص آخر بهذه النسبة ضبطه بنفس الضبط وصوابه كهذا .

418) في ص 367 ، ع ني ، بعنوان « غرار الاحكام » بكسر الغين كتاب في فروع الحنفية لملا خسرو صواب اسمه غرر الاحكام بضم اوله وفتح ثانية جمع غرة .

419) في ص 369 صور من غرناطة كتب على احداها : جن الريف ، وهو يعني ولا شك جنة العريف وقد كنا نبهنا على ذلك في حرف الجيم ، وكتب على اخرى : رواق معمد في الحمراء ، ومراده ذو اعمدة والكلمة ان صحت فانها تشتبه بما عمد اى اجريت عليه عملية المعمودية المعروفة عند المسيحيين فلا يصح اطلاقها هنا .

420) في ص 370، ع ل تحت اسم غريغوريوس اشارة الى التقويم السنوي المنسوب الى البابا غريغوريوس الثالث عشر مع التعبير عنه بالكلندر وتعريبه بالحساب ، والصواب في تعريبه التقويم كما هو جار على الالسنة والاقلام .

421) فى ع نى من هذه الصفحة ترجمة الكتاب احمد الغزال جاء فيها امين سر المخزن فى المغرب ، يعني ما سمى الان بكاتب الدولة او الكاتب العام للحكومة ، وهو حقيقة كان رئيس ديوان الانشاء اي رئيس الكتاب فى حكومة السلطان سيدي محمد بن عبد الله ولكنه لا يسمى امين سر المخزن ، وذكرت الترجمة رحلة الغزال المسماة نتيجة الاجتهاد فى المهادنة والجهاد وقالت مخطوط فى باريز ومع انه يوجد فى غير باريز كثيرا فقد طبع فى منشورات معهد الابحاث بتطوان من سنوات بتحقيق الاستاذ الفريد البستاني .

422) فى ص 371 ، ع ل ترجمة للاديب علي ابن عبد الله البهائي الغزولي الدمشقي صاحب كتاب « مطالع البدور فى منازل السرور » قال فيها اصله من البربر ، والذي عند غيره انه تركي الاصل ولعله اشتبه بالجزولي الذي يذكر بعده .

423) وفى المكان نفسه ترجمة لابن موسى الجزولي النحوي المشهور جعله الغزولي بالغين ولذلك ذكره فى حرفها وكان حقه ان يذكر فى حرف الجيم ، وقال فى حقه المراكشي البربري وهذا صحيح ، وبما انه ترجم الجزولي التي هي بجيم معقودة بالغزولي بالغين وكان هذا بربري الاصل فقد ظن البهائي الغزولي المذكور قبله بربريا مثله ، ثم قال فى ترجمة الجزولي تعلم على ابن البري بالالف واللام وهو ابن بري فقط بدون تعريف ، وزاد قائلا : له المقدمة الغزولية فى النحو مخطوط فى فاس ، وهي الجزولية بالجيم وتسمى ايضا الكراسة والقانون وتوجد مخطوطة فى فاس وفى غيرها من مكتبات الشرق والغرب ، وتنظر ترجمة الجزولي فى ابن خلكان وقد خصصناه بحلقة من ذكريات مشاهير رجال المغرب حللنا فيها مقدمته هذه وتوسعنا فى ترجمته بما بلغه الوسع .

424) وفيه ايضا تعريف بقبيلة غسان جاء اثناءه ذكر الملك الغساني الحارث بن جبلة بفتح الجيم والباء ولكنه ضبطه بسكون الباء فوجب التنبيه على ضبطه الصحيح ، وقد سلف له ذكر جبلة بن الايهم بهذا الضبط ايضا .

425) فى ع نى من نفس الصفحة بعنوان بنو غطفان قال : اسم قبيلتي جزام وقيس عيلان ومع ما فى نسبة هاتين القبيلتين الى قيس عيلان من مقال ، فان جذام بالذال المعجمة لا بالزاي كما ذكرها هو .

426) فى ص 372 ، ع نى تعريف بمدينة قالمة الجزائرية سماها غلمة بغين مضمومة وذلك من خطأ ترجمة اسمها عن الفرانسية الذي يكتب هكذا (GUELMA) حسب نطق اهلها الا انها فى الكتب العربية انما تكتب قالمة بقاف بعدها الف فلام مكسورة وينسب اليها الكاتب الاديب ابو القاسم القالمي من كتاب دولة الموحدين .

427) فى ص 373 ، ع نى تعريف بقبيلة غنى ابن اعصر كتب اسم جدها اعصر بواو بعد الصاد وهو خطأ .

428) فى ص 374 ، ع نى تحت اسم الغوطيون بالغين كلام على القوط والفن القوطي وقد عرب فى كل ذلك اسم هذا الشعب بالغين بدل القاف الذي درج عليه الكتاب والمؤرخون العرب ، فهو ليس كالبرتغال والمغول مثلا من الاسماءالتي عرب فيها الاسم ذو الجيم المعقودة بالغين .

طنجة : عبد الله كنون

* * *



للأستاذ عبد القادر زمامة

(2)

18 ــ اخفض جناحك يا موسى من الرهب ..!

وجدت بخط العلامة محمد بن يزيد ابن جامع التالي الاصل الفاسي الدار هذه الابيات :

انظر الى دمه فى الطاس كيف جرى
نوع من الراح فى كاس من الذهب
حتى اذا غربت يداه فى كفه
كالشمس غابت عن الابصار فى الحجب
تبت يدا كتبت من فوق وجنته
حمالة الورد لا حمالة الحطب
انظر كما قال فى التنزيل خالقنا
اخفض جناحك يا موسى من الرهب

19 ــ يعارض التوابع والزوابع لابن شهيد..!

فى الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر ج 2 ص 22 ترجمة للحسن بن علي الملقب ببدر الدين الغزي ذكر فيها ان له رسالة سماها : قريض القرين . تشتمل على نظم ونثر عارض بها ابن شهيد فى رسالة التوابع والزوابع ..!

20 ــ سبب انتساب الشيخ خليل الى المذهب المالكي ... !

وفيها ايضا ج 2 ص 89
ترجمة للشيخ خليل صاحب المختصر الفقهي الشهير .. ذكر فيها أن والد الشيخ خليل كان حنفيا ... فلما لازم الشيخ ابا عبد الله ابن الحاج المغربي الفاسي صاحب كتاب (المدخل) اعتقده ومن أجل ذلك اشتغل ولده بالمذهب المالكي حتى اصبح من اقطابه ..!

21 ــ ويحسب ما فوق التراب ترابا

وجدت بخط الشيخ ابي حامد الفاسي صاحب المرآة هذه الابيات :

وظمآن حران الجوانح من اسى
يساق الى الورد الزلال فيابى
ينكب عن عذب الفرات لانه
يرى كل ما دون الرضاب سرابا
واي بلاد غير فاس تروقه
وقد شب فى احضان فاس وشابا
يرى كل ترب دون تربتها قذى
ويحسب ما فوق التراب ترابا

22 ــ ولكن فى المنام ..!

فى درة الحجال لابن القاضي ج 1 ص69 فى ترجمة احمد بن قاسم من اهل المرية المتوفى سنة 749 انه قال فى هجو حمام ...

وحمام عدمنا الماء فيه
وابكانا به لذع الهوام
فلولا الدمع لم يبتل جسمي
ولولا الشمس لم تدفأ عظامي
وجدنا فيه شيخا لوذعيا
كبير السن منحني السنام

فقلنا هل رايــت المــاء فيــه
فقال نعم .! ولكــن فى المنـــام ..!

23 ــ تلقى الركبان ...!

فى مخطوطة كتاب « مطلع اليمن والاقبـــال »
« ومن ذلك قول شيخنا القاضي ابى بكر بن شبرين..
اروبها عنه بالاجازة العامة ..

علــق الفــؤاد باهيــف فتــان
لا ينثنى ابـدا عــن الهجـــران
فى كل يوم عروبــة اغــدو الــى
مـــرج ارقـــاد اراه فى الفرســـان
والفقه من شاني ولكنــي امــرؤ
فيـــه ابيــح تلقــي الركبــــان

24 ــ ليتني ..! وليتهـــا ..!

لما شاهد المعتمد ابن عباد جبال الاطلس وهو فى طريقه الى اغمات انشد :

هـــــذه جبـــــــال درن
كـــم بهـــــا مـــــن درن
ليتنـــــي لـــــم ارهـــا
وليتهـــا لـــم تـــرنـــي

25 ــ النضار فى المسلاة عن نضار ..!

ترجم الحافظ ابن حجر فى الدرر الكامنة ج 4 ص 395 لنضار بنت الامام ابي حيان النحوي .. وقال انها توفيت سنة 730 هـ فحزن والدها عليها وجمع فى ذلك جزء سماه :

« النضار فى المسلاة عن نضار »

26 ــ ممزوجة بدمـــاء ..!

شاهد المعتمد ابن عباد فى منفاه باغمات خروج الناس لصلاة الاستسقاء من اجل انحباس المطر فانشد :

خرجوا ليستسقوا فقلــت لهــم
دمعي ينـــوب لكم عـــن الانـــواء
قالوا : حقيق فى دموعــك مقنــع
لكنهـــا ممزوجـــة بدمـــاء ...

27 ــ لتـــالــــه ...!

فى المطرب لابن دحية الكلبي فى ترجمة الشاعـــر ابن وهبون ... انه دخل على المعتمد وهو ينشد هذا البيت لابي الطيب المتنبي ويردده ...

(اذا ظفرت منك العيــون بنظـــرة
اثــاب بها معــي المطــي ورازمــه)

فقال ابن وهبون بديها :

لئن جاد شعر ابن الحسين فانمـــا
تجيد العطايا واللهى تفتــح اللهـــا
تنبا عجبا بالقريــض ولـــو درى
بانـــك تـــروي شعـــره لتالهـــا

28 ــ سمينـــــــة ..!

فى كتاب الاستبصار فى عجائب الامصار لمؤلـــف مجهول عاش ايام المنصور الموحدي .. ص 216 عند ذكر مدينة : « اودغست » بالسودان ..

« اخبرني ثقة من التجار : انـــه راى بمدينـــة اودغست امراة راقدة على جنبها وكذلك يفعلن فى اكثر احوالهن اشفاقا من الجلوس على اردافهن . وراى ابنا لها طفلا يلعب حواليها . وهو يدخل تحت خصرها . ويخرج من الجهة الاخرى من غير ان تتجافى له وذلك لعظم ردفها ودقة خصرها ...! »

30 ــ يطير شاربه الف ميـــل ...!!

وفى الاستبصار ايضا ص 138 عند ذكر مدينـــة طنجة :

« وبخارجها ماء طيب يسمونه : برقال ..! وفيه يقول الشاعر :

بطنجة عين ماء وســـط رمـــل
لذيـــذ مـــاؤه كـــالسلسبيـــل
خفيف وزنـــه عـــذب ولكـــن
يطير شاربه الـــف ميـــل ..!

31 دخلنـــا ونحـــن ابنـــاء ســـام ..
وخرجنا ونحـــن ابناء حـــام

فى جذوة الاقتباس ص 116 فى ترجمة خالد بن عيسى البلوي ... ومن انشادات عمرو بن المرابط يذم حمام (توزر) :

ان حمامنا الذي نحـــن فيـــه
هـــو فى حاجـــة الـــى الحمـــام
فدخلنا ونحن ابنـــاء ســـام
وخرجنا ونحن ابناء حام ...!

32 — تركنا لقوم آخرينـــا ...

في ترجمة موسى بن يوسف ملك تلمسان من بني زيان الذي فر منها الى الصحـراء امام ابي فارس عبد العزيز المريني .. انه كتب على حائط قصره بخـط يمينه هذه الابيات ... من درة الحجال لابن القاضي جزء 2 ص 317 ومن روضة النسرين ص 36 .

سكناهـــا ليالـــي آمنينـــا
وايامـــا تســـر الناظرينـــا
بناها جدنا القـــرم المفـــدى
وكنا نحن بعـــض الوارثينـــا
فلما ان جلانا الدهـــر عنهـــا
تركناها لقـــوم آخرينـــا ..!

33 — (مبيتة) بـ (المزمزمين)

في درة الحجال ج 2 ص 443 في ترجمة علـــى القبائلي « اتفق من قضاء الله وقدره انه صنع لاصحابه (مبيتة) واتى فيها بـ (المزمزمين) !!! واصحـــاب الطرب فكان المغني لا يجري على لسانـــه الا قولـــه :

وساعدتك الليالي فاغتـــررت بهـــا
وعند صفو الليالي يحدث الكـــدر

وكانت الليلة المذكورة ليلة عشر من شوال فقبـــض عليه في صبيحتها ثم قتل » .

34 — تشبيه غريب ...!

في ترجمة الشاعر مالك بن المرحـــل مـــن درة الحجال ج 2 ص 324 في مدينة سبتة :

اخطر على سبتة وانظـــر الـــى
جمالها تصبـــو الـــى حسنـــه
كـــانهـــا عـــود غنـــاء وقـــد
القـــي في البحـــر على بطنـــه ..!

35 — كانني ارضة ..!

في ترجمة عثمان بن سعيد التينملي مـــن درة الحجال ج 2 ص 419 .

يا اهل مصـــر رايـــت ايديكـــم
عن بسطهـــا بالنـــوال منقبضـــة
فمـــذ عدمـــت الفـــداء عندكـــم
اكلـــت كتبـــي كانننـــي ارضـــة

36 — لا تمته على الشهادة ..!

في مخطوطة (مطلع اليمن والاقبال) لابن جزي من توقيعات السلطان ابي عبد الله ابـــن الاحمـــر .. في شخص الح في طلب خطة « الشهادة » .

يموت على (الشهادة وهـــو حـــي
الهـــي لا تمتـــه علـــى الشهـــادة

37 — كتاب « سنا المهتدي »

وجدت ابياتا للفقيه العلامة مـــولاي احمد بـــن المامون البلغيثي رحمه الله كان قد كتبها بطرة كتاب « سنا المهتدي . في مناقب الوزير اليحمدي » لمؤلفـــه علي بن احمد بن قاسم المعروف بمصباح الزرويلي :

بعثته وبعثت القلب في اثـــره
انعم به من كتاب طيبت من سمره
يا حبذا ما به من كل نـــادرة
تغنيك عن نغمة الشادي وعن وتره
كانما كتب الآداب اجمعهـــا
قد جمعت عنده في منتقى خبره

38 — يدرس فرعي ابن الحاجـــب ويهتز للطرب ..!!

في فهرسة ابي العباس احمد المنجور : عند ذكـــر الشيخ عبد الواحد الونشريشي :

« ومن رقته وذكائه انه كان يدرس يوما فرعي ابن الحاجب بالمسجد المعلق برحبة الزبيب فاجتازت من هنالك « عمارية » مصحوبة بطرب من الزمارة المسماة « الغيطة » والاطبال والبواقات ... فاخرج راسه من الطاق واصغى الى ذلك ..!! » ثم مازح طلبته بهـــذه المناسبة ...

39 — لا تمشي لها الا بالمظلة ..!

في المحاضرات لابي علي اليوسي :

ومن الملح فى تاخير الصلاة ان الفقيه ابا عبد الله ابن سودة قاضي مدينة فاس . كان يوم بجامع القرويين . وكان يؤخر صلاة الصبح تاخيرا مفرطا . فحدثني بعض الاصحاب قال : لقيت صبيا من اهل فاس اذ ذاك فسألته عن صلاة الصبح بالقرويين . هل ادركها ..؟ فقال : والله لا نمشي لها الا بالمظلة ..!!

« يعني اننا نجعل المظلة اتقاء حرارة الشمس وهذا من المبالغات » .

40 ـ البواب ينصح الامام ابن غازي

فى درة الحجال لابن القاضي فى ترجمة محمد بن يوسف الترغي « وحدثني أن ابن غازي لما نفاه محمدبن ابي زكرياء الوطاسي .. الملقب بالحلو . عن مكناسة .. لقيه بواب مكناسة وهو خارج منها قاصدا المشرق ..! فقال له البواب يوصيه : يا محمد عليك بالقراءة ...! فمن بركتها بلغت هذا « المنصب » ..! وهذه « الخطة » ..! يعني « خطة » الجلوس لحراسة الابواب ...!!

فاس : عبد القادر زمامة





نظرة حول الأحوال الثقافية باندونيسيا

للأستاذ المهدي البرجالي

يشكل الارخبيل الانيدونيسي عالما قائما بذاته مترامبا على مسافات شاسعة في المحيط اقصى القارة الآسيوية ، ويعيش ضمن هذا العالم الرحب ، عشرات الملايين من الناس ، تسودهم لغات متنوعة ، وقد تسربت الى محيطهم الفكري في القديم ، تيارات ثقافية ، واردة من وسط آسيا ، كالهند ومن غربها كالبلاد العربية ، ان الاهتمام الايندونيسي الحاضر في ميدان الفكر ، ينصب على تطوير لغة قومية موحدة في الارخبيل الى جانب اللغات المحلية الاخرى ، وتظهر من خلال ذلك كله نزعات ادبية متجددة تضفي على الادب الايندونيسي ملامح خصب وغنى — ما هي آفاق هذا التطور الادبي واللغوي في الارخبيل ؟ والى اي مدى يسير ؟

استاثرت ايندونيسيا باهتمام العالم كثيرا خلال الشهور الماضية ، وذلك اثر التطورات السياسية التي كانت مسرحا لها ، والتي نشأت عنها «اثار دولية في منطقة جنوب شرقي آسيا ، وقبل ذلك التفتت الأنظار كذلك كثيرا الى ايندونيسيا في صراعها من اجل « ايريان » ثم عند انسحابها من الامم المتحدة ، حيث خيف حينئذ ان يشكل ذلك سابقة بعيدة المدى يكون لها ما بعدها من تاثير على مستقبل المنظمة الامية ، واوغل من ذلك في حساب الزمن سنة 1954 حينما احتضنت ايندونيسيا مؤتمر «باندونغ» وتسمرت حولها الاعين في العالم تراقب عن كثب هذا التجمع الشرقي الكبير ، وبالطبع ، فقد اصبح الارخبيل «اتئذ معرضا لكل تيارات الراي والفكر الافريقية الاسيوية ، و « عكاظا » سياسيا يقل امثاله ، اذا حاولنا ان نقارنه بامثاله . وفي خلال هذا ، وقبله ، وبعده ، فان كل واحد ممن يتتبع النشاط الايندونيسي يعنيه من امر هذه البلاد ما يتفق مع ميوله وموقفه ، فهناك من يعنيه من امر ايندونيسيا الا تصبح قوة تقل في المعسكر المضاد له ، وهناك من يهمه من امرها ان تبقى عامل توازن دولي بالتزامها للموقف الذي عليه الكثير من اقطار العالم الثالث : اي موقف محاربة التدخل الاجنبي وايثار مبدأ التعاون الدولي غير المقيد ، وهناك من يرى في ذلك العالم السابح في المحيط ، عبارة عن قوة فكرية وسياسية اسلامية ، لها من الوزن ماديا ومعنويا ، ما تستطيع ان تبرز به الوجود الاسلامي في المنطقة الاسيوية ، وتوفر له ممكنات مختلفة ، تتعلق بحاضره ومستقبله ، ان ايندونيسيا من هذه الناحية الاخيرة تاخذ باهتمام الكثيرين في العالم الاسلامي . وليس ذلك راجعا الى طاقتها البشرية والاقتصادية فحسب ، وانما يرجع بدرجة لا تقل اهمية الى قيمتها الفكرية وما يمكن ان تحدثه من انعاع فكري اسلامي ، في منطقة آسيا الشرقية والجنوبية ، المتصارعة فيها القيم ، والعقائد ، والحضارات ، تصارعا عظيما . وخارج النطاق الاسلامي تستثير ايندونيسيا عناية المتتبعين لتطور الافكار والاتجاهات الفكرية بجنوب الشرق الاسيوي ، لانها بوابة ضخمة من بوابات آسيا الى المحيط الهادي» ، وبالتالي فيمكن النظر اليها

بصفتها احدى صلات الوصل المهمة بين الشرق الاسيوي ونصف الكرة الغربي في الطرف الاخر من المحيط الهادي، ومن هنا تستمد اهميتها المتزايدة على الصعيد السياسي والفكري، ومن هنا ايضا منشأ هذه التيارات الدولية المعقدة التي تتصارع حولها في شكل سافر احيانا، ثم في اشكال اخرى اقل سفورا، بل واوغل احيانا في الغموض والاسطورية الى درجة بعيدة، غير ان امكانياتها الذاتية في مضمار السياسة، وشخصيتها القوية في مجال الثقافة والفكر، كل ذلك يكسبها في الغالب صلابة ملحوظة امام جميع التيارات المتدافعة في المنطقة الشرقية الاسيوية، ومناعة تحول بينها وبين ان تنحل في بوتقة التفاعلات السياسية التي يعرفها الشرق الاقصى منذ عشرين سنة، وعلى اي حال فان الذي لا بد من تاكيده بهذا الشان ان الحقيقة السياسية والاقتصادية لاندونيسيا، ليست هي الحقيقة الاندونيسية كاملة، فخطأ كبير ان يحاول المرء تبين الصورة المتكاملة للارخبيل الاندونيسي منذ خلال المرآة السياسية والاقتصادية فحسب، فالجوانب الفكرية والثقافية لها شان كبير في فهم التطور الاندونيسي في الماضي، وادراك بعض الآفاق التي تظهر منها ملامح هذا التطور في المستقبل، وفكر امة وثقافتها، هو ادل على شخصيتها، ومعنى وجودها الانساني من اي شيء يتصل بحياة هذه الامة من جوانبها المادية اليومية، بل ان الحياة المادية اليومية نفسها تخضع في اعتبارات عدة، لنوع الثقافة التي تسود المجتمع، والافكار التي تكيف عقليته وتدمغ وجهته الحضارية، وقد تفاعلت العقلية الثقافية الاندونيسية في الماضي مع جملة من تيارات الثقافة والوان الفكر والحضارة تواردت على جزر الارخبيل خلال العشرين قرنا الماضية، ولم يكن لهذا التفاعل ان يقع دون ان يخلف «اثارا عميقة في المزاج الثقافي الاندونيسي، ويطبع تاريخ الفكر والثقافة في الارخبيل بطابع خاص تتراءى من خلاله ملامح عربية وهندية وجاوية وغيرها، ثم ان التيارات الحديثة: تيارات التطوير والتجديد، التي تجد سبيلها الى الفكر الاندونيسي الحديث، كما تجد سبلا عديدة الى مختلف البيئات الثقافية والفكرية في عالمنا المعاصر، هذه التيارات تربط اسبابا بين الفكر التقليدي المحلي والافكار الاوربية المتجددة. ولكن المهم فيها كذلك انها تتجه لتحدث نوعا من التلاقي والتفاعل الثقافي بين هذا القطر الشرقي النائي وبين الاقطار النامية الاخرى في اسيا وغيرها. كل هذا يبرز الاهمية التي تكتسيها حركة الفكر في تلك البلاد، وان كانت نظرة عجلى كهذه، لا تكفي لتصوير هذه الحركة تصويرا يستوعب مختلف التطورات الواقعة، والمفاهيم المستجدة، والاثار الكثيرة الناتجة عن ذلك. والملحوظ بهذا الشان ان التبلورات الثقافية والفكرية الواقعة في الارخبيل الاندونيسي، لا تنحصر فقط في نطاق المفهوم الدنيوي لحركة الثقافة وما يتولد عنها من «اداب موضوعة وفنون مستجدة، واساليب شتى تتعلق بالسياسة وغيرها. ان الفكر الاندونيسي انفعل كذلك طويلا وينفعل الان بمفهوم ديني للثقافة، له قابلية التعاطي مع النهضات الدينية في مختلف انحاء العالم الاسلامي. وقد كان للتفكير الديني في الارخبيل، تاثير جوهري في انبعاثه السياسي والفكري الحديث، ولا شك انه لا يزال للتفكير الديني هناك امكانيات متزايدة تناط بها «امال لا من اجل الاحتفاظ للاسلام الاندونيسي بفتوته ونشاطه بل كذلك من اجل توفير القدرة له ليضطلع بدوره في ارشاد الكتل الوثنية الكثيرة بالشرق الاقصى التي لها قابلية التفتح على الاسلام اذا وجدت من يقودها اليه.

* * *

تيارات خارجية ثلاثة تواردت على اندونيسيا خلال العصور، وساهمت – على درجات مختلفة – في تلقيح الطاقة الفكرية الاندونيسية، وربط الصلة الحضارية بين اندونيسيا والعالم الخارجي.

اولى هذه التيارات: هو التيار الهندي. وثانيهما التيار العربي الاسلامي. ثم التيار الاوربي الحديث.

1) وترجع الاتصالات الاندونيسية – الهندية الى زمن مبكر بعض الشيء، كان ذلك تقريبا في القرن الاول للميلاد. وقد كانت الهند وقتها من مراكز الاشعاع الثقافي والحضاري بالشرق الاقصى والقارة الاسيوية.

ويعتقد – بموجب البحث التاريخي – ان الاتصالات الهندية – الاندونيسية كانت تتم عن طريق الهجرة من الهند الى اندونيسيا بصورة اخص، وقد انتقلت على

هذا الاساس الى جزر الارخبيل طوائف مختلفة من الهند ، منها ما هو من قبيل الطبقات المثقفة والمتحضرة جدا . ويظن ان النازحين الى الارخبيل من الهند ، قد اقبلوا على التناسل مع النساء الايندونيسيات ، فكان من ذلك تمازج قوي بين المجتمع الهندي والايندونيسي ، يسر السبيل للهنود بعد ذلك ، ليلعبوا دورا مهما في نقل الدعوة الاسلامية الى تلك البلاد . ويدل البحث التاريخي ان النفوذ الهندي في خلال العهود الاولى للميلاد ، قد وصل في جاوة الى درجة الاخذ بزمام المبادرة السياسية ، حيث تحقق في خلال ذلك قدر من التفاعل الحضاري والثقافي بين الهندية والجاوية سنرى بعض ملامح سريعة منه في الفقرة التالية .

2) ويأتي بعد التيار الهندي تيار آخر لعله اقوى التيارات الخارجية التي انفعل بها المجتمع الايندونيسي فكريا وحضاريا ، اكثر مما انفعل بشيء اخر . والمراد بذلك هو التيار العربي ـ الاسلامي ، الذي تعرف عليه الايندونيسيون ـ كما تقدم ـ عن طريق الهند ايضا ، وبالطبع عن طريق مسلمي الهند ، الذين كان لهم ـ على العموم ـ اثر بارز جدا في نشر القيم العقائدية والحضارة الاسلامية في عدد من اقطار المحيط الهندي وعلى الرغم من توسط الاسلام الهندي ـ بصورة اساسية ـ في نقل المؤثرات الثقافية الاسلامية الى الارخبيل الايندونيسي ، فان العناصر العربية ـ وخصوصا التجار قد كان لهم نشاط كبير بهذا الشان . وقد عرف عن العرب انهم كانوا مالكي زمام التجارة والملاحة في المحيط الهندي الى القرون الاخيرة . ودخول العرب للارخبيل يرجع لعهود بعيدة ، يظن ان ذلك كان خلال القرن الثالث عشر الميلادي ، او ربما فيما قبله الا ان القرن السابع عشر يسجل مزيدا من الاتصال العربي الايندونيسي عن طريق الهجرة الحضرمية الواسعة وما نشأ عنها من ازدياد الجاليات العربية هناك .

3) وفي اوائل القرن السادس عشر جرت اول الاتصالات الايندونيسية بالاوربين ، وكانوا برتغاليين في البداية وفي اواخر القرن بدات الطلائع الهولاندية الاولى تتصل بالارخبيل . وكانت الحركات الهولاندية هذه ـ كما نعلم ـ جزءا من التحركات الاوربية العامة ، التي اندفعت بعدد من اقطار غربي اوربا الى الانتشار في الشرق وافريقيا وامريكا . وتكوين الامبراطوريات التي كانت حماها قد اجتاحت الاوربيين الغربيين خلال القرون القليلة الماضية ، وعلى الرغم من طول المدة التي وقع فيها هذا الاحتكاك بين الايندونيسيين وحاكميهم الاجانب ! فان طبيعة النظام الاستعماري السابق لم تمكن الايندونيسيين من تفتح واسع على آفاق العالم الحديث من خلال هذا النظام . ومن المظاهر الصغيرة لذلك ، ان ايندونيسيا غداة توصلها للاستقلال سنة 1945 لم تكن تتوافر فيها جامعة كاملة ، وانما كان هناك بعض المعاهد العليا للفنون والحقوق والملاحة وطب الانسان والطب العام ، واكثر روادها كانوا اوربيين . ومع ذلك فقد كان العصر الحديث مرحلة جديدة في حياة الفكر الايندونيسي ، انفعل بها بافكار جديدة ومفاهيم جديدة ، كان لا بد ان تهب عليه رياحها من اسيا واربا وامريكا وغيرها .

وخلال هذه القرون كلها ، وعبر التيارات المختلفة التي تواردت على ايندونيسيا في العصر الوسيط او العصور الحديثة ، كانت الثقافة الايندونيسية ، تكون شخصيتها وتكامل ، مستمدة غذاءها ـ كما تقدم من البيئة العقلية المحلية ـ متفاعلة على درجات مختلفة مع التيارات الثقافية الواردة من هنا وهناك .

* * *

للثقافة مفهوم واسع جدا ، يشمل مختلف نشاطات الانسان من اجل العيش ، والتقدم والاستمتاع ، وتنظيم العلاقات وغير ذلك . وتتبلور من خلال هذا الاطار الواسع للثقافة الاوضاع الاجتماعية والقانونية واحوال الحكم ، والتقاليد والمعتقدات والعمران وما الى ذلك كثير . واذا ذهبنا نستقصي مظاهر الثقافة الايندونيسية من هذه الزوايا ، لخرج بنا القول عن هذه النظرة السريعة التي نلقيها الان . غير ان ذلك لا يمنعنا من استعراض بعض جوانب التواصل الثقافي بين ايندونيسيا والعالم الخارجي ـ وهذا هو محور الموضوع الذي نتناوله ـ ومن خلال ذلك ، يمكننا ان نتبين بعض مظاهر الثقافة الايندونيسية ، والعوامل التي ساهمت فيها في الماضي ، والاهتمامات التي تلح عليها الان . لقد قدمنا ان الارخبيل الايندونيسي ، تواردت عليه خلال القرون العشرين الماضية ، تيارات ثلاثة اساسية : التيار الهندي

والتيار العربي الاسلامي والتيار الاوربي الحديث .

ففي خلال القرون الاولى للميلاد – وفي فترات الاتصال الايندونيسي بالهند الهندوسية ، حدثت كثير من حالات التفاعل والتعاطي بين العقلية الحضارية الهندية والعقلية الحضارية الايندونيسية .

لقد حمل المهاجرون الهنود معهم قيمهم الحضارية والثقافية المحلية ، ومن بين ما حملوه معهم ، الفلسفة الهندوكية ، وما تضمه من افكار وعقائد مختلفة ، وتدل التحريات التاريخية ان المجتمع الهندوسي الجاوي –في خلال القرن الاول للميلاد وما تلاه ، قد تعرض لنوع من التفاعل الحضاري عميق الغور ، تبلورت من خلاله جملة من العادات والتقاليد الفكرية وغيرها التي انطبع بها هذا المجتمع . وقد كانت هذه التقاليد تنضح بنكهة هندية بارزة الا ان العقلية الايندونيسية الغلابة ، قد استطاعت ان تهضم الكثير من هذه المؤثرات الهندية ، وتصهرها في اطار محلي ، بما يتفق مع بقاء الشخصية الايندونيسية قائمة ، وقل مثل ذلك عن الجوانب الفنية التي اورثها النفوذ الهندي لايندونيسيا . فقد تاثرت جاوة بالاخص وبعض الجزر الايندونيسية الاخرى ، بامثولات فنية وتقنية ، ذات اصل هندي وارد . فمعابد كالتي مثلا ، اقيمت في « بوروبودور » و « بولان » وغيرهما ، تمثل حقيقة خصائص فنية هندية من حيث الاسلوب المعماري الذي اقيمت به ، ثم النقوش التي زخرفت بها ، ولكنها – مع ذلك – تمثل طابعا ايندونيسيا بارزا يمكن تعليله بما ذكرناه من قابلية العقلية الايندونيسية لهضم المؤثرات الواردة ، على مستوى الفنون او غيرها . وخلال فترة الاتصالات الايندونيسية الهندية ، كانت تتوافر لمجتمعات الارخبيل لغات محلية مكتوبة ، دلت عليها بعض الكتابات المنقوشة على الحجر او المعدن ، والتي عثر عليها في بعض النواحي بالارخبيل . ومن هذه الكتابات المعثور عليها ما يرجع تاريخه الى القرن السابع الميلادي ، كالكتابة التي اكتشفت في « مالامبانغ » مثلا ، ولا تستمد الكتابة المعثور عليها اهميتها من مجرد كونها كتابة وكفى ، بل تعكس حالة من التفكير جدير بالالتفات ، من ناحية دراسة الاحوال العقلية للمجتمع المحلي في ذلك الحين . فقد وجدت بعض الكتابات تتضمن اوامر حكومية ، وكتابات اخرى هي عبارة عن اناشيد وحكايات ، وتعاليم دينية وغيرها . على ان المهم في تلك العصور ، لم يكن هذه الكتابات المنقوشة وكفى ، فتاريخ الادب الايندونيسي القديم يتحدث عن اعمال ادبية كثيرة يرجع بعضها الى القرن السابع الميلادي ، منها ما هو منظوم ، ومنها ما هو مصاغ صياغة نثرية . وقد توالى خلال القرون اللاحقة ظهور اعمال ادبية مختلفة ، منها اعمال ملحمية مستوحاة من بعض المؤثرات الهندية ، ومنها بعض اخبار الملوك الايندونيسيين القدامى ، وقصص بعض العشاق المشاهير هذا الى اشعار مختلفة تتناول اغراضا مثل هذه او غيرها .

وبمجيء الاسلام عرفت جزر الهند الشرقية ، عناصر تفكير جديدة ، اغنت الفكر الايندونيسي وهيأت له مجالات واسعة ، لانتاج اثار دينية وادبية وغيرها وقد تاثر التعليم في كثير من اقطار الشرق الاقصى الاسلامية بنفس الاشكل والاساليب التي كان يتم بها التعليم التقليدي في الاقطار العربية ، وما فتئت المساجد تلعب دورا مهما في نشر المعرفة والثقافة ، وهذه التقاليد التعليمية قد كان من امرها ان ساهمت – لحد كبير – في الابقاء على الصلة الثقافية بين العرب وجزر الارخبيل ، والمهم فى ذلك ان البيئة الثقافية الايندونيسية قد تسرب اليها بمجيء الاسلام عنصر جديد ومنتج ادخل عليها قوالب جديدة فى التفكير والتعبير ، وظهر ذلك سواء فى ميدان التعبير الادبي او العلوم الاعتقادية والشعائرية او الفنون المعمارية بالاخص . فقد احتوت اللغة الرئيسية (لاباهاسا) مصطلحات عربية كثيرة دينية ، ويومية وغيرها ، واشتملت اللغات الايندونيسية الاخرى على الفاظ عربية مختلفة ، وقد سبق في عصور الاتصال الايندونيسي الهندي ، ان تسربت الى الارخبيل كذلك مؤثرات لغوية هندية من خلال النفوذ الذي كان للغة السنكريتية في ذلك الحين ، واذا رجعنا الى التاثير الاسلامي نجد للثقافة الدينية تأثيرات كثيرة حققتها في المحيط الثقافي الايندونيسي خلال القرون الاخيرة فقد نقلت الى اللغة الايندونيسية عناصر الثقافة الاسلامية وتأثر الادب الايندونيسي كثيرا بالقيم والتصورات الدينية ، وبدا ذلك في بعض القصص الدينية التي ظهرت خلال القرن السابع عشر وما بعده . وقد اوحت الحياة الدينية الاسلامية للذوق الايندونيسي بتشييد معالم دينية مختلفة ، تتميز باشكال اصيلة في الهندسة المعمارية .

وتاتي بعد التيار العربي – الاسلامي ، مبادرات الاتصال الاولى بين الاوربيين والارخبيل . وقد احدث هذا التيار الثالث تقلبات بطيئة في الحياة الفكرية الايندونيسية ، وان كان ذلك لم يحدث كله بالضرورة عن طريق النظام الاستعمري السابق ، والاحوال التي خلقها الاحتكاك الشديد بين ايندونيسيا والغرب تشبه في كثير من جوانبها الاحوال التي خلقها نفس الاحتكاك في اقطار اخرى بالشرق ، فقد امكن للجيل الجديد من الايندونيسيين ان يتلقى مفاهيم جديدة عن الثقافة والحياة الحضارية الحديثة . وكان الاحتكاك بين الحضارة الحديثة ، وسواد الناس اقل تاثرا بالنظريات المجردة فقد كان احتكاكا على صعيد الحياة اليومية اكثر . فما ذا ادت اليه كل هذه الحالات من الاحتكاك ؟

والحق ان العقلية الايندونيسية – امام تيارات التعبير الواردة من اوربا – قد برهنت عن تحفظ وشدة حذر ، يمكن ان يلحظه المرء بسهولة من خلال دراسته لاوضاع التفعل الفكري بين ايندونيسيا والغرب خلال القرون الاربعة الاخيرة ، والتحفظ الايندونيسي هذا لا يبدو وكظاهرة فريدة ، تتميز بها العقلية الايندونيسية عن غيرها ، ولكن يمكن القول ان المجتمع الايندونيسي يشترك في هذه الظاهرة مع المجتمعات الاخرى الاصيلة حضاريا كالمجتمعات العربية ، التي لم يستطع الفكر الاوربي ان يجردها عميقا من اصول شخصيتها الفكرية ، ويمكن للمرء ان يلاحظ اكثر من ذلك ، ان وضعية الارخبيل الايندونيسي الجغرافية كان من الجائز ان تجعل مناعته الفكرية بهذا الصدد ، اقل من غيرها، فاقطار المحيط الهادي تكاد كلها تكون قد تأثرت حضاريا بالتيارات الواردة عليها من اوربا الى درجة اصابة الشخصية الحضارية المحلية في الصميم في بعض الاحيان، لكن لا يجب ان ينسى المرء ايضا ان ايندونيسيا – وان كانت تنتسب لعالم المحيط الهادي، فهي ذات ارتباط جغرافي وحضاري وفكري ايضا بعوالم المحيط الهندي ، ومناطق الالتقاء بين المحيطين ، وذلك مضافا اليه قوة شخصيتها التاريخية ، وارتباطاتها الفكرية بعالم العروبة والاسلام – كل ذلك كان من شأنه ان يكسبها قوة مناعة حقيقية ازاء عوامل الانصهار الخارجي التي تواردت عليها من اوربا خلال القرون الاخيرة ، على انه يجب ان نعير انتباهنا لملاحظة جوهرية تتعلق بالظاهرة هذه ، ذلك ان المناعة التي نتحدث عنها لا يرجع وجودها فقط ، الى حالة وعي عميق بسبل الاختيار ، وما ذا تفرض من تبصر في نوع المصير الحضاري والفكري الذي يؤثره مجتمع او آخر ، ان المجتمع الايندونيسي كالمجتمعات الاسيوية والافريقية الاخرى ، لم يكن لكتله كلها ان تعي القضية الحضارية المعروضة ، بكل ابعادها وملابساتها المعقدة ، ان وعيا بهذا المستوى يكون في غالب الحالات داخل الاقطار المتخلفة – من نصيب ما نسميه بـ « الانتلجنسيا » او النخبة المثقفة ، اما سواد الناس ، فان ازمة الاختيار لا تنفتح امامهم حقا بكل ابعادها الدراماتيكية التي يفرضها استبطان القضايا المعروضة ، وادراكها ادراكا كاملا من نواحيها السلبية والايجابية ، وبهذا المعنى يمكننا ان نتصور حدود النطاق الذي شمل دالة المعركة معركة التفاعل الفكري بين الارخبيل والقوى الفكرية الواردة من الغرب ، ويمكننا بذلك ان نتصور طبيعة المناعة التي كانت حاصلة ، فقد ثارت في ايندونيسيا ، كما في غيرها ، مسائل عميقة تتناول وضعية الفكر المحلي امام التيارات الاوربية الواردة ، غير ان سواد الناس لم يكن لهم من داع فكري قوي يدفعهم الى التأثر عميقا بالقضايا المطروحة ، ولكن النقاش الذي كانت تثيره النخبة ، لم يكن له ليمر دون ان يترك اصداء بعيدة في حظيرة الكتل الاجتماعية المختلفة ، ولم تكن هذه الكتل خالية من اي استعداد للتجاوب ، لقد كان هناك فى اعماقها قدر من النزوع للتجاوب ، ولكنه تجاوب مع العوامل الاقرب الى اهتمامات بيئة اسلامية كالبيئة الايندونيسية . ومن اهم هذه العوامل العامل الفكري الاسلامي . وهكذا وجدت التيارات الفكرية الاتية من الشرق العربي مجالا واسعا لاحداث تجاوب واسع مع العقلية الشعبية الايندونيسية . وفى ذات الوقت كانت العناصر المتعلمة فى اوربا والتي لم تعش عيونها بوارق الحضارة الاوربية – كانت هذه العناصر تعمل مع التيار الاسلامي على بلورة الفكر الايندونيسي ليستطيع استيعاب الحركة القومية الايندونيسية .

وقد تاثرت حركة الفكر والثقافة بكل هذه التطورات على نطاق واسع ، ومن الممكن تقسيم تيارات الفكر الايندونيسي على هذا الاساس الى ثلاثة اقسام :

1) ادب القرن الماضي وما قبله .

2) ادب القرن الحاضر الى سنة 1945 حيث انتزعت ايندونيسيا استقلالها انتزاعا .

3) ثم فترة الادب الايندونيسي في عهد الاستقلال .

وقد كان الادب الايندونيسي خلال الفترة الاولى وما قبلها ، كان ذا نزعة اخلاقية غيبية في كثير من الاحيان ، وكانت القوالب السائدة فيه ، هي قوالب الشعر والحكاية والامثال والاساطير وغيرها . الا ان الادب الديني كان له مقام ملحوظ خلال العصر الوسيط وما تلاه ، وكانت القصة قالبا متبعا في عدة احيان ، لصياغة هذا النوع من الادب ، الادب الديني الذي كان يتناول العصور الاولى للاسلام في بلاد العرب نفسها .

اما في الفترة الثانية التي تبدأ اوائل هذا القرن وخصوصا في العقد الثالث منه ، فقد تميزت بتطورات جديدة في محيط الادب الايندونيسي ، سواء من حيث الاشكال او المضامين ، وقد غدا الشكل الروائي باسلوبه الحديث ، شكلا متبعا في صياغة الافكار الادبية وبلورتها ، ومن الرواد في هذا الميدان « نور سوتان اسكندر » وغيره عدد غير قليل ، وقد ادت الرواية دورا في التعبير الادبي ذا شأن كبير ، فقد شاهدت العشرينات والثلاثينات ، ازدهار الحركة الوطنية بالصورة التي يعرف بها تاريخ ايندونيسيا السياسي خلال تلك الفترة ، ويصحب الوعي السياسي في الغالب حالات وعي اجتماعي وتفتح نفسي ، واخلاقي عميق في بعض الاحيان .

وقد عكست الرواية الايندونيسية في تلك الفترة كثيرا من المعاني على هذا الطراز ، ومن ذلك بعض الروايات التي تعالج مشاكل الشبية ، ممن تعشى عيونهم اضواء المدن الاوربية ، فيدفعهم ذلك حتى الى درجة الانسلاخ عن كيانهم الثقافي والحضاري ، انسلاخا غير هادف . وليس من ورائه ءاثار ايجابية تهم المجتمع او تجديه بشيء ، ومثل هذه الصورة الروائية وغيرها ، تدل على ان المشاكل الناشئة عن تفاعل المجتمعات الاسلامية مع حضارة الغرب — هذه المشاكل تكاد تشكل حالة واحدة تشترك فيها — من حيث الجوهر — مختلف الاقطار الاسلامية الا فيما يتعلق ببعض التفاصيل الجزئية .

3) ادب ما بعد الحرب العالمية ، واعلان الاستقلال ، ومن بين الاوجه البارزة في هذه الفترة « سيريل انور » و « اوسمار اسماعيل » وغيرهما ، وتتميز هذه الفترة بازدياد تأثر الادب الايندونيسي بالتيارات الفكرية الواردة من الغرب ، وقد عرفت اعمال بعض كبار الروائيين الغربيين طريقها الى القراء الايندونيسيين عن طريق الترجمة ، وفي نفس الوقت ، كان الادب ذو الصبغة الوطنية يزداد ازدهارا تغذيه ظروف النضال القومي التي خاضته ايندونيسيا في اعقاب الحرب لحماية نظام الاستقلال الذي انتزعته انتزاعا ، وقد عني الشعر بهذا الصدد ، باثارة ذكريات الابطال الايندونيسيين القدامى ، ومنهم ابطال الكفاح ضد الوجود الاجنبي في غضون القرن الماضي .

وتبين من خلال الحياة الفكرية والادبية في الارخبيل اثناء هذه الفترة ، ظواهر مألوفة في كل بيئة ادبية متقدمة او ناشئة ، ومن بين هذه الظواهر : ظاهرة الصراع الدائم بين انصار الادب التقليدي المحافظ ، ورواد الادب الحديث ، المتأثر — في العادة — بالنزعات الجديدة الواردة من الغرب ، مثل ما كان ولا يزال عليه الامر في ادبنا العربي ، حيث الصراع شديد دائما بين التيارات التجديدية الادبية ، وبين النزعات المحافظة ، سواء في النثر او في الشعر ، في القالب او في المضمون . وكما قدمناه ، فقد كان للحركة الفكرية والادبية بالعالم العربي اصداء مهمة بجاوة والارخبيل ، كما ان المؤلفات العربية الحديثة كان عدد منها ينقل الى اللغات المحلية ، بعامة الشرق الاقصى الاسلامي .

اما في الميدان اللغوي فقد عرفت اللغة الايندونيسية وخصوصا خلال عهد الاستقلال تطورا مهما في قدرتها التعبيرية ، وفي نزوعها الى التلاؤم مع مقتضيات العصر والايفاء بحاجياته المستجدة .

والوضع اللغوي في الارخبيل الايندونيسي ، يتميز بتعدد اللغات ، وتكاثر اللهجات ، كما هو شأن عدد من اقطار الشرق الاقصى ، وقد يتجاوز عدد اللغات واللهجات

---

1) لم نأت بنماذج مفصلة لذلك ، نظرا لكون ايراد تفصيلات من هذا القبيل ، من شأنه ان يضخم حجم المقال الى درجة لا يحتملها نطاق المجلة ، ولعلنا راجعون الى الموضوع — بحول الله — بصورة اكثر تفصيلا بعد هذه الالمامة السريعة .

المتكلم بها المائة ، بل يعدها البعض بنحو المائتين فادخال اللهجات البسيطة ، والتي لا يجاوز عدد المتكلمين بها بضعة ءالاف ، وكما تقدم ، فان ايندونيسيا لا تختص بهذه الحالة من التعدد اللغوي الواسع ، فالهند مثلا يبلغ فيها التعدد اللغوي نسبة عالية جدا . ويثير من المشاكل هناك ، قدرا كبيرا ، غير ان هناك ملحوظة بالنسبة للوضع اللغوي بايندونيسيا ، وهي انه بالرغم عن تعدد اللغات بها فانه لا توضع امامها مشكلة لغوية بهذا المعنى ، الموجود في بلدان اسيوية اخرى . لماذا ؟لان هناك لغة ايندونيسية مقررة من قبل ، كلغة رسمية ، وهي مفهومة ومتكلم بها في طول الارخبيل وعرضه ، وتقوم اللغات واللهجات الاخرى ، الى جانبها كأدوات محلية للتفاهم لا غير ، وليس للكثير من هذه اللغات المحلية تراث ادبي معين ، تعبر عنه ، او ترتبط به كما هو الشان في اللغات الحقيقية المهمة . والواقع ان البنية الجغرافية لايندونيسيا ،، وامتدادها على شكل ارخبيل يتالف من عدد كبير من الجزر موزعة على نطاق واسع في المحيط ـ ان هذه الصورة الجغرافية التي تظهر بها ايندونيسيا من شانها ان تعطي لحالة التعدد اللغوي القومي في الارخبيل مظهرا معقدا اكثر مما هو عليه في الواقع ، فاذا كانت ايندونيسيا ـ مع ذلك ـ لا تواجه مشكلة تعقيد لغوي قومي ، مثل ما تواجهه اقطار اخرى غير موزعة جغرافيا ، بل تشكل وحدة جغرافية متراصة ، فان هذه امكانية ايجابية مهمة ، تتوافر لايندونيسيا ، وتوفر لها قدرا من الانسجام التلقائي له قيمته .

وهذه الحالة اللغوية الملائمة نسبيا ، قد ساعدت الايندونيسيين على العمل على تطوير اللغة القومية ، وتطويعها لمقتضيات العصر ، وتلقيحها بما يزيد في امكانياتها التعبيرية الحديثة ، ويرجع الاهتمام بهذا الامر الى عهد ما قبل الاستقلال نفسه ، حيث اسست اثناء الاحتلال الياباني ـ لجنة لمراجعة قواعد النحو الايندونيسي ووضع المصطلحات الضرورية لتطوير اللغة الايندونيسية ، اما الطريقة التي سار عليها توليد المصطلحات ، فكانت جد واقعية وعملية ، ذلك ان المكلفين بالوضع لم يقتصروا على الوسائل المعروفة في التوليد اللغوي ، كالنقل والاشتقاق وغيره ، وانما ذهبوا الى الاخذ من اللغات المحلية المنتشرة بكثرة في انحاء الارخبيل ، والتي تحتوي على ثروة تعبيرية قيمة وكان اتباع هذه الطريقة مفيدا من ناحيتين ، فمن ناحية يتيح ذلك موردا زاخرا بالامكانيات في ميدان البحث عن المصطلحات المختلفة ، ومن ناحية ثانية فان نقل المصطلحات هكذا عن اللغات المحلية الى اللغة الايندونيسية الرسمية من شانه ان يوفرا قدرا كبيرا من فرص التقارب بين اللغة الرسمية ، واللغات المحلية المتناثرة هنا وهناك ، وذلك بمساعدة سكان الجزر على ادراك اللغة الرسمية بصورة اكثر سهولة واضفاء صبغة جوهرية عليها يذلك الاجانب صبغتها العامة .

والرغبة المشتركة التي يتبينها المرء في الارخبيل ـ هذه الرغبة ـ هي التمكين للغة رسمية ، ذات استعمال عمومي يشمل التراب القومي باكمله ، ولا باس ان تعيش الى جانب هذه اللغة القومية ، اللغات واللهجات الاخرى المستعملة على الصعيد الجهوي .

وقد تجدد الاهتمام بقضية المصطلحات في عهد الاستقلال بصورة اكثر جدية ، فتالفت لجنة جديدة لهذا الامر سنة 1947 ، وكان النضال القومي لما يزل حادا مع النظام الاستعماري السابق ، ومنذ سنة 1952 كانت ايندونيسيا قد صفت المظاهر الاساسية من الوجود الاستعماري بالارخبيل في تلك السنة ، صار الامر بمجموعه ، امر المصطلحات والاصلاح اللغوي ، تحت اشراف معهد اللغة والثقافة الايندونيسية .

وتؤكد بعض التقريرات انه امكن الى حد السنوات الثلاث الاخيرة ـ وضع اكثر من ثلث مليون مصطلح ، يرجع كثير منها الى الفروع العلمية والتقنية، التي هي اكثرها يتشعب اليوم في نطاق اللغات التي تعنى بمتابعة التطور العلمي فى كافة انحاء العالم .

وتثير مبادرات التطوير اللغوي في ايندونيسيا ، حالة من الاخذ والرد بين الاتجاهات المختلفة في فن توليد المصطلحات ، ويدور الاخذ والرد هذا ، على موضوع الموارد التي يمكن الاعتماد عليها في هذا الفن: اضروري الالتزام بالموارد الذاتية ، التابعة من صميم اللغة او البحث عن موارد اخرى في اللغات الاجنبية ، وكما هو الامر من هذا القبيل فى عالمنا العربي وفى البلاد الاوربية العريقة نفسها ـ فان هناك نزعات محافظة ، ونزعات اخرى اقل محافظة ، وتوثر النزعة المحافظة

الابقاء على صفاء اللغة الاصلية ، والحفاظ على سلامتها التعبيرية ، وذلك بتجنيبها مغبة فتح الباب على مصراعيه امام الدخيل . وعدم اللجوء الى تقبل هذا الدخيل الا عند اقصى الضرورات الملحة ، ويرى مثل هؤلاء ـ من ذوي النزعة المحافظة ـ ان اعطاء حرية واسعة لتسرب الدخيل الى اللغة الاصلية ، ليس من شأنه فقط . ان يغرقها في خضم من المصطلحات الأجنبية التي ربما قد تؤدي الى المس بشخصيتها ونكهتها التعبيرية ، بل فوق ذلك فان هذا الاتجاه المتحرر جدا ، من شأنه ان يقود حتى الى النيل من القواعد النحوية والصرفية كذلك .

وامام هذه النزعة المحافظة في الميدان اللغوي هناك الاتجاه الاخر ، الاقل تقيدا بالافكار المحافظة ، ويجد ذووا هذا الاتجاه في اللغات الغربية مجالا عمليا للاقتباس ، وتكييف الاصطلاحات المقتبسة هكذا ، حسب الطرق المختلفة للتكييف اللفظي .

وجدير بالالتفات ان اللغة العربية ، لا يزال لها مؤثراتها كذلك على الصعيد اللغوي الاندونيسي مثل ما كان عليه الامر ، عند ما تسربت في فترات مختلفة ، عدة مصطلحات عربية الى مجال التعبير الادبي والعلوم الدينية وغيرها بالارخبيل .

واذا انتقلنا من ميادين التعبير الادبي الى مجالات التعبير الفني ، فنجد مختلف جزر الارخبيل ذات تقاليد راسخة بهذا الشان . ان الفولكلور الغنائي الاندونيسي يعتبر تراثا غنيا ضخما ، يتميز بتنوعه وطبيعته ، وما يعكسه من صور صادقة عن حياة الجماعات الوديعة التي تعيش هنا وهناك في شتى الجزر .

ومعروف عن جزيرة « بالي » وتقع جنوب « بورنيو » و « سيليس » معروف عنها انتشار الهواية الموسيقية في ربوعها ، وتعتبر لذلك من بين الجزر الاندونيسية ذات الشهرة الواسعة في الخارج : والواقع ان النزعة الموسيقية في هذه الجزيرة ، ليست منفصلة عن الماضي ، عن التاريخ الفني لاندونيسيا ، فالمعتقد انها ـ هي وجزيرة « جاوة » ايضا ـ يعتبر كل منهما المصدر التاريخي للموسيقى الكلاسيكية الاندونيسية ، وكما هو الشان بالنسبة لعلاقة العموم بالموسيقى الاندلسية عندنا في المغرب العربي ، فان الموسيقى الكلاسيكية الاندونيسية تتغلغل ـ بالفعل ـ في الحياة العامة بالارخبيل ، حيث تبرز بشكل واسع في كل مناسبة دورية او يومية ، او بدون مناسبة احيانا .

والثقافة الفنية هي جزء هام ورئيسي من ثقافة اي مجتمع ، وقد رأينا كيف تفاعلت عدة عناصر محلية وخارجية في صياغة الاسلوب الخاص الذي تتطبع به الحضارة والثقافة الاندونيسية . واذا كان هذا التفاعل الحضري الاندونيسي الهندي العربي ، واضحة معالمه في الاثار المعمارية ، وبعض التقاليد والقيم الذكرية السائدة ، فان الموسيقى الاندونيسية وبقية الفنون الاخرى في الارخبيل ، من المحتمل كثيرا ان تكون قد تلاقت مع روافد فنية اخرى ، جاءت من هنا وهناك ، وحدث من التفاعل نتيجة ذلك ، ما نتج عنه هذا التراث الموسيقي الغني الذي يتوافر في اندونيسيا على انه مهما كان الامر ، فقد عرف عهد الاستقلال باندونيسيا مبادرات مهمة في التعريف بالفنون الايقاعية المحلية لدى الخارج ، كما عرف كذلك مبادرات مماثلة لتقريب الجزر من بعضها البعض على الصعيد الفني ، وتعريف هذه الجزيرة بالوان الايقاع الموسيقي وغيره ، التي تسود في جزيرة اخرى . ولا شك ان مثل هذه المبادرات من بين ما ساعد على لحم الوحدة القومية وتمتين اسسها الشعورية بشكل افضل .

سلا : المهدي البرجالي

* * *



تقديم وتعليق الاستاذ عبد الهادي التازي

الى الاستاذ عبد الكريم غلاب

تحياتي الصادقة وتقديراتي الوافرة

وبعد فلقد كنت أشاركك وانت « تدفن الماضي »، ولكن بصفة متقطعة ايام كنت فى بغداد ، فلما حلت بين يدي اليوم هديتك كاملة شاملة شكرت لكم ذلك التفضل منكم والتكرم ، فاني وانا اؤرخ لجامعة القرويين وجدتني فى حاجة ماسة الى استشارة سائر ما كتب وما قيل عن مدينة فاس باعتبارها الهالة التي تحتضن هذه القرويين ... وسائر ما كتب وما قيل عن المغرب باعتباره مدينا ــ سواء شعر او لم يشعر ــ لهذا البيت العتيق الذي اغدق وافاض وبذل من أجل ان يظل هذا المغرب كما أراد له الفاتحون الاولون ... وسائر ما كتب وما قيل عن الحركات الوطنية باعتبار ان « القرويين » ظلت مركز اشعاعها ومهد ثورتها منذ كان للمغرب كيان ... كنت مضطرا فعلا لذلك لان التعريف بالقرويين لن يتم بغير ذلك .

ولقد قرات لبعض الاجانب من امثال ريبرنيد، وطارو ، وايدوارد ، ولوتورنو ... كتبوا عن الحياة فى فاس ، وعن الحب فيها ، لكن كتابة معظمهم كانت مغرضة او ناقصة ، او مرتبكة ، بيد ان حديثك عن فاس كان حديث المنصف المتثبت المستوعب ... ولن يقدر مجهودك الا من عني بتاريخ هذه المرحلة من حياة المغرب ... ولن يشعر بالمتعة كاملة الا من سلك معك خطواتك من دار بن كيران الى دار التازي الى رجوع جلالة محمد الخامس من منفاه ... **لقد برهنتم على ان القلم المرهف فى استطاعته ان يقوم مقام ابرع ديكور واجمله وادقه** ، ولا ابالغ اذا قلت ان حاجة المؤرخ الى الى كتابك لاتقل عن حاجة الاديب اليه ان لم تكن تفوقها لانه تناول تاريخ حقبة نصف قرن او يزيد فى اسلوب مرح خفيف لايقتحم معه زوايا المؤرخين المظلمة الباردة، ولا اساليبهم المقفلة العابسة ! ولكن يسير بهم الهوينا من (ايام فاس الدامية 1912) الى (احداث الثلاثين) و (احداث 36 و (احداث 37) و (احدث 44) الى (أحداث 53) الى « حادثة وادي زم » وما ادراك ما « حادثة وادي زم » التي كادت تنسى بمناسبها وزعماء تهدئتها ! الى يوم الفرحة الكبرى .

ترجم كثير من اب لانفسهم وحبذا ما كانوا يصنعون فاننا من خلال ذلك نقرا تاريخا آخر للمحيط الذي يؤويهم لكن كتابك لم يكن ترجمة لك وحدك بل كان لك ولي وللآخرين لكن تواضع عبد الكريم ابى عليه الا ان يعني بالتاريخ اكثر مما يعني « بالانا ! » وقد اكبرت فيك ذاكرتك التي لم تنس كثيرا من ذلك الماضي الذي قلت اننا دفناه ! وقدرت تصويرك الدقيق لكثير من المظاهر الاجتماعية التي كانت تحياها ــ وبعضها ما يزال ــ أسرنا الى الامس القريب ... تصويرك لمنعرجات فاس وازقتها وقد اضطرت المارة للركوع امام البهائم ! او الالتصاق بالجدار اتقاء شر البغال ! كنت اتصوركم وانتم تتحدثون عن جو الخدم فى المطبخ ، والبدو فى الارياف ، والنساء فى مجالسهن كانك عشت بين ظهراني هؤلاء واولئك ردحا من الزمان ... والطريف فى قصتك انها تبتديء مجتمعة فى « المخفية » لتتسع وتتفرع وتزداد امتدادا ثم لاتلبث أن تنقلب لتتجمع وتقف عند عبد الرحمن ...

انني ــ ونحن نتوق الى تعريف الاجانب بنا ــ لا اكتمك رغبة ارجو تحقيقها : ذلك ان تتوفقوا لترجمة القصة الى لغة اجنبية ، فاني على ثقة تامة من انها

ستجد لها الآف القراء وخاصة منهم الذين يردون على هذه البلاد ويطرحون سؤالهم عن الماضي ... اني – وانا اكرر الطلب بل ارفعه الى الهيئات الثقافية في بلادنا – اومن – بما فى هذا الايمان الحق من مرارة – بان الكتاب العربي لاسيما والقصة منه يظل مقبورا مغمورا ان لم نعمل على نقله الى لغة اخرى فى عالم يقرأ فيه الروسي للامريكي والامريكي للروسي وهلم ... ترجم قصتك فانها نعمت السفارة تبعث بها الى الذين ناوا عنك وعن بلادك بل انها لنعم الهدية تقدمها لهؤلاء الذين يقراون من اليسار الى اليمين منا ، من مواطنينا نحن فى المغرب ..

لي بعض الملاحظات على ما قرات ، ارى من حقك علي ان اهمس بها اليك

فاولا كنت اود ان تخصصوا فصلا او فصلين للحديث عن اقتحام البنت المغربية للمدرسة وما احدث من بعض المضاعفات فاني لا اقتنع بالحديث العابر الذي سقتموه صفحة 137

ثانيا – وانت تعلم انني الفت فى اعراس فاس ! – ان الفتاة من حقها ان تحضر فى الاعراس ولكن المناسبتين اللتين لاتحضرها البنت هما : عيادة المريض وتهنئة النفساء وعلى هذا اجرى المثل الفاسي « عاتق باب الجيسة تطل على المريض وتهني النفيسة » .

ثالثا هناك حقيقة تاريخية لايمكن ان نغفل عنها وهي ان الحركة الوطنية خرجت من عقر بيوتنا نحن من المسيد ، الى المسجد ، قبل ان تمتلىء رؤوس الشبيبة بالافكار التي تلقاها عبد الرحمن فى المدرسة الفرنسية (الفصل 25)

رابعا اختلط على القلم احداث 1936 التي قام فيها بالتجارين سفيرنا الحالي بايران ليقول فينا نحن المتظاهرين : « ازقت الآزفة » ، واحداث 1937 التي وقف فيها نوكيس ليقول : « انه سيسحقنا تحت قدمه » ص 217

خامسا كنتم جد موفقين فى الاسماء التي استعرتم للناس بما فيهم اسماء الرجال والنساء ، بما فيهم الخدم ، فى المدينة والقرية بيد ان اسماء العلماء كانت بعيدة عن طبلة آذاننا ... ولعلها اقرب الى حي بولاق منها الى حومة المخفية (ص 140)

سادسا كنت اعتقد انه ينبغي الالتزام – كما فعلتم مرارا – بذكر بعض المفردات المحلية فانها تعيد الى الذاكرة الصورة الحقيقية للظروف التي مرت علاوة على ما فى ذلك من عمل على الاحتفاظ بذلك المفرد كاثر ... مثل المرمة عوض (المطرزة) ص 280 العروبية عوض (الضيعات) 97 ، المحبس عوض (الحلاب) 383 ، العولة عوض التموين ص 46 الاذرع عوض (الامتار) ص 165 الخ الخ

سابعا بالنسبة للذين يقراون الكتاب فى خارج فاس او المغرب ارى انه من المناسب جدا ان تفسروا لهم فى الهامش عند اول مناسبة بعض المصطلحات المحلية مثل الغرامة (67) والمسيد (9) والاسفنج (13) والمنصورية والملاح ص 10 ، واللبدة 100) والتسليم (63) والفلاقة (94) والمراح 111 والزوالغ ص 117 وقب الجلابة 197 والجوزه 349 الخ الخ

ثامنا مؤاخذتي للذين عهدتم اليهم بالتصحيح فلقد ندت عنهم بعض الاشياء مما يعثر القراء المشارقة بصفة خاصة

ومع كل ذلك فاننا نحن جيل الوسط – لابد ان نجزل الشكر والتقدير لما اتحفت به خزانة التاريخ وخزانة الادب وخزانة الآداب الشعبية والخزانة الاجتماعية ...

واننا وقد اوشكنا ان ناخذ بناصية المصادر المتناثرة هنا وهناك مما يتناول تاريخنا القديم جدير ان نتوجه – او على الاقل بعض منا – الى وجهة اخرى من « الترفيه والترف التاريخي » اي ان نتناول تاريخنا فى قصص من هذا النوع تستهدف الحقيقة ولكنها تتوسل اليها بالطرق التي امست اليوم لدى طائفة مهمة من الناس معبدة محببة .

واخيرا عسى ان يتحرك قوم آخرون فيدفنوا الماضي فى سلا والرباط وتطوان ومراكش وبني يازغة ووادي زم ووجدة ومكناس وغير هذه ، فنحن على يقين من ان لكل واحد ما يقول .. وخير لنا ان نكتب باناملنا هذا التاريخ المشرق ، وخير جدا ان نفعل ونحن متحلون بالنزاهة فيما نقول ، وخير جدا ان نسمو فيما نكتب الى سمو التاريخ نفسه الذي لايرضى ان يقع ضحية كثير من التزييف والتضليل .

الرباط – عبد الهادي التازي

نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تدشين مسجد جديد بحي تابريكت

في يوم الجمعة 10 ـ 3 ـ 67 توجه معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الى مدينة سلا لتدشين مسجد جامع بحي تابريكت تنفيذا للتوجيهات السامية وفي نطاق المخطط المحكم الذي وضعه صاحب الجلالة الملك المعظم بغية تحقيق نهضة روحية ومادية لشعبه الوفـــي ..

وقد قامت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بتشييد هذا الجامع العظيم بحي تابريكت الـذي كان الحاجة ماسة تدعو الى بنـاء مسجد يؤمه المسلمـون المومنون لاداء صلواتهم ، وتشرف هذا المسجد بحمل الاسم الكريم لصاحب الجلالة نصره الله .

وفي وسط غفير من المومنين ، وبمحضـر سعادة عامل مدينتي الرباط وسلا ورجال السلطة المحليـة ، وفي جو عبق بالذكر وتلاوة القرآن ادى معالي الوزيـر صلاة الجمعة التي كانت تدشينا لهذا المسجد الحسني الرائـــع .

تدشين مسجد آخر بالخميسات

كما ترأس معاليه زوال يوم الجمعة 10 ـ 3 ـ 67 حفلة تدشين مسجد جديد بالخميسات اطلق عليه اسم **الحسن الثاني** .

وادى السيد الوزير صلاة الجمعة فيه رفقـــة السيد عبد السلام بنعيسى ، كاتب الدولة في شؤون المقاومة وجيش التحرير وقدماء المحاربين وعامل اقليم القنيطرة السيد عبد الله الشرفي ورجال السلطـــة المحلية واعضاء المجلس البلدي لمدينة الخميسات واعضاء الجماعات القروية وجمهور من مواطني المدينة .

وكانت مناسبة اخرى عبر فيهـا المواطنـون عن فرحتهم الكبرى لهذه الالتفاتة المولوية ..

.. ومن المعلوم ان صاحب الجلالة والمهابة امير المومنين الحسن الثاني هو الذي امر ببناء هذا المسجد يوم ادى صلاة الجمعة بالخميسات في خريـف سنـة 1963 ، ومن اجل بناء هذا المسجد تبرعـت السيـدة الحاجة عائشة بقطعة ارضية مساحتهـا 4 آلاف متـر وخصصت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية اعتمادات تقدر بـ 35 مليون فرنك لبناء المسجد ، ويعتبـر هـذا المسجد الثاني من نوعه بمدينة الخميسات، وباستطاعته ان يضم ما يزيد عن الفـي مصـل ، وبه جنـاح خاص للنســـاء .

ونشير بهذه المناسبة الى ان مدينة الخميسـات تتوفر على معهد للدراسات الاسلامية وبـه 80 طالبا و 40 منهم يتابعـون دراستهـم باعانـة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، ويقوم المجلس البلدي بتسديد نفقات سكناهم .

حديث اذاعي مع وزير الاوقاف والشؤون الاسلاميـة

اجرى مندوب الاذاعة والتلفزة المغربية حديثا مع معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ السيد احمد بركاش عن موسم الحج ، واللوازم التي يجب ان يقوم بها الحجـاج والامكانيـات التي وفرتها الدولـة لهم في نطاق مساعدتهم على تادية هذه الفريضة ..

وكان الاستجواب على الشكل الآتي :

السؤال الاول : معالي الوزير بصفتكم مكلفين بالاوقاف والشؤون الاسلامية نرجو من معاليكم ان تحدثوا المستمعين والمستمعات عن موسم الحج لهذه السنة ؟

الجواب : ان موسم الحج في هذه السنة هو كغيره من المواسم السابقة . لقد بذلنا كل الجهود في تنفيذ التعليمات السامية التي زودنا بها سيدنا ومولانا امير المومنين اعلى الله به شؤون الدين ، في صالح الحجاج الميامين من رعيته الوفية ، فبقيت اثمان نقل الحجاج كما كانت في السنة الماضية سواء في السفر بالطائرات او بالبواخر . وقد اتخذت كل الوسائل لراحة الحجاج في ذهابهم وايابهم ، ولكامل العناية بهم في مقامهم بالبقاع المقدسة ، فهناك البعثة الدينية التي سترافق حجاج البحر وتدرس معهم المناسك وتصلي بهم الاوقات الخمس ، وهناك البعثة الصحية التي اشتهرت بالقيام بواجبها في العناية الكاملة بحجاجنا ، وهناك كذلك البعثة الادارية التي ستسهر على شؤون الحجاج اثناء سفرهم للديار المقدسة .

وغير خفي ان سيدنا ومولانا نصره الله يعين كل سنة وفدا رسميا ، تسند رئاسته الى من يراه اهلا للقيام بهذه المهمة الشريفة .

السؤال الثاني : هل يمكنكم معالي الوزير ان تحدثوا عن اللوازم التي يجب ان يقوم بها الحجاج المغاربة من الآن والتسهيلات الممنوحة ؟ .

الجواب : اظن ان ما يقوم به الحجاج من الان هو امر معروف عند الجميع ، فكل حاج يجب ان يتوفر على جواز سفر ودفتر تلقيح دولي يكون مستوفيا للشروط التي نشرتها وزارة الصحة في الاذاعة والصحف وان يتقدم كل حاج الى عمالته ليحجز مقعده في الطائرة او الباخرة ، وان حكومة مولانا صاحب الجلالة قد سهلت جميع الاسباب لحجاجنا من جواز وتلقيح ، والحصول على العملة .

واعتقد انه يجب الاسراع بتسجيل طلبات الحج حتى تعرف شركة الطيران الملكي عدد الحجاج الذين يرغبون في الحج بطريق الجو لتوفر لهم المقاعد الكافية .

السؤال الثالث : ما هي الامكانيات التي وفرت الدولة للحجاج في نطاق مساعدتهم على تادية فريضة الحج ؟ .

الجواب : لقد اجيب عن هذا السؤال فيما قبله بأن الحكومة قد سهلت جميع الاسباب .

السؤال الرابع : هل حقيقة معالي الوزير ما يشاع من بعض الناس بان الذين ادوا فريضة الحج في السنوات الفارطة لا يسمح لهم باداء فريضة الحج هذه السنة ؟ .

الجواب : لقد سمع الجميع بلاغ وزارة الداخلية في هذا الشأن ، ان سيدنا المنصور بالله قد اعطى تعليماته السامية بان تلبى رغائب المواطنين في حج بيت الله الحرام ، فالباب مفتوح امام المواطنين للبقاع المقدسة .

السؤال الخامس : ما هي الكلمة التي يمكنكم معالي الوزير توجيهها الى الحجاج المغاربة الذين هم حقيقة سيمثلون بلادنا في الموسم الاكبر ؟ .

الجواب : اوجه اليهم اولا تهنئتي بحج بيت الله الحرام وزيارة خير الانام عليه افضل الصلاة والسلام واوصيهم بان يحجوا كما اراد الله تعالى ان يكون الحج ، (لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) ، وكما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه » .

وفي ضمن هذا ان يضربوا المثل الاعلى في الاخلاق المحمدية الكريمة ، وان يتوجهوا الى الباري عز وجل ان يجمع كلمة المسلمين ويعلي راية الدين ، وينصر سيدنا ومولانا امير المومنين ، ويحفظه في ولي عهده وسائر افراد اسرته ، وان يعز شعبنا انه مجيب الدعاء .

في قسم الوعظ والارشاد

قام الاستاذ الشيخ احمد عبد الرحيم عبد البر الواعظ بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بدروس وعظية في مختلف انحاء المملكة .

فقد توجه الى القصر الكبير من 14 – 1 الى 17 – 1 – 1967 ، والقى دروسا في المساجد وجمعية **اصدقاء ابن حزم** حيث كان الاقبال عظيما .

وفي يوم 18 يناير الى 22 منه توجه سيادته الى مدينة طنجة حيث القى دروسا في المساجد ومحاضرات عدة في السينما لقيت اقبالا منقطع النظير من حضور رجال القضاء والادارة وصفوة العلماء الاجلاء .

ثم الى مدينة مراكش التي القى بها دروسا في المساجد نالت استحسان سكان الجنوب .

ومنها الى قصر السوق والريصاني وارفود ، وتافيلالت وميدلت والريش ، وكانت الدروس في المساجد والمدارس والسينما ، والمنازل ليلا .

وكانت الموضوعات التي يختارها الاستاذ حسب الوسط الموجود ، واكثرها يدور حول المجمع بين الدين والدنيا في مفهوم عملي ، او ايجاد الثقة في القرآن والسنة بحيث التوافق مع العصر الحاضر ، او لمس مضار الخمر لمسا رقيقا ، او التبشير قبل التنفير او معنى التوبة واستيناف العمل الصالح ، او معنى حب الصالحين بالاقتداء بهم ، او تكريم العقل والتوازن ، او بيان منافع الحديد والمعادن والكنوز في الارض ، او فضل العمل والكفاح في الزراعة والصناعة ، او معنى المسؤولية والجزاء في الاسلام ، او بيان ان التكليف تشريف .

ولقد قال لنا الاستاذ احمد عبد البر انه وجد قلوبا واعية ، وآذانا صاغية ، وعقولا راقية ، ثم زاد قائلا :

« حفظ الله هذا الوطن المحبوب ، وجعله خير قوة للدول الاسلامية ، وبارك الله للشعب الحبيب في مولاي جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله » .

ترتيب المدارك

اصدر قسم التاليف والترجمة والنشر بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية الجزء الثاني من كتاب « ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك » من تاليف القاضي عياض المتوفي سنة 544 .

ولقد سبق للوزارة ان اصدرت في السنة الماضية الجزء الاول من هذا الكتاب القيم الذي يعد من اهم طبقات اعلام المالكية عموما ، حيث عارضه باصوله ، وعلق حواشيه ، وقدم له الاستاذ السيد محمد بن تاويت الطنجي .

والجزء الثاني من هذا الكتاب صدر في شهر مارس الاخير ، وقد اعتنى بتصحيحه وعارضه باصوله الاستاذ السيد عبد القادر الصحراوي الذي صدره بمقدمة ضافية تحدث فيها عن الاصول التي اعتمد عليها ، والمنهج الذي اتبعه في تحقيق هذا الجزء الثاني من كتاب ترتيب المدارك . . .

ومما جاء في مقدمة الكتاب :

« وبعد ، فبامر من حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم امير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله ، تقدم وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية الى المطبعة الجزء الثاني من كتاب « ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك » لمفخرة المغرب واحد رجال تاريخه العلماء الاعلام ، القاضي عياض السبتي ، دفين مراكش ، والمتوفى سنة 544 هـ ، رحمه الله رحمة واسعة ، وجازاه احسن الجزاء عن هذا العمل الضخم الجليل ، الذي نرجو ــ وقد توجهت همة جلالة الملك الحسن الثاني الى اخراجه كاملا ان شاء الله ــ ان يجعل الله تبارك وتعالى ذلك سبيلا الى تعميم الانتفاع به ، وتيسير الاطلاع عليه والاستفادة منه ، انه سميع مجيب الدعوات .

* * *

وكانت وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية قد طبعت في السنة الماضية الجزء الاول من هذا الكتاب بعد ان عارضه باصوله وعلق حواشيه وقدم له الاستاذ السيد محمد بن تاويت الطنجي .

ثم عهد الي باخراج الجزء الثاني واعداده للطبع ، على ان تليه بقية الاجزاء الاخرى ان شاء الله .

وها قد تم اعداد الجزء الثاني بعون الله تبارك وتعالى وحسن توفيقه .

فما هي الاصول التي اعتمدنا عليها في اخراج هذا الجزء ؟

وما هو المنهج الذي اتبعناه في تحقيقه ومعارضته باصوله وتعليق حواشيه ؟

* * *

اما الاصول التي اعتمدنا عليها فاربعة :

أولها : النسخة الخطية المحفوظة بالخزانة الملكية العامرة تحت رقم 335 ، وهي نسخة جيدة كما سبق ان وصفها الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي في المقدمة التي صدر بها الجزء الاول من هذا الكتاب ، ونشير الى هذه النسخة في الهوامش بحرف : ا .

ثانيها : النسخة المصورة بالخزانة العامة ، بالرباط تحت رقم 2633 د ونشير اليها في الهوامش بحرف :ك

ثالثها : النسخة المصورة المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط ، تحت رقم 2635 د ونشير اليها في الهوامش بحرف : ط .

رابعا : النسخة المصورة المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 3402 د ونشير اليها في الهوامش بحرف : م .

وتجدر الاشارة هنا الى ان هذه النسخة الاخيرة ، لم يتات للخزانة العامة تصويرها عن نسخة باحدى خزائن مدريد الا فى الآونة الاخيرة ، وهي تقع فى سبعة اجزاء ، مجموعة فى ستة مجلدات متوسطة الحجم ، اذ ان الجزاين الاول والثاني منها يضمهما مجلد واحد ، مع النص فى آخر كل جزء على نهايته ، وعلى الجزء الذي يليه الى ان تتم الاجزاء سبعة كاملة .

* * *

واخيرا فان قسم التاليف والترجمة والنشر بوزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية ، يرجو ــ وهو يقدم هذا الجزء من كتاب « ترتيب المدارك » للمطبعة ، على ان تتبعه بقية الاجزاء الاخرى قريبا ان شاء الله ــ ان يكون بذلك عند حسن ظن امير المؤمنين جلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله ، الذي ما فتىء جلالته يبدي مزيدا من الاهتمام بهذا القسم وباعماله ، خدمة للاسلام والثقافة الاسلامية العربية ، وعملا على احياء التراث المغربي ، وابراز مساهمة العبقرية المغربية فى خدمة الثقافة الانسانية عموما ، والثقافة العربية الاسلامية على وجه الخصوص .

كما نرجو ان ينال هذا العمل رضى جميع المواطنين ، ورضى جميع القراء فى العالم العربي والاسلامي ، وفى كل مكان ، وان يحقق الله به النفع ، وان يجعله خالصا لوجهه الكريم .

* * *

ولا يفوت قسم التاليف والترجمة والنشر ، ان يشكر لحضرة معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش ، عنايته الخاصة التي يوليها لهذا القسم ، وحرصه الشديد على ان تسير اعماله فى تقدم مستمر ، مستجيبا بذلك للرغبة المولوية الشريفة ، وممتثلا لتوجيهات صاحب الجلالة الحسن الثاني ، وتعليماته السديدة الموفقة .

* * *

واراني بصورة خاصة مدينا بالشكر للسادة القائمين على الخزانة الملكية العامرة ، وللسيد مدير الخزانة العامة بالرباط ، والسيد رئيس قسم المخطوطات بها ، لما لقيته منهم جميعا ومن مساعديهم من تشجيع وعون ، كان لهما اعظم الاثر فى نجاح هذا العمل وانجازه فى مدة وجيزة .

والحمد لله اولا واخيرا ، ومنه سبحانه وتعالى نستمد العون والتوفيق ، له الحمد وله الشكر ، وهو على كل شيء قدير .

الرباط ــ 14 جمادى الاولى 1386 الموافق 31 غشت 1966 .

* * *



* زار المغرب اخيرا الاستاذ الكبير الباحث عبد الله عنان . والمغرب يعرف الاستاذ عبد الله عنان من خلال زيارته المتكررة باحثا ومنقبا ومحاضرا ويعرفه من خلال كتبه وابحاثه عن المغرب والاندلس فهو صاحب «المعلمة الكبرى عن تاريخ العرب والاسلام فى الاندلس» وصاحب كتاب عن « ابن خلدون » وكتاب عن « المرابطين والموحدين » فى جزاين كبيرين ، ومترجم كتاب (يوسف اشباخت عن المرابطين) ، وصاحب عدد كبير من المقالات والابحاث عن بلادنا .

* اقام الاستاذ ابو بكر القادري حفلة شاي بمنزله بمرور ثلاث سنوات على صدور مجلة « الايمان » التي تصدرها جمعية شباب النهضة الاسلامية .

* اقام الاستاذ محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس معرضا لرسومه بدار الفكر فى الرباط ، وكان الاقبال عليه شديدا .

* شارك فى مؤتمر الشباب بباريس وفد عن اتحاد كتاب المغرب

* يقوم الاستاذ محمد عبد المالك الكتاني بكلية الآداب بتحقيق مخطوطة نادرة من تراثنا الادبي الصوفي للكاتب الشاعر الوزير الاندلسي الشهير لسان الدين ابن الخطيب المتوفي سنة 776 هـ وهي كتابه (روضة التعريف بالحب الشريف) عن اصل مخطوطة موجودة بمركز الوثائق بالرباط ومقارنتها بالمخطوطات الاخرى الموجودة لهذا الكتاب فى المشرق . وهذا كتاب طالما تشوف العلماء والباحثون الى الاطلاع عليه .

* القى الدكتور المهدي بن عبود محاضرة قيمة فى موضوع « الانسان والكون » بدار الفكر سجلت نجاحا كبيرا .

* نظمت جمعية شباب النهضة الاسلامية معرضا للكتاب الاسلامي بقاعة الاساتذة بكلية الآداب بالرباط من 19 حتى 24 فبراير الماضي . ودشن المعرض السيد محمد الفاسي عميد جامعة محمد الخامس .

* فى نطاق اسبوع معرض الكتاب الاسلامي للتعريف بحقيقة الاسلام والفكر الاسلامي ، افتتح الاستاذ البحاثة ابراهيم الكتاني سلسلة المحاضرات الثقافية التي نظمتها جمعية شباب النهضة الاسلامية، وكانت محاضرة الاستاذ الكتاني بعنوان « الكتاب الاسلامي » ثم القيت عدة محاضرات من بينها محاضرة الاستاذ عمر بهاء الدين الاميري ، التي كانت بعنوان « الاسلام والتيارات المعاصرة » ومحاضرة الدكتور القباج فى موضوع « الطب عند العرب »

* شارك المغرب بوفد فى المؤتمر التربوي لدول المغرب العربي الذي نظم فى تونس تحت شعار اللغة العربية فى المدارس الابتدائية

* توجه السيد الامين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي الاستاذ عبدالعزيز بنعبد الله الى الشرق لزيارة بعض العواصم العربية بدعوة من حكومات الكويت ، والقاهرة ، وقطر ، وسيتصل بالمسؤولين فى جامعة الدول العربية وبوزارات التربية والجامعات والهيآت العلمية والاندية الصحافية فى العواصم العربية التي يمر بها ، وذلك للتعريف بالتصميم العشاري لتنسيق التعريب فى العالم العربي الذي وافقت عليه الجامعة العربية .

* « فليسقط الصمت » عنوان المجموعة القصصية التي صدرت للقاصة المغربية خناثة بنونة

* وصلت الى المغرب مجموعة كبيرة من رجال الصحافة فى فرنسا بـ : 80 صحفيا ، وذلك لقضاء مدة قصيرة فى عاصمة الجنوب ، للتعريف على المغرب سواء من الناحية الطبيعية او السياحية

* نظمت جمعية اصدقاء المسرح والسينما بالمغرب ، بالدار البيضاء مباراة فى التاليف المسرحي ،

فتوصلت بـ 67 انتاجا من مختلف مدن المغرب وقد لوحظ ان جل المشاركين اسماء مغمورة في ميدان التاليف المسرحي . فعرضت الانتاجات على عدة لجن لتدرسها .

* وصل الى المغرب سبعة من الاطباء التشيكيين في نطاق التعاون بين البلدين ، ويشمل هذا الوفد جماعة من الاخصائيين في مختلف الامراض

* صدر العدد الجديد من مجلة « آفاق » ، مزينا بمجموعة من الصور الفنية ، وهو عدد ممتاز خاص بالقصة والمسرحية

* ابرمت في واشنطن اتفاقية بين المغرب والولايات المتحدة بمناسبة زيارة جلالة الملك لها ؛ وتنص بعض بنود الاتفاقية تاسيس جامعة امريكية بطنجة على ان يعود اتجاه هذه الجامعة الى حكومة المغرب ، كما تقضي بتوسيع وتمتين الروابط الثقافية ، وتبادل الدراسات ، والبرامج ، والدارسين ، والباحثين ، والطلبة

* تخليدا للزيارة الملكية الى الولايات المتحدة سيقام نصب تذكاري للسلطان مولاي محمد بن عبد الله في احدى شوارع واشنطن الكبيرة

* صدرت الحلقة الثالثة من كتاب « العلم » بعنوان (معركة المصير)

* تنظم الجمعية المغربية للمبادلات الدولية هذه السنة التجمع الدولي الرابع لشهر الصداقة تحت شعار « السكان والتكوين والعمل »

* سيصدر الكاتب فرانوا ريجيس باستيد قصة حول مراكش بعنوان : « بلاد النخيل » تصور حياة مراكش الساحرة .

* اقام اتحاد الجمعيات الثقافية بالبيضاء ندوة عن « اوقات الفراغ » شارك فيها السادة : محمد التازي ، ومحمد السباعي ، والركيبي احمد العبدي ، وغازي بناني ، والحاج احمد الخليفي .

* عقد السيد محمد الفاسي عميد جامعة محمد الخامس ندوة صحفية في جنيف تحدث فيها عن الحركة الادبية في المغرب ، وضرب امثلة من الكتب التي صدرت حديثا في القصة والروايات والدراسات

* في سلسلة « الجهاد الاكبر » صدر كتاب جديد بالمغرب بعنوان (معالم الطريق) للشهيد الاستاذ سيد قطب .

* اشتوان بوكا ، مستشرق من المجر ، يقضي في المغرب سنتين ليعد كتابا عن « الادب المغربي » ويظهر ان الادب العربي يثير اهتماما خاصا هذه الايام ، فسوف تصدر المجر تسع مجلدات ادبية خصصت جزءا كبيرا منها للادب العربي يكتبه المستشرق روبرت خيمون

* صدر للاستاذ السيد عبد الكريم غلاب كتاب جديد بعنوان « دفاع عن الديمقراطية »

* (حب) عنوان المجموعة الشعرية التي صدرت للشاعر المغربي ابراهيم السولامي عن المطبعة المهدية بتطوان .

* تلقى الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني من جامعة ميشغان بالولايات المتحدة دعوة للمشاركة في اعمال مؤتمر المستشرقين العالمي الذي سينعقد في الصيف المقبل في الجامعة المذكورة . وسيتناول المؤتمرون بالدرس « دور المكتبات العامة في الدراسات الشرقية ، والوسائل التي لديها للقيام بمهمتها » .

وسيتولى الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني التعريف بالثروة الضخمة من المخطوطات العربية وخصوصا المغربية ــ التي تزخر بها بلادنا ، والمجهود الذي بذله المغرب ــ منذ الاستقلال ــ للبحث عن هذه الثروة والمحافظة عليها والتعريف بها .

* تصدر الجالية الاسلامية في فنلندا مجلة اسلامية باسم « القسطاس » . . وقد تضمن العدد الاخير منها مقالا اسلاميا بعنوان (حاضر الاسلام) كتبه الاستاذ محمد عبد الله ، احد الزعماء المسلمين في هلسنكي عالج فيه ما وصلت اليه حالة المسلمين في العالم الاسلامي وفي فنلندا بالذات . . كما وضع فيه بعض التعليمات والارشادات التي يحثنا ديننا الحنيف على اتباعها

* منحت جامعة الخرطوم فخامة الرئيس اسماعيل الازهري ــ الدكتوراة الفخرية في القانون ــ في حفل توزيع الدرجات العلمية الكبرى التي شملت مختلف الحقول

ويذكر ان فخامة السيد الازهري قد تحدث عن في الرابع عشر من هذا الشهر وفي حفل افتتاح المركز الاسلامي الافريقي في الخرطوم عن الاسلام فقال : انني انتظر ان يجيء اليوم الذي تسود فيه كلمة الاسلام

ويكون دعاة الاسلام هم السادة المكرمون .. وارجو ان يتمكن المسلمون من شق طريقه فى السودان وفي افريقيا والعالم .

* فى برقية لرويتر ان اول مسجد يبنى في مدينة نيويورك منذ ان اسست سيتم انشاؤه فى مدى سنتين او ثلاث من الآن .. وقد كشف الدكتور محمد عبد الرؤوف مدير المركز الاسلامي فى نيويورك النقاب عن وجود اتجاه لبناء هذا المسجد الجديد الذي سيرتفع فى قلب حي منهاتن بنيويورك والذي تقدر تكاليفه بستة ملايين جنيه استرليني

وتقول رويتر ان المسجد سيتسع لما بين الفين وثلاثة آلاف من المصلين وان باقي التفاصيل الخاصة به ستنشر قريبا عن طريق بيان يصدره مجلس امناء المركز الاسلامي الذي يضم فى عضويته رؤساء وفود عشرين دولة اسلامية لدى الامم المتحدة وتتبنى هذه الدول مشروع المسجد الجديد وهي مستعدة لفرشه وتزويده بما يحتاجه من الفسيفساء والاضواء والسجاد

* وضع الدكتور عمر فروخ كتابا اسماه (لغة القرآن) بالانجليزية والفرنسية .. وهو من كبار الادباء والبحاثة فى لبنان . وقد اسدى الدكتور فروخ خدمة كبيرة بتاليف هذين الكتابين للاجانب الذين يرغبون فى فهم معاني القرآن

وقد صنف الكتاب على اساس تقديم الالفاظ اولا ، ثم الجمل ، ثم الدرس كما تضمن الكتاب آيات مختارة من القرآن الكريم

* قرر (معهد الدراسات الاسلامية) فى دلهي جائزة قدرها خمسة عشر الف ربية هندية لوضع كتب عن فلسفة الاقتصاد فى الاسلام على ان تؤلف الكتب باللغتين العربية والانجليزية والا يقل الكتاب عن خمسة وسبعين الف كلمة .. وان يقدم الى اللجنة قبل يوم 21 مارس عام 1968 م

* الدعوة الاسلامية وتطوراتها فى شبه القارة الهندية . هو موضوع الرسالة التي يعدها الاستاذ محي الدين الالوسي وتعتبر هذه الرسالة اول رسالة من نوعها فى هذا المجال وتضم رسالة الدكتوراه هذه تاريخ بدء العلاقات بين الهندو العالم العربي ووصول الاسلام الى الهند والعوامل التي ادت الى انتشار الدعوة الاسلامية والخدمات التي اسداها العلماء الهنود في مجال الثقافة الاسلامية والعربية واخيرا جولة حول حاضر الاسلام والمسلمين فى الهند ويذكر ان الاستاذ ابو الحسن الندوي له رسالة مختصرة فى هذا الموضوع تتعلق بالاسلام فى الهند ، كما كتب الاستاذ عبد الله المنعم النمر رئيس تحرير مجلة الدعوة الاسلامية الكويتية كتابا عن تاريخ المسلمين فى الهند ، ونشر مقالات فى مجلة الحج التي يراسها الاستاذ محمد سعيد العامودي بين عام 1382 و 1384 هـ .

* هناك خمسة آلاف مسلم يعيشون فى مدينة (ميشجان) بامريكا لم تستطع المدنية الغربية ان تؤثر على اسلاميتهم واخلاصهم لهذا الدين الحنيف .. وقد ذكرت سيدة مسلمة من اصل عربي ان المسلمين هناك تخلصوا من العادات البالية ولكنهم لا يزالون متمسكين بالدين الاسلامي .

وهناك مركز اسلامي جديد فى هذه المدينة جرى افتتاحه فى شهر فبراير عام 1964 م كما انشيء مسجد كبير بلغت نفقات انشائه 25000 دولار ساهمت في تاسيسه كل من الاردن وبعض الدول العربية ، وهذا المركز الاسلامي هو ثاني مركز فى امريكا لان الاول اقيم فى واشنطن .

وقد ذكر امام المركز ، الاستاذ محمد سري ، ان المركز يقوم بتقديم كل خدمة للاطفال المسلمين الموجودين هناك ... كما ان هناك مشروعا لاقامة منارة يبلغ ارتفاعها 25 قدما .

ويتولى الاستاذ (كاروب) القيام بنشر جريدة (الرسالة العربية الامريكية) كما يقوم بتحرير مجلة (النجم الاسلامي) التي تصدر عن (اتحاد الجمعيات الاسلامية) فى امريكا وكندا ..

* اعلن فى لندن عن اتمام طباعة اكبر فهرس في العالم وهو يتضمن اسماء الكتب المطبوعة المحفوظة لدى المتحف البريطاني خلال مدة خمسمائة سنة من فجر عهد الطباعة فى بريطانيا حتى عام 1955 .

ويتالف هذا الفهرس من 263 مجلدا وكل مجلد يتالف من نحو 500 صفحة كبيرة وهو يحوي اسماء حوالي اربعة ملايين كتاب ومؤلف . وقد سلمت نسخ من هذا الفهرس الى حوالي اربعين دولة منها لبنان والسودان . ووصف السيد فرانك فرانسس مدير

المتحف البريطاني هذا الفهرس بانه على جانب من الاهمية للدول النامية الراغبة في الحصول على مواد ادبية علمية لطلابها . وقال انه اقرب شيء لفهرس عالمي للكتب .

وقد استغرق اعداد هذا الفهرس ست سنوات سنوات وهي مدة قصيرة لاعداد كتاب من هذا القبيل. واستخدمت طريقة جديدة من الطباعة الفوتوغرافية للتعجيل في عملية اعداده .

ومن الجدير بالذكر ان مجموعة كتب المتحف البريطاني تعد احدى اكبر ثلاث مجموعات في العالم. وكان البرلمان قد قرر ضرورة ارسال نسخة من جميع الكتب البريطانية التي تنشر في البلاد الى المتحف لحفظها . ودابت ادارة المتحف على اقتناء احسن الكتب الصادرة باللغات الاجنبية ايضا . فاعداد فهرس بجميع كتب المتحف يعد سجلا لآداب العالم الغربي .

وقد رتبت جميع اسماء المؤلفين حسب احرف الهجاء وذكرت الى جانبها اسماء المؤلفات والكتب التي وضعوها مع تاريخ تاليف كل كتاب .

ويتضمن الفهرس سجلا للكتب التي لا يعرف مؤلفوها ، وللمطبوعات الرسمية والمجلات والمؤسسات والاماكن والموضوعات التي الفت فيها كتب . اما ثمن هذا الفهرس الذي يتالف من 263 جزءا فهو 1700 جنيه . وقد نفذت جميع نسخه في الحال .

* انعقد من 6 الى 10 فبراير الماضي مؤتمر الكتاب الافارقة وكتاب الدول الاسكندنافية وعمل هذا المؤتمر على اقامة علاقات وروابط ثقافية متينة ودائمة بين افريقيا والدول الاسكندنافية وقدمت خلاله عروض حول ادب وحضارة الدول الافريقية بالاضافة الى عدة قضايا ادبية اخرى عكف المؤتمر على دراستها.

* كتاب جديد لعبد الفتاح الديدي تصدره مكتبة الانجلو المصرية بعنوان (القضايا المعاصرة في الفلسفة) وهو يتناول قضايا التحولات التقدمية وفلسفة : سارتر، وبونتي ، وسيمون دي بوفوار ، وما احرزه كل منهم في مجالات في الوجودية المعاصرة .

* ينتظر ان يصدر كتاب عن (سارتر فيلسوفا وانسانا) باشراف مجاهد عبد المنعم مجاهد . والكتاب يضم دراسات عن حياة سارتر وفلسفة ومناقشة اسلوبه في الرواية والمسرحية ، واثر الوجودية في الفكر العربي .

* عهد الى الدكتور عبد العزيز الاهواني بتحقيق ازجال (ابن قزمان) ، وهو زجال عاش في الاندلس في القرن السادس الهجري ، لاعادة طبعها . كما عهد الى الشاعر احمد رامي ، بتحقيق الازجال التي حفظت في المخطوطات العربية ، وخاصة احمد تيمور بدار الكتب بالقاهرة ، واسند الى سعد الخادم ، جمع الصور التي تشمل عليها المخطوطات العربية القديمة.

* الشاعر صلاح عبد الصبور نال جائزة الدولة عن مسرحيته الشعرية(الحلاج)

* جرى احتفال بجامعة القاهرة سلمت خلاله الدكتوراه الفخرية للرئيس السينغالي ليوبولد رئيس جمهورية السينغال .

* منحت وزارة الثقافة والارشاد القومي في القاهرة حق التفرغ للناقد غالي شكري لاعداد دراسة عن تطور النقد الادبي في مصر خلال 35 سنة .

* صدر للشاعر المصري فاروق شوشة ديوان بعنوان (الى مسافرة) واكثره من الشعر الحر ، قال النقاد ان الديوان صورة عميقة دقيقة المشاعر .

* من القيروان الى بواتي (عنوان كتاب جديد بتونس للاستاذ محمد التركي الذي وضعه بالفرنسية، وهو يؤرخ فيه للفتح العربي باوربا ودعمه بوثائق نشرت لاول مرة .

* اعلن في تونس عن ميلاد مجلة شهرية جديدة تصدر باللغة الفرنسية باسم ـ (هنا افريقيا) .

* في مهرجان الموسيقى الاندلسية بالجزائر فازت جوقة تلمسان بالجائزة الاولى .

* قررت بلدية الجزائر استبدال اسماء احياء وساحات وشوارع العاصمة التي لاتزال تحمل اسماء المحتلين باسماء جديدة لابطال سياسيين واحداث تاريخية كانت الجزائر والمغرب مسرحا لها .

ومن امثلة هذه الاسماء الجديدة :

شارع المارشال ليوطي : استبدل بشارع دمشق.

شارع الجنرال ليرين : استبدل بشارع عبد المؤمن الموحدي .

شارع بوغرطة : استبدل بشارع احمد شوقي .

وكثير من الاسماء التي تجسم المعارك التاريخية والوطنية والسياسية .

* تعقد هيئات الدراسات العربية في الجامعة الامريكية ببيروت حلقتها الدراسية السنوية وسيكون موضوع هذه الحلقة (الفكر العربي في مائة عام) ومن الذين سيتحدثون في هذه الحلقة الدكتور عبد العزيز الدوري ، والمطران اغناطيوس هزيم ، والدكتور قسطنطين زريق .

* صدر مؤخرا (عالم الالكترون) وهو الكتاب الذي اشترك في تأليفه الاساتذة : جواد مصطفى جواد، وعبد الحميد صادق المنشيء ، وناجي مزهر عبد الرحمن .

* عين امين نخلة الاديب والشاعر اللبناني عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق .

* (شعراء اليمن المعاصرون) عنوان الكتاب الجديد الذي اصدره الاستاذ الشاعر هلال ناجي متناولا الحركة الشعرية في اليمن .

* (زمن الرعب) مسرحية طويلة للاديب الليبي الاستاذ عبد الحميد المجراب ستصدر قريبا عن احدى مطابع بيروت .

* عثر في احدى الارشيفات في طشقند عاصمة اوزبكستان على وثيقة نادرة تحتوي على معلومات هامة عن حياة بخارى في القرون الوسطى ، وهذه الوثيقة تؤكد الراي الذي يراه العلماء والقائل بان واحة بخارى كانت في القرن الثالث عشر مركزا كبيرا . وقد كافح السكان كفاحا شاقا ضد الخراب الذي حل بالزراعة بسبب هجمات قبائل المغول . فاعيدت الحياة الى قنوات الري والحرف وخاصة الحياكة ، واقيمت الصلات التجارية مع الشعوب الاخرى .

وهذه الوثيقة عبارة عن قطعة ورقية مطوية يبلغ طولها ثلاثة امتار مؤرخة في عام 1298 ومكتوبة باللغة العربية . وقد عثر عليها بين مجموعة من وثائق، وهي ذات قيمة علمية لان المصادر المكتوبة اندثرت كلها تقريبا نتيجة لغزو جنكيز خان منطقة آسيا الوسطى.

* (قراءات من العربية المعاصرة) عنوان الحلقة الخامسة التي اصدرتها جامعة ميشخان في الولايات المتحدة الامريكية ، وتضم جزئين الاول : يجمع نصوصا مختارة لثلاثين شاعرا عربيا ، ويضم الجزء الثاني بعض الشروح والتعليقات ، ومقارنة بين الوزن العربي والوزن اللاتيني .

* اصدرت دار النشر الطاجيكية بالاتحاد السوفياتي ، الطبعة الثانية بكمية كبيرة لمؤلفات محمد اقبال شاعر الباكستان .

وقد تضمنت مجموعة من مؤلفاته بعنوان : (رسالة الشرق) مقتطفات من كتبه باللغة الفارسية وبالاخص (ترانيم شرقية) و (كتاب الخلود) .

* (البحر لا ماء فيه) عنوان المجموعة القصصية التي صدرت مؤخرا للاديب الليبي احمد ابراهيم الفقيه ، ومن الجدير بالذكر ان هذه المجموعة فازت بالجائزة الاولى في المسابقة التي اجرتها اللجنة العليا لرعاية الفنون والادباء في وزارة الاعلام والثقافة الليبية.

* صدر ديوان (اغنية الميلاد) للشاعر الليبي خالد زغبية .

* صدر في ليبيا اخيرا الكتاب الثاني من سلسلة التراث الليبي التي تشرف على نشرها اللجنة العليا لرعاية الفنون والآداب بوزارة الاعلام والثقافة .

وعنوان الكتاب الجديد هو (ابن غلبون مؤرخ ليبيا) وهو يتناول بالدراسة مؤرخا عاش في النصف الاول من القرن الثاني عشر .

* فرغ الاستاذ عبد الله الجبوري امين مكتبة الاوقاف العامة العراقية من وضع فهرست للمخطوطات المصورة المحفوظة في خزانة المجمع العراقي ومن المؤمل ان ينتهي طبعه في وقت قريب .

* (الاديولوجية العربية) عنوان الكتاب الذي الفه الدكتور ياسين خليل واصدرته وزارة الثقافة والارشاد العراقية ضمن سلسلتها السياسية

* (محمد كرد علي) عنوان الكتاب الذي اصدرته وزارة الثقافة والارشاد ضمن سلسلة الكتب الحديثة وهو من تاليف الاستاذ جمال الدين الالوسي .

* صدر مؤخرا بالعراق كتاب (ادباء المؤتمر)، وهودليل يضم بين دفتيه تراجم الادباء والشعراء العرب الذين شاركوا في مؤتمر الادباء العرب الذي انعقد في بغداد عام 1965

* بمناسبة مرور عامين على وفاة الشاعر العراقي بدر شاكر السياب ، فان كثيرا من الاندية في سوريا ، والعراق ، ولبنان ، ومصر ، ستقيم ندوات مختلفة لمناقشة شعر السياب في ذكرى وفاته الثانية.

* يعد زهير بغدادي رسالة دكتوراه في لينغراد موضوعها (الواقعة الاشتراكية في الادب العربي المعاصر) .

* تناول حسن النقاش المدرس في جامعة طاجيكستان بالاتحاد السوفياتي بالبحث في الشعر العراقي في القرن التاسع عشر . ويذهب حسن النقاش الى راي عدد من الباحثين الاوربيين هو ان الشعراء العراقيين بالذات اعدوا التربة الصالحة لنهضة الشعر العربي في اوائل القرن العشرين .

* (العروض في اوزان الشعر العربي وقوافيه) عنوان الكتاب الذي صدر مؤخرا ، وهو من تاليف الاستاذ حكمة فرج البدري .

* صدر حديثا كتاب (مشكلة الرسوب في الثانويات ومصير الخريجين) من اعداد الدكتور مسارع الراوي .

* (السبيل الى القيادة) عنوان الكتاب الذي الفه المارشال اللورد مونتغمري ونقله الى العربية العميد الركن حسن مصطفى ، ويقع الكتاب الذي ساعد المجمع العلمي على طبعه في اكثر من 300 صفحة

* صدر الى الاسواق الجزء الثاني من (ديوان الحويزي) الذي قام بتحقيقه الاستاذ حميد مجيد هدو . ويتضمن هذا الجزء قصائد الحويزي في مدائح ومراثي اهل البيت

* (التعاونيات في العراق) عنوان الكتاب الذي صدر مؤخرا من تاليف الاستاذ كاظم السماك .

* (لن تراني الضفاف عنوان المجموعة الشعرية للشاعر الشهيد مثنى حمدان العزاوي ، وقد قام بجمعها الاستاذان جليل العطية وحميد سعيد . وقد ذكر جامعا الديوان بان هناك عشر قصائد لم تنشر في هذه المجموعة .

* سيطلق على مكتبة جامعة شيراز وهي مؤسسة مفتوحة للعلوم والتكنولوجيا والمعارف الاسلامية اسم الملك فيصل عاهل السعودية .

* في الهند الآن اكثر من ستة آلاف امراة جامعية يقمن الآن بابحاث علمية . هذا ما قرره المجلس الهندي في احصائه ثم ذكر ان هذا العدد يمثل حوالي عشر عدد الطالبات المتخرجات في الجامعات كما يلاحظ ايضا ان 80 ٪ من النساء اللواتي اخترن ميدان الابحاث العلمية تقل اعمارهن عن الثلاث وان 80 ٪ منهن يشغلن وظائف علمية معظمها في قطاع التدريس . ويبين الاحصاء ان 80 ٪ من هؤلاء قد درسن علم الحياة بينما تخصص الخمس في الكيمياء والعشر في الطبيعة والرياضيات .

* قرر المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو في جلسته الرابعة عشرة انتخاب الاستاذ بدر الدين طنجل رئيسا له . وكان الاستاذ طنجل قبل ذلك وزيرا للتعليم في الجمهورية التركية ، ورئيسا لقسم اللغات واللغة الفرنسية في جامعة انقرة ، كما انه ايضا نائب رئيس المجلس التنفيذي لليونسكو .

* تولت الشعبة الوطنية الفنلندية لليونسكو القيام بحملة اعلامية في مشاكل محو الامية من العالم وشكلت لهذا الغرض ، لجنة خاصة قوامها مندوبون عن منظمات الشباب يقومون بتنسيق الجهود وجمع الاموال اللازمة ، في نطاق نظام (بطاقات اليونسكو) للمعاونة .

* عقد في مقر اليونسكو بباريس ، مؤتمر خاص على مستوى الحكومات قرر فيه مندوبون عن 70 دولة قبول مشروع ميثاق للمعلمين يتالف من 145 مادة تحدد ، في نظر وضعية ، ماذا ينبغي ان يكون عليه الوضع المهني والاجتماعي والاقتصادي للمعلمين وكذلك حقوقهم ومسؤولياتهم .

* قال السيد اوغست شو مدير معهد نوبل في اوسلو ان 48 شخصا قد رشحوا لجائزة نوبل للسلام للسنة الحالية . ويعتقد ان بين هؤلاء المرشحين يوثانت السكرتير العام للامم المتحدة

وكان المعهد قد قرر ارجاء منح جائزة السلام لسنة 1966 الى هذه السنة .

* تصدر في الاتحاد السوفياتي 6595 صحيفة بـ 15 لغة . ويبلغ تعداد الصحف الصادرة فيها باللغة الروسية 4050 صحيفة يبلغ مجموع توزيعها الى 70 مليون نسخة . ويبلغ مجموع نسخ الصحف التي تصدر بلغات اخرى 18٫7 مليون ويشكل الروس 55 بالمائة من مجموع تعداد السكان في الاتحاد السوفياتي وهم يسيطرون على 75 بالمائة من الصحف وتصدر في الاتحاد السوفياتي 3833 مجلة ، منها 3140 مجلة باللغة الروسية اي بمعدل 82 في المائة من مجموع المجلات . وهذا العدد الضخم في المجلات والصحف الناطقة باللغة

الروسية له تاثيره المباشر على سكان الاتحاد السوفياتي من الروس وغير الروس .

* يضم متحف الفنون الامريكي في ولاية كارولينا الشمالية منذ الآن قاعة يستطيع فيها المكفوفون ان يروا المعروضات الفنية بطريق اللمس .

* استقبل معرض الفنون العربية الذي افتتح في البحرين استقبالا حماسيا . ويضم المعرض لوحات فنية لرسامين من الج.ع.م والكويت ، والعراق ، وسوريا ، والاردن ، ولبنان ، والبحرين . وهذه اول مرة تعرض فيها في البحرين مجموعة دولية من اللوحات على هذا المستوى .

وسيقام المعرض فيما بعد في الكويت ، وبغداد ، وعمان ، ودمشق ، وبيروت ، ثم في لندن ، وباريس ، وروما .

ومنح فنان من كل بلد من البلدان المشتركة جائزة تقديرية قيمتها 110 جنيه استرليني .

* كانت ايطاليا تضرب الرقم القياسي في امتلاكها اصغر لوحة زيتية في العالم حتى الآن ، يزيد طولها على مليمتر بقليل . وقد استطاع اخيرا الرسام الالماني والصائغ هانس يواخيم بابريكو فسكي رسم لوحة زيتية لذاتي باربعة الوان يقل طولها عن مليمتر ، فحطم بذلك الرقم القياسي الايطالي . ولا يمكن مشاهدة هذه اللوحة الدقيقة الا بالمجهر ، تم عرضها اخيرا ببرلين في معرض خاص للوحات الصغيرة .

* صدر عن منشورات دار البصري ببغداد كتاب (تعبير الرؤيا) للعلامة المشهور ابن سيرين .

* صدرت الاعداد 1 و 2 و 3 من سلسلة (القرآن يهدي) التي تصدرها مدارس حفاظ القرآن الكريم في كربلاء وتضم مختارات من حكم القرآن والمقالات التوجيهية المفيدة .

* سيصدر قريبا عن دار العلم للملايين كتاب بثلاثة مجلدات تاليف الدكتور طه حسين وبالاتفاق معه بعنوان (تاريخ الادب العربي) المجلد الاول خاص بالادبين الجاهلي والاموي والمجلد الثاني العصر العباسي (عصر النهضة) والثالث عن الادب الحديث .

* (صفحات من حياتهم) اسم الكتاب الجديد من تاليف محمد محمد نصر من القاهرة يصدر قريبا ، يتضمن دراسات ادبية لخمسة وعشرين من اعلام النقد والقصة والشعر ، من بينهم طه حسين ، وتوفيق الحكيم ، والعقاد ، وحسين مؤنس ، ومحمود حسن اسماعيل ، وانيس منصور ، ولويس عوض ، وعبد الحليم عبد الله ، وجاذبية صدقي ، وامين غراب ، وغادة السمان وغيرهم .

* (شباب السبعين) هذا هو عنوان الديوان الجديد الذي سيصدر للشاعر العراقي الاستاذ احمد الصافي النجفي .

* (حبر وعطر) اسم الكتاب الجديد الذي اعده للطبع الاستاذ عبد الحميد العلوجي وهو يضم طائفة من مقالاته وبحوثه في التراث الشعبي العراقي .

* صدر في سلسلة مكتبة الفكر الجامعي بمنشوات عويدات في بيروت كتاب (مستقبل التربية في العالم العربي) للدكتور جميل طيبا .

* يصدر قريبا في منشورات عويدات ببيروت الكتب التالية : (المنطق) للدكتور جميل صليبا ، (تاريخ الرواية الحديثة) تاليف البيريس ترجمة الاديب السوري جورج سالم ، مدخل الى تاريخ العلاقات الدولية) تاليف رينوفان ودپروزيل ترجمة الاديب السوري فايز كم نقش .

* امين نخلة الاديب والشاعر اللبناني انتخب عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية بدمشق .

* انهى الاديب اللبناني خليل رامز سركيس ترجمته للاثر الادبي الضخم (الاعتراف) لجان جاك روسو . وستصدر في منشورات اليونسكو خلال العام الجاري .

* انتهى الشيخ طه الولي من اعداد القسم الاول من كتابه المرتقب عن (تاريخ مدينة بيروت) وهو دراسة موسوعية عن المدينة منذ انشائها حتى اليوم . وقد جعل عنوان هذا القسم (اسم مدينة بيروت) ويتضمن ابحاثا ومراجعات في تطور كلمة بيروت وتاريخها ومعانيها والالقاب والصفات والنعوت التي اطلقت على المدينة عبر الاجيال والعصور . كما انتهى الشيخ طه من اعداد كتابه (بيروت في الشعر العربي) ومن المنتظر صدور هذين الكتابين خلال الشهور القريبة المقبلة ، بعد ان قضى المؤلف 13 عاما في تحضيرهما .

* صدرت في بيروت مؤخرا ثلاث مجموعات شعرية هي (حبي له اكثر) لخازن عبود في 300 صفحة

من الحجم الصغير . و (مشيناها) للدكتور سليمـان النجار في 192 صفحة من الحجم المتوسط . و (حناجر النور) لراجي عشقوتي في 142 صفحة مـن الحجـم الكبيـــر .

* (نساء في القرآن) دراسة شاملة في النواحـي الدينية والادبية الاجتماعية والتاريخية للنساء اللوتي ورد ذكرهن في القرآن الكريم . سيصدر قريبا للسيدة هداية سلطان السالم ، وهي من هيئة تحرير مجلـة (البيـان) الشهرية التي تصدرها في الكويت رابطـة الادبـاء الكويتيين

* يسعى اعضاء هيئة قسم اللغة العربية بكليتي التربية والشريعة بمكة المكرمة باعداد اول موسوعـــة ضخمة تشمل نمو الحياة الادبية بالسعودية وتوضـح تدرجها وغاياتها ، وشبابها ، وما احدثته من مؤلفات .

* كتاب (شوقيات) أمير الشعراء احمد شوقي سيترجم الى اللغة الفرنسية عن طريق مجلس الفنـون والآداب بالقاهـــرة .

* الاسلام والكفاح العربي في مواجهة الاستعمـار وشبهات التغريب)

كتاب جديد لانور الجندي يضم دراسة شاملـة لقضية الاستعمار الفكـري الغربـي للاسـلام واللغـة العربية والثقافة والفكر والفقه في مختلف الشبهـات التي وجهت اليه ودراسة شاملة للكتاب والسياسيين الغربيين الذين حملوا لـواء التغريب والتصدي لذلك ونصوص كاملـة لهذه الشبهات والردود عنها صـدر في القاهرة هذا الاسبـوع .

كتبت « الجمهورية » العراقيــة ، الذائعــةالصيت التي يشرف عليها الاستاذ الكبير صبيـح الغافقي مقالا كله تنويه واشادة بدعـــوة الحق نقتطف منه ما يلـــي :

اضافت مجلة « دعوة الحق » منذ صدورهاقبل عشر سنوات للان مأثرة جديدة الى دور المغرب الشقيق في خدمة لغة القرآن والتراث الاسلامي الفكـري

وتصدر هذه المجلة عن وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية في اكثـر من 150 صفحة شهريا يشارك في تحريرها اعلام الفكـر الاســـلامي في المغرب والاقطار الاسلامية وتعبر في روحها عن النهضة الادبية التي يشهدها العالم الاسلامي اليوم كما تؤلـف في مجموعهـا حلقة متينة بين المغرب والمشرق . ورابطة وثقى بين الماضي الزاخر بالحياة والحاضر المتدفق بأسبـاب اليقظـة والتطـور والتوثب .

ومن بين الكتاب الذين ساهموا باقلامهم في العدد الاخيـر من المجلة : عبد الهادي التازي واحمد التيجاني وعبد الله كنون والدكتور تقي الدين الهلالـي المغربي الذي ساهم في تحرير بعض الصحف العراقية خلال لجوئه للعـراق وحسن السائح ومحمد بن تاويت والمهدي البرجالي واضرابهـم من الع اهل الفكر والعلم في المغرب .

ولم تقتصر اعداد دعوة الحق على نشر البحوث الاسلامية الاصيلة وانما فتحت صدرها للشعر ، وللقصة وعلى صعيدها يلتقي كل شهر فريق من الكتاب العرب وفي مقدمتهم ابنـاء المغـرب .

ولعل من اكبر مآثر هذه المجلة التي كنا نرجو ان تجد لها ضريبا في العـراق والبلاد العربية الاخرى — توفرها على احياء التراث الاندلسي الخالد ولا يخلو عدد من اعدادهـا — من عدة مقالات تتناول المكتبة الاندلسيـة والفكـر الاندلسـي . باقلام بعض المحققيـن البارزيـن .

واذا كان المغرب قد استطاع من خلال القرون الطويلة ان يقف موقفا صلبـا في الحفاظ على الميراث الاسلامي الفخم فان مساهمته في الكشف عن ذخائر الاندلس والعمل على نشرهـا وتحقيقها في السنوات الاخيرة مكرمة اخرى تضاف الى سجل الاعمال الفكرية الكبيرة التي تنهض بها اليوم بصفة خاصة جامعة الرباط ووزارة الاوقاف ، ومجلـة دعوة الحـق .